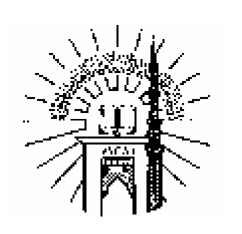
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم : (١٠٤)



الفتنة وموقف المسلم منها

تأليف
د/ محمَّد بن عبدالوهاب العقيل

ح الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٩هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

العقيل، محمد بن عبدالوهاب

الفتنة وموقف المسلم منها. / محمد بن عبدالوهاب العقيل. - المدينة المنورة،١٤٢٩هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك: ٩-٥٩١-٠٢-٩٩٦٠-٩٧٨

١ -الفتن في الإسلام أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٩/٣٨٢٥

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٣٨٢٥

ردمك: ٩-٥٩١-٠٢-٩٩٦٠-٩٧٨

الطّبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

i j k

مقدّمة معالي مدير الجامعة الإسلاميَّة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصَّلاة والسَّلام على رسول الهدى الذي أمر بالعلم قبل العمل، فبه ارتفع وتقدّم، وعلى آله وأصحابه ومَنْ بأثره اقتفى والتزم. وبعد:

فإنَّ الاشتغال بطلب العلم والتفقّه في الدّين من أجلّ المقاصد وأعظم الغايات وأولى المهمّات؛ لذلك ندب إليه الشَّارع الحكيم في كثير من نصوص كتابه، وأمَرَ نبيّه r بالزيادة منه؛ فقال تعالى:] **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** Z [التوبة: ١٢٢].

وقال جلّ وعلا:] 0 1 2 3 Z [طه: ١١٤].

وقد رتّب النبي r الخير كلَّه على التفقّه في الدّين فقال r: ((**من يرد الله به خيراً يفقّه في الدين**)) متّفق عليه. وقال r: ((**النَّاس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**)) متّفق عليه. وهذا مما يدلّ على أهميته وعظم شأنه.

لذلك كان الاهتمام بالعلم الشّرعيّ المستمّد من الكتاب والسنّة وفهمِ السَّلف الصَّالح هو الهدف الأسمى لمؤسس هذه الدّولة المباركة الملك عبدالعزيز –يرحمه الله- وكذلك أبناؤه من بعده الذين كانت لهم اليد الطولى وقَدَمُ السبقِ في الاهتمام بالعلم وأهله؛ فأولوه عنايةً فائقةً، وخصّوه بجهود مباركة، ظهرت آثارها على البلاد والعباد.

وكان لخادم الحرمين الشَّريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز –حفظه

الله- جهودٌ واضحةٌ استوتْ على سوقها ووفّقتْ لمقصودها، ومن ذلك أمره بزيادة عدد الجامعات، وفتح جميع الوسائل ذات العلاقة بالتطوير والتنقيح والتأليف والنَّشر كعمادات ومراكز البحث العلميّ في شتّى الجامعات وعلى رأسها الجامعة الإسلاميَّة –العالمية العلمية- التي أولت البحث العلميّ اهتماماً بالغاً وجعلته غاية من غاياتها وهدفاً من أهدافها.

ومن هنا فعمادة البحث العلميّ بالجامعة تهتم بالبحوث العلميَّة نشراً وجمعاً وترجمة وتحكيماً في داخل الجامعة وخارجها؛ من أجل النُّهوض بالبحث العلميّ، والتشجيع على التَّأليف والنّشر، ومن ذلك كتاب:

[الفتنة وموقف المسلم منها]

تأليف: **د/ محمَّد بن عبد الوهاب العقيل .**

أسأل الله أنْ يوفّقنا جميعاً لما يحبّ ويرضى ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وصلّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

معالي مدير الجامعة الإسلاميَّة

أ.د/ محمد بن علي العقلا



المقدِّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله مـــن شـــرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـــلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمـــدا عبده ورسوله .

Z ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 [

[آل عمران: ١٠٢]

- , + *) (' & % $ # " ! [

< ; : 8 7 6 5 4 3 1 0 / .

= > Z [النساء: ١]

لَكُمۡ ~ } | { z y x w v u [

أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا

عَظِيمًا Z [الأحزاب: ٧٠ – ٧١]

أما بعد:

فإنه من تمام رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن شرع لهم ما يصلح أمرهم في أحوالهم جميعا، في الرخاء والشدّة، وفي المنشَطِ والمكـــره، وفي الأمن والخوف، وفي الاجتماع والفرقة، ومن ذلك ما جـــاء في الكتـــاب

والسنة من نصوص تُبَيِّنُ للمسلم الطريقَ الصحيح، الذي يسلكه وقت الفتن والشدَّة، ليسلم، ويسلم المسلمون معه.

ومن المعلوم أن زمان الفتن - نعوذ بالله منها - زمانٌ تَطِيشُ فيه عقول العقلاء، وتذهب فيه حكمة الحكماء، لقوَّةِ الشُّبَهِ الواردة فيه، وكثرةِ الخائضين، واختلاطِ الحقِّ بالباطل، والتباسِهِ به.

ولا يسلم في هذا الوقت إلا مَن سلَّمه الله، ورزقه التَّمسُّكَ بالمحكمات من كتاب الله، وسنة رسوله r ، ورَدَّ المتشابه إليها، وجعلَ الحقَّ ومعرفتَهُ غايتَهُ، وآثر رضا الله سبحانه على حظِّ نفسه، وعلى رضا النَّاس.

ولأهمِّيَّة هذا الموضوع في هذا الزمان، ولحرص القائمين في الجامعة الإسلامية - حفظهم الله - على دعوة الناس إلى ما يصلحهم في أمر دينهم ودنياهم، وحرصهم على أن تكون هذه الجامعة وهي هدية هذه الدولة المباركة لأبناء العالم الإسلامي منارةً يهتدي بها أبناء المسلمين في هذه الأزمان، فقد كُلِّفْتُ من معالي مدير الجامعة – آنذاك - فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود - حفظه الله - بالكتابة في هذا الموضوع، باقتراح من مجلس عمادة البحث العلمي الموقَّر، فشرفني ذلك، وسرَّني، وشجَّعني على الكتابة والبحث في هذا الموضوع الهامِّ، فاستعنت الله سبحانه وتعالى على ذلك، وأسأل الله سبحانه أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه، نافعاً في بابه للمسلمين.

ومن المعلوم أن تأصيل موقف المسلم من الفتن على منهج السلف - رحمهم الله - أمرٌ مهم، وضروري، ولا سيَّما في هذا الزمان، حيث أطلَّت الفتن برأسها من كلِّ مكان، وتداعت الأمم على الأمة الإسلامية، وكثر الخائضون في أمرها، وتحيَّر بعض طلاب العلم من الشباب فيها، وفي طريقة النجاة والسلامة منها، مع ما يرون من حلولٍ متضاربة متناقضة من بعض المؤلِّفين والمنتسبين للدعوة.

فلذلك حرصت في هذا البحث على الاعتماد على كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، مع العناية بكلام السلف الصالح في ذلك، وذكر مواقفهم المباركة من الفتن، حتى يتَّخذهم طالب العلم قدوة وأسوة ليسلم، كما سلموا - بإذن الله -.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتتضمن بيان لأهمية الموضوع، وحاجة الأمة إلى معرفتـــه، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

الفصل الأول: تعريف الفتن، وبيان أنواعها، وأسبابها، وأماكنها، وأزمانها؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أنواع الفتن.

المبحث الثالث: أسباب الفتن.

المبحث الرابع: أماكن الفتن وأزمانها.

الفصل الثاني: الموقف الشرعي من الفتن، وأثره على الفرد والأمة؛ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الموقف الشرعي من الفتن، والدليل عليه من الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: نماذج من مواقف الصحابة والسلف في الفتن.

المبحث الثالث: أثر هذه المواقف على الفرد والأمَّة.

الفصل الثالث: بعض المواقف المخالفة لمنهج السلف في الفتن وأثرها على الفرد والأمة، وبيان جذورها التاريخية، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الاستهانة بعلماء الأمَّة وعلومهم، وتعظيم الأصاغر.

المبحث الثاني: إحياء الفتن الماضية، وجمع الناس عليها واتخاذ ذلك سنة وعيداً.

المبحث الثالث: مفارقة الجماعة، بإحداث أحزاب وجماعات فرَّقت الأمَّة.

المبحث الرابع: التسرع بتكفير الأمة عامتها وخاصتها، والتركيز في ذلك على ولاة أمور المسلمين.

المبحث الخامس: استباحة دماء المسلمين المخالفين.

المبحث السادس: إحداث التَّجمُّعات الغوغائيَّة أو ما يسمَّى بالمظاهرات الجماعية.

المبحث السابع: الإفساد في البلاد الإسلامية بالتخريب والتفجير، ونحو ذلك.

المبحث الثامن: الهجرة إلى بلاد الكفار.

وأما منهجي في هذا البحث:

فقد حرصت في هذا البحث على تأصيل المسائل المتعلقة بأمر الفتن،

من كتاب الله، وسنة رسوله r ، مع الاستفادة من كلام السلف الصالح - رحمهم الله - في هذا الباب.

أما الأمور الحادثة التي لم تكن في زمن السلف الصالح فقد حاولت أن أقيسها على ما سبق من حوادث، مع نقل كلام علماء أهل السنة والمنتسبين إلى مذهب السلف في هذا الزمان، ولذلك فقد نقلت بعض الفتاوى عن أئمة الدعوة السلفية، وعن هيئة كبار العلماء في بلادنا، حتى تكون المسألة واضحة، ويكون القارئ على يقين في دينه.

ولأن أمر الفتن طويل ومتشعب، فقد حاولت الاختصار قدر الإمكان، بحيث يستفيد القارئ دون ملل أوسآمة.

واللهَ أسألُ أن ينفع به المسلمين، إنَّه وليٌّ ذلك، والقادر عليه.

وإني لا أدَّعي في هذا البحث أني قد وفَّيت الموضوع حقه، فليس لمثلي ذلك، ولكن أرجو أني أسهمت، وكتبت ما ينفع الله به المسلمين، فإن وفِّقْتُ فذلك محض فضل الله، وإن كانت الأخرى فأستغفر الله. ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

الفصل الأول:

تعريف الفتن، وبيان أنواعها، وأسبابها، وأماكنها، وأزمانها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أنواع الفتن.

المبحث الثالث: أسباب الفتن.

المبحث الرابع: أماكن الفتن وأزمانها.

المبحث الأول: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً

الفتن في اللغة:

جمع فتنة، وجماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار.

وأصلها مأخوذ من قولك: فتنْتُ الفضةَ والذهبَ إذا أذبتهما بالنار لتميِّزَ الرديء من الجيد[١].

الفتنة في الاصطلاح:

تكررت كلمة الفتنة في القرآن الكريم في قرابة سبعين موضعاً[٢].

وكلها تدور حول المعاني السابقة.

قال الراغب: أصل الفَتْن: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته.

١- واستعمل في إدخال الإنسان النار. قال تعالى:] = < ? @ A B C D Z[الذاريات: ١٣ – ١٤]، أي: عذابكم.

٢- وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب فيستعمل فيه. نحو قوله: [: ; < = Z[التوبة: ٤٩]

٣-وتارة في الاختبار نحو:] X Y Z [طه: ٤٠]

---

(١) لسان العرب، (١٣/٣١٧).

(٢) انظر: المعجم المفهرس "فتن".

٤- وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء. وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، وقد قال فيهما: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥][١].

فتلخص من هذا: أن الفتنة هنا هي الأمور والشدائد التي يجريها الله على عباده على وجه الحكمة ابتلاءً وامتحاناً.

وتكون عادة عامة، وقد تكون خاصة، ثم يرفعها الله بفضله، ويبقى أثرها خيراً لأهل الخير والإيمان، وشراً لغيرهم. والله أعلم.

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني، (ص:٣٧١-٣٧٢).

المبحث الثاني: أنواع الفتن

إنَّ المتدبرَ لنصوص الكتاب والسنة يجدُ أمر الفتن قد تكرر كـثيراً بأساليب متنوعة؛ فمرة يحذر منها، ومرة يبين طريق السلامة منها، ومـرة يبين عاقبتها، ومرة يبين مواقف الناس منها، وهكذا..، مما يـدل علـى خطورة أمر الفتن، ووجوب الحذر منها، والوقوف منها عند وقوعهـا - والعياذ بالله - الموقف الشرعي الذي هدى الله إليه عباده.

والفتن - نعوذ بالله منها - أنواعٌ كثيرةٌ؛ منها ما ظاهره خير، ومنها ما ظاهره شرٌّ، كما قال تعالى:] وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً Z [الأنبياء: ٣٥]

وهذه الأنواعُ - وإنْ تعددت - إلا أنها باعتبار من تقع عليه علـى نوعين:

النوعُ الأول: الفتنُ الخاصَّة.

النوعُ الثاني: الفتنُ العامَّة.

النوع الأول: الفتنُ الخاصَّةُ

ويراد بها الأمور التي تقع على الإنسان في خاصة نفسه من خير وشرٍّ امتحاناً وابتلاءً من الله عزَّ وجل، وهي سنَّة كونية أجراها الله على عباده ليبلوهم أيهم أحسن عملاً.

وقد ورد هذا المعنى في الكتابِ والسنَّةِ كثيراً.

قال تعالى: [0 1 2 3 4 5 6 7
8 9 : ; < = > ? @ A B C
D E F G H I J K L M N O P Q
R Z [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧]

قال ابن كثير - رحمه الله -: ((أخبر تعالى أنه يبتلي عباده، أي يختبرهم ويمتحنهم،كما قال تعالى: [0 1 2 3 4
5 6 7 Z [محمد: ٣١]، فتارةً بالسراءِ، وتارةً بالضراءِ من خوفٍ وجوعٍ...كموت الأصحابِ والأقارب والأحباب... وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده فمن صبر أثابه، ومن قنطَ أحلَّ به عقابه))[1]

وقال تعالى: [A B C D E F G
H I J Z [الأنفال: ٢٨]

وقال تعالى: [كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ Z [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: [- . / 0 1 2 3 4 5 6
7 8 9 : ; = > ? @ A B C Z [الزمر: ٤٩]

---

(١) تفسير ابن كثير، (١/٤٣٥).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأنت إذا تأملت النصوصَ وجدتَها قد قسَّمتِ الفتنة الخاصة إلى أقسام عدَّة باعتبار من تقع عليه، وباعتبار أسباب وقوعها، وباعتبار ظاهرها من خيرٍ أو شرٍّ، فمن هذه الأقسام:

القسم الأول: الابتلاء بالمصائب.

وهذا القِسْمُ هو الذي دلَّت عليه آية سورة البقرة:] 0

1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ;

< Z [البقرة: ١٥٥].

وتكررت في السنة كثيراً فمن ذلك:

حديث سعد بن أبي وقاص t قال: قلت: يا رسولَ الله، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبْتَلَى الرجلُ على حسب دينه، فإنْ كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقةٌ ابْتُلِي على حَسَبِ دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة »[1].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «ما يزال البـــلاء

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده من عدة طرق عن سعد بن أبي وقاصٍ t انظر المسند=

بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»[١].

وعن أنس بن مالك t عن النبي r قال: « إن عظم الجزاء مع عظم البلاءِ، وإن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط »[٢].

والصبر على هذه المصائب هو حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر، ولذلك وجب على من ابتلاه الله بمصيبة أن يصبر على ما أصابه، فإنَّ في الصبر على ذلك خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة.

والصبر على المصائب لا ينافي اتخاذ الأسباب في الوقـــاية منها قبل

=(٣/رقم١٤٨١، ١٦٠٧ ط.الرسالة)، وأخرجـــه كـــذلك: ابـــن ماجـــه في ســـننه (رقم٤٠٢٣)، والترمذي في سننه (رقم٢٨٠٩) وقال: حديث حسن صـــحيح، وابن حبان في صحيحه (رقم٢٩٠١ط.الرسالة)، والحاكم في المـــستدرك علـــى الصحيحين (١/٤٠، ٤١). وانظر السلسلة الصحيحة (رقم١٤٣).

(١) رواه الإمام أحمـــد في المـــسند (١٣/٢٤٨رقـــم٧٨٥٩)، والترمـــذي في ســـننه (رقم٢٥١٠) وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (رقم٢٣١٩، ٢٩٢٤ط.الرسالة)، والحاكم في المستدرك (٤/٣١٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وانظر: السلسلة الصحيحة (رقم٢٢٨٠)

(٢) رواه الترمذي في سننه (رقم٢٥٠٧) وقال: حسن غريب، وابن ماجـــه في ســـننه (رقم٤٠٣١)، ورواه الإمام أحمد في المسند (٣٩/٣٥رقم٢٣٦٢٣ ط.الرســـالة) بسند جيد عن محمود بن لبيد t ، وانظر: السلسلة الصحيحة (رقم١٤٦).

وقوعها، أو دفعها بما شرع الله بعد وقوعها، ولكن الممنوع هو الجزع والتسَخُّطُ، أو دفعها بما حرَّم الله.

وقد دلَّتِ النصوص على بعض الحِكَمِ التي تحصلُ من وقوعِ هذه الفتنِ على المؤمن، فمن ذلك:

١- رفع الدرجات.

٢- تكفير السيئات.

٣- الابتلاء والامتحان.

٤- تميز الصادق من غيره.

إلى غير ذلك من الحكم العظيمة التي أرادها الله من هذه الفتنِ.

وقد تقع هذه المصائب - والعياذ بالله - على غير الصالحين، فتكون من باب العقوبة أو النذارة، فإن كان من المسلمين كان في ذلك كفارة له عما ارتكبه من إثم، كما في قوله r : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عاقبه، وإن شاء غفر له »[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/٨٨ مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (٣/١٣٣٣رقم١٧٠٩).

وإن كان من غير المسلمين كان في ذلك عقوبة له في الدنيا مع ما ادَّخرَ له الله من العذاب يوم القيامة - والعياذ بالله -، وقد يكون من باب الإنذار. والله أعلم.

القسم الثاني: الابتلاء بالنعم.

وهو أمر عام في الصالحين وغيرهم من الناس.

قال تعالى: [A B C D E F G H I J Z [الأنفال: ٢٨]، وقال تعالى: [p q r s t u v W x Z [النمل: ٤٠]، وقال تعالى: [l m n o p q r s t u v w x y Z [طه: ١٣١].

وعلى المسلم الذي أنعم اللهُ عليه بهذه النعم أن يشكرَ الله عزَّ وجلَّ ظاهراً وباطناً، ويؤدي ما أوجبَهُ الله عليه، وأن يصبِرَ على شكرها، ويصبر عن معصية الله فيها، وأنْ لا يكون كحال قارون الذي قال الله فيه: [w x y z { | } ~ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ © ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ´ µ ¶ ¸ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + ,

- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ;

< = > ? @ A B C D F G

H I J K L M N O P Q R S

T U V W X Y Z [\ ] ^

_ ` a b c d e f g h

i j k l m n o p q r s t u v

w x y z { | } ~ وَيۡكَأَنَّ

ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ ´ µ ¶ ¸ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ Z

[القصص: ٧٦-٨٣].

وهذه النعم متنوعة؛ فمن ذلك: نعمة المال، ونعمة الأولاد، ونعمة النساء، ونعمة الصحة، ونعمة الفراغ، ونعمة الشباب، ونعمة الأمن، إلى غير ذلك من النعم العظيمة التي وهبها الله لمن شاء من عباده مؤمنهم وكافرهم ابتلاء، ومنعها من شاء من عباده ابتلاء، فمن عرف هذه النعمة، وأدى حقها لواهبها فقد فاز في الدنيا والآخرة، ومن لم يعرف ذلك، و لم يؤدِّ حقها لواهبها فهي عليه وبالٌ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:] وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ à إِلَىٰ â ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ Z [البقرة: ١٢٦]. وقال تعالى:] ! " # $ % ' ( ) * + , - . / 0 1 2 Z [التوبة: ٥٥].

القسم الثالث: فتنة الشهوات

وهو أنْ يُبْتَلَى الإنسان بحبِّ الشهوات والتعلق بها حتى تكون همَّه وغايته وشغله الشاغل، فيصرف عمره في سبيل تحصيلها من حلالٍ أو حرامٍ، فتملأ قلبَهُ ووقته، فلا يبقى في قلبه لله شيء، فيكون عبداً لهواه - والعياذ بالله -.

قال تعالى:] p q r s t u v w x y z { | } ~ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ © ٱلْمَـَٔابِ Z [آل عمران: ١٤]

ثم عقب سبحانه بعد هذه الآية على أنَّ الخيرَ ليس في هذه الشهوات وتحصيلها، وإنما الخير فيما أعدَّه الله لمن اتقاه في الدنيا، وسلم من اتخاذ

هذه الشهوات غايةً وإنما اكتفى منها بما أحلَّه الله، وصبر عما حرمه الله، فقال تعالى:] قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ´ µ ¶ ¸ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ Z [آل عمران: ١٥]

قال ابن القيم - رحمه الله -: ((فمن صبرَ منهم على تلك الفتنة نجا مما هو أعظم منها، ومن أصابته تلك الفتنة سقط فيما هو شر منها، فإنْ تداركَ ذلك بالتوبة النصوح، وإلا فبسبيلِ مَنْ هلك، ولهذا قال النبي r: « ما تركت بعدي فتنةً أضرّ من النساء على الرجال »[(١)]، فالعبدُ في هذه الدار مفتونٌ بشهواته، ونفسه الأمارةِ، وشيطانه الْمُغْوِي الْمُزَيِّنِ، وقرنائه، وما يراه ويشاهده مما يعجز صبرُهُ عنه، ويتفقُ مع ذلك ضعفُ الإيمان واليقين، وضعفُ القلبِ، ومرارةُ الصبر، وذوقُ حلاوة العاجل، وميلُ النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكونُ العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها وفيها نشأ، فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طُلِبَ منه الإيمانُ به))[(٢)].

والْمُنجي من هــذه الفتنة - بإذن الله -: الإيمــانُ بالله، وتعظيمُه،

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤١/٩ رقم ٥٠٩٦ مع فــتح البــاري)، ومــسلم في صحيحه (٢٠٩٨/٤ رقم ٢٧٤١) من حديث أسامة بن زيد t .

(٢) إغاثة اللهفان (١٦٤/٢).

واتباعُ نبيه r في شأنه كله، وتركُ ما حرَّم الله، وإتيانُ ما أحلَّ الله، ودعاءُ الله، وسؤالُه التثبيت والعافية، فإنَّ قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وعبَّاد الشهوات وأهلها في الدنيا هم أهل النار يوم القيامة - والعياذ بالله-.

قال تعالى:] وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ´ µ ¶ ¸ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ Z [الأعراف: ٥٠ – ٥١]، وقال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 ! 3 4 5 6 7 Z [الفرقان: ٦٨]

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي الحديث الذي يرويه النبي r عن ربه عزَّ وجلَّ أنه قال: « وأهلُ النارِ خمسةٌ: الضعيفُ الذي لا زَبَرَ لَهُ[١]، الذين هم فيكم تَبَعاً لا

(١) لا زَبَرَ له: أي لا عَقْل له يزبُرُه وينهاهُ عن الإقدام على ما لا ينبغي. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٩٣) .

يتبعون أهلاً ولا مالاً، والخائنُ الذي لا يخفى له طمع وإن دقَّ إلا خانه، ورجلٌ لا يصبحُ ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخلَ أو الكذبَ، والشِّنْظِيرَ الفحَّاشَ[١]»[٢].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ تدلُّ على سوء مآل عباد الشهوات في الدنيا والآخرة إن لم يتداركهم الله برحمته.

نسأل الله مقلِّبَ القلوب أن يثبتنا على دينه، وأن يصرِفَ قلوبَنا عن معصيته بفضله ومنِّه.

القسم الرابع: فتنة الشبهات.

الشبهات وما أدراك ما الشبهات، قاصمة الظهر، وحالقة الدين، والسبب في كلِّ بلاءٍ مهين، وسبب كل خلاف وزيغ وضلال وفرقة وكفر ونفاق وشرك وشك، نعوذ بالله من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

قال تعالى: [Z ¦ X W V U T S [

\ ] ^ _ Z [البقرة: ١٠].

وقال تعالى: o n m l k j i h g [

---

(١) الشنظير الفحَّاش: هو سيئ الخلق . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٠٤/٢)

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢١٩٧/٤رقم٢٨٦٥) من حديث عياض المجاشعي t .

} | { z y x w v u s r q p

~ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ¶ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ Z [آل عمران: ٧]

ولخطورة هذه الشُّبَهِ والخوض فيها؛ بيَّن الله حالَ المؤمنين مع هذه الشُّبَه، وأنهم يسألون الله الحماية منها، ولا يخوضون فيها، ويسألونه الثبات على الحق، قال تعالى:] رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ Z [آل عمران: ٨].

فلم يجعلوا قلوبهم داراً لهذه الشبه، ولم يتلقوها ويخوضوا فيها ويجعلوها أصولاً، بل فرُّوا منها، وتمسَّكوا بالمحكمِ من كتاب الله وسنة رسوله r ، وسألوا الله الثبات على الحق.

وأصل هذه الشبه فتنةٌ من الله، وعقابٌ منه بسبب إعراضهم عن كتاب الله، وسنة نبيه r والعياذ بالله.

قال تعالى:] 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A

B C D E F G H Z [الزخرف: ٣٦ – ٣٧]

فسلَّط الله عليهم الشياطين بهذه الشبه؛ يصدونهم بها عن سبيل الحق بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة نبيه r .

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة

وقلَّة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى... وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال. ولا يُنْجِي من هذه الفتنة إلا تجريدُ اتِّباعِ الرسول r، وتحكيمه في دق الدين وجله، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه...، فلا يجعله رسولاً في شيء دون شيء من أمور الدين، بل هو رسولٌ في كل شيءٍ تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يُتَلَقَّى إلا عنه، ولا يؤخَذُ إلا منه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال. فإذا عقد قلبه على ذلك، وأعرض عما سواه، ووزنه بما جاء به الرسول r فإنْ وافقه قبله، لا لكون ذلك القائل قاله، بل لموافقته للرسالة، وإن خالفه رده، ولو قاله من قاله،فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه. وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غَرَضٍ فاسد وهوى متَّبَعٍ، فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة)) [(١)].

فهذه الفتنة - والعياذ بالله- كما ترى تبدأ بالشك، وتنتهي بالشرك

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٦٥-١٦٦) باختصار.

وتبدأ بالإعراض وتنتهي بالكفر والنفاق.

وليس لها علاج إلا الالتجاء إلى الله وحده، والتمسك بكتابه وسنة رسوله r ظاهراً وباطناً، وتقديم ذلك على هوى النفس وحظوظها وأقوال المعظَّمين من السابقين واللاحقين، وهذا العلاج - وإنْ ظن كثير من الناس أنه سهلٌ يسيرٌ- فوالله الذي لا إله غيره إنه كالجبال شدة، وأهله كالكبريت الأحمر ندرة، فلا تغتر بنفسك، واسأل الله الهداية والثبات.

قال الشاطبي - رحمه الله -: ((....إلى أن منَّ الله الربُّ الكريمُ الرؤوفُ الرحيمُ عليَّ فشرح لي من معاني الشريعة ما لم يكن في حسابي، وألقى في نفسي القاصرة: أنَّ كتاب الله وسنة نبيه r لم يتركا في سبيل الهداية لقائلٍ ما يقول، ولا أبقيا لغيرهما مجالاً يعتد فيه، وإن الدين قد كمل، والسعادة الكبرى فيما وضع، والحياة الطيبة فيما شرع، وما سوى ذلك فضلالٌ وبهتان وإفك وخسران ... فتردد النظر بين أن أتبع السنة على شرط مخالفة ما اعتاد الناس، فلابد من حصول نحو ما حصل لمخالف العوائد لا سيما إذا ادعى أهلها أن ما هم عليه هو السنة لا سواها، إلا أن في ذلك العبء الثقيل ما فيه من الأجر الجزيل.

وبين أن أتَّبعهنَّ -العوائد- على شرط مخالفة السنة والسلف الصالح، فأدخل تحت ترجمة الضلال - عياذاً بالله من ذلك -، إلا أني أوافق المعتاد وأعد من المؤالفين لا من المخالفين.

فرأيت أن الهلاك في اتباع السنة هو النجاة، وأن الناس لن يغنوا عني

من الله شيئاً، فقامت عليَّ القيامة، وتواترت عليَّ الملامة، وصَوَّبَ إليَّ العتاب سهامه، ونُسِبتُ إلى البدعة والضلالة، وأُنْزِلْتُ منْزلة أهل الغباوة والجهال))(١)

فهذا الكلام من هذا الإمام يدلك على عظم هذا الأمر، وأنه لا نجاة إلا بالله، وأنَّ الابتعاد عن الشُّبَهِ، والتمسك بالمحكم الواضح البيِّن هو السبيل الأمثل، وهو طريق السلف الصالح - رحمهم الله - الذين أمرنا الله باتباعهم والتأسي بهم، وأثنى على من فعل ذلك خيراً.

قال تعالى:] ! " # $ % &

' ( ) * + , - . / 0 1

2 3 4 5 6 8 9 : Z [التوبة: ١٠٠]

وكلّما بعُد الناسُ عن زمان النبوة وسلف الأمة كلما انتشرت الشبهات، وصار التمسكُ بالسنة المحكمة شديداً، حتى يصبح المتمسك بها غريباً في أهله وبلده، وكل هذا مصداق لما رواه أبو هريرة t عن النبي r أنه قال: « بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء» (٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي r قال: « إن الإسلام

---

(١) الاعتصام (١/٢٥-٢٧) باختصار.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/١٣٠رقم١٤٥) .

بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها» [١].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» [٢].

وفي هذا دليل على خطورة الشبهات - حمانا الله وإياك والمسلمين منها -، ودليل على كثرة انتشارها بين الناس، وقلة الناجين منها، وأنَّ الناجين منها قليل في آخر الزمان، وأنهم يكونون بتمسكهم بالحق الثابت المحكم غرباء في أهلهم وأوطانهم، وفيه كذلك فضل مكة والمدينة وأنهما في آخر الزمان مأرز ومجمع الإيمان. والله أعلم.

النوع الثاني من الفتن: الفتن العامة

وهي التي تصيب عامة الأمة، ويصبح الإسلام وأهله منها في بلاء عظيم. فيضعف الإسلام ويهون أهله، وتداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، وقد بدأت هذه الفتن في عهد الصحابة y، ولا تزال في هذه الأمة إلى يومنا هـــذا، وهي عبر هذه العصور ما بين زيادة ونقص بحسب قرب الأمة من دينها، فإذا قربت الأمة من دينها خفَّتِ الفتن، وإذا ابتعدت زادت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) المصدر السابق (١/١٣١رقم١٤٦).

(٢) المصدر السابق (١/١٣١رقم١٤٧).

وهذا النوع من الفتن هو الذي خافه النبي r على أمته، وأخــبرهم بأسبابها، وحذرهم منها، ووصف العلاج النافع لها، وكذلك فعل أصحابه y، وهي التي نحاول في هذا البحث دراستها وبيان الموقف الصحيح النافع منها - إن شاء الله تعالى -.

وقد تكرر ذكر هذه الفتن في السنة كثيراً فمن ذلك:

عن أسامة بن زيد y قال: أشرف النبي r على أطم من آطام المدينة، ثم قال: « هل ترون ما أرى؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » (١).

قال النووي -رحمه الله -: ((والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي أنها كثيرة وتعم الناس، لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم، كوقعه الجمل، وصفين، والحرة، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين رضى الله عنهما، وغير ذلك، وفيه معجزة ظاهرة له r)) (٢)

عن حذيفة t قال: كنا عند عمر t فقال: أيكم يحفظ حديــث رسول الله r في الفتنة كما قال؟ فقلت: أنا. قال: إنك لجريء، وكيف قال؟ قال: قلت: سمعت رسول الله r يقول: « فتنة الرجل في أهله وماله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣/١٤-مع فتح البــاري)، ومــسلم في صــحيحه (٤/٢٢١١رقم٢٨٨٥) .

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/٧-٨) .

ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فقال عمر t : ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر. قال: فقلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إنَّ بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: أفيكسر الباب أم يفتح؟ قال: قلت: لا، بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يغلق أبداً . قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم مَنِ الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأل حذيفة مَن الباب؟ فقلنا لمسروق: سله، فسأله، فقال: عمر[(١)]

ففي هذا الحديث بيان لنوعي الفتن الخاصة والعامة، وأن الخاصة هي فتنة الرجل في خاصة نفسه فيما حبب إليه من زينة الحياة الدنيا، وأن هذه الفتنة تكفِّرها الأعمال الصالحة،وأن المصيبة العظمة، والطامة الكبرى هي الفتنة العامة، التي تموج موج البحر، فتضعف الأمة، وتتفرق، ويضرب بعضها بعضاً، ويسبي بعضها بعضاً، حتى تكون كالغنم الشاردة وسط واد من الذئاب بلا راعٍ ولا حافظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهذه الفتنة هي التي سأل عنها عمر t أصحاب النبي r ، فأخبره بها حذيفة t ، وهو المشهور بين الصحابة y بمعرفة أمر الفتن وسبل النجاة منها، وذلك لكثرة سؤاله النبيَّ r عنها، وسأبين في المباحث القادمة أمر هذه الفتنة، وسبل النجاة منها - إن شاء الله تعالى-.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٩٨/٦) مع فتح البـــاري، ومـــسلم في صـــحيحه (٢٢١٨/٤رقم ٢٢١٨/١٤٤) واللفظ له.

المبحث الثالث: أسباب الفتن

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم هملاً، بل خلقهم لعبادته، وأرسل لهم رسلاً يعلمونهم عبادته، وينذرون العاصي، ويبشرون المطيع، ووعد الله سبحانه من أطاع رسله بالأمن التام في الدنيا والآخرة، وتوعد من عصاهم بالخسران في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:] ! " # $ & ' ( ) *
+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7
8 9 : ; < = > Z [البقرة: ٣٨ – ٣٩]

وقال تعالى:] قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ´ µ ¶ فَإِمَّا
يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ
أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ
(١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) ! " # $
% ' ( ) * + , - . / 0 1 2
4 5 6 7 Z [طه: ١٢٣ – ١٢٧]

قال ابن كثير - رحمه الله -: (( ] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي Z؛ أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غير

هداه.] فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا Z أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيِّقٌ حَرِجٌ لضلاله، وإنْ تَنَعَّمَ ظاهرُه، ولَبِسَ ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإنَّ قلبَهُ ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلقٍ وحيرةٍ وشك، فلا يزال في ريبةٍ يتردد، فهذا من ضنك المعيشة))[1].

فهذه الآيات تبين السبب الأعظم في فتنة الأمة العظمى ألا وهو بعدها عن هدى الله الذي من تمسك به أمن وسلم في الدنيا والآخرة، ويمـــكن أن نفصل في الأسباب **ونقسمها إلى قسمين:**

القسم الأول: الأسباب الكونية.

القسم الثاني: الأسباب الخاصة [البشرية].

القسم الأول: الأسباب الكونية

المراد بالأسباب الكونية الأسباب الخارجة عن قدرة البشر والتي ذكرها الله في كتابه، أو ذكرها رسوله r في السنة، والتي جعلت -كذلك- علامة على الفتنة العامة، فإذا وقعت هذه الأسباب وقعت الفتنة العامة فمن هذه الأسباب:

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٢٩٩).

السبب الأول: إظهار حكمة الله وعدله في ابتلاء الناس بعضهم ببعض، ليحيى من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) *
+ , - . / 0 2 3 5 6 7 8
9 : ; < = Z [هود: ١١٨ – ١١٩]

قال ابن كثير - رحمه الله -: ((يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره، لعلمه التام وحكمته النافذة أنَّ من خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنَّه لابد أنْ يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والإنس، وله الحجةُ البالغةُ، والحكمةُ التامةُ)).(١)

وهذا الذي جرى في أمة النبي r هي سنته سبحانه وتعالى في الأمم قبلها، ليميز الله الخبيثَ من الطيبِ، ولذلك قال سبحانه عقب الآية السابقة:] ? @ A B C D E F G H J K
L M N O P Q R S T U V W
X Y Z [\ ] ^ Z [هود: ١٢٠ – ١٢٢]

فدلت هذه الآيات أن الابتلاء سنة الله في الأمم الماضية، وهو سنته في هذه الأمة، ولذلك قص الله أخبار الأمم الماضية وأحوالهم مع أنبيائهم،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٨٢٤).

ليكون له r بالماضيين من الأنبياء والمرسلين أسوة وقدوة، ثم بشره بحسن العاقبة له ولجنده المتمسكين بهديه، السائرين على سنته ((وقد أنجز الله وعده لرسوله r ، ونصره، وأيَّده، وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزيز حكيم)) [(١)] .

والآيات التي تدل على أنَّ الابتلاء سنة الله في خلقه، وله سبحانه وتعالى الحجة البالغة، والحكمة التامة، والمشيئة النافذة، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره سبحانه وتقدس، الآيات في ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى:] أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ © يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ ´ µ ¶ ¸ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ Z [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى:] ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N P Q R S Z [التوبة: ١٦]. وقال تعالى:] q r s t u v w x y z { | } ~ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ © ٱلْكَٰذِبِينَ Z [العنكبوت: ١ – ٣]

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/١٨٢١).

وكما دل القرآن على ذلك دلت السنة، فمن ذلك:

ما جاء عن جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري t قال: لَمَّا نزلت هذه الآية: [w x y z { | } ~ مِّن فَوْقِكُمْ Z [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله r: « أعوذ بوجهك » قال:] أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ Z [الأنعام: ٦٥] قال: « أعوذ بوجهك »] أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا © بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ Z [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله r: « هذا أهون - أو هذا أيسر- »[(١)].

وعن سعد بن أبي وقاص t: أنَّ رسول الله r أقبلَ ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا فقال r: « سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»[(٢)].

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أنَّ رسول الله r دخل عليها يوماً فزعاً، يقول: « لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه »- وعقد سفيان:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/٢٩١- مع فتح الباري).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٢١٦رقم٢٨٩٠) .

تسعين أو مائة-[١] قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال:« نعم إذا كثر الخبث» [٢].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة »[٣].

وفي رواية: « كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة ».

وفي رواية أخرى: «كلهم في النار إلا واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: « ما أنا عليه وأصحابي»[٤].

---

(١) أي: شبَّك بين أصابعه إشارة معلومة عندهم على رقم تسعين أو رقم مائة. قال الحافظ ابن حجر: ((وعقْدُ التسعين: أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ويضمها ضماً محكماً بحيث تنطوي عقدتاها حتى تصير مثل الحية المطوقة، وعقْدُ المائة: مثل عقد التسعين، لكن بالخنصر اليسرى، فعلى هذا فالتسعون والمائة متقاربان، ولذلك وقع فيهما الشك)) فتح الباري (١٣/١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٣/١١-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٢٠٨رقم٢٨٨٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (١٤/١٢٤ط الرسالة)، وأبو داود في سننه (رقم٤٥٩٦)، والترمذي في سننه (رقم٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في سننه (رقم٣٩٩١)

(٤) انظر تخريج روايات الحديث في الحاشية رقم (١) على مسند الإمام أحمد (٢٨/١٣٥ط الرسالة)، وإتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجري (١/٢٦١).

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها؛ تدل على وقوع الفتن العظام في الأمة، وأنَّ الأمة سيصيبها ما أصاب الأمم السابقة قبلها من فتن عظام، وفرقة وهرج ومرج، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وليس معنى وقوع هذه الفتن كوناً أنَّ الإنسان لا يعالجها بما شرعه الله من الأسباب المنجية، فإن النصوص لا تدل على ذلك، بل تخبر بأن هذا واقع في الأمة لا محالة، ويهلك بسببه أكثر الأمة، ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله، وأخذ بأسباب النجاة، فلا يجوز للمسلم أن يركن إلى الفتن وأهلها، بل عليه أن يدفعها، لأن دفع هذه الفتن بما يستطيع الإنسان من أسباب مشروعة واجب شرعاً على العام والخاص من هذه الأمة .

وسيأتي في المباحث القادمة - إن شاء الله تعالى- الوسائل المنجية من هذه الفتن، نسأل الله العافية من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

السبب الثاني: موت النبي r :

موت النبي r من أعظم المصائب التي ابتليت بها الأمة الإسلامية. فبموته r انقطع خبر السماء عن الأرض، بما فيه من نور وخير وهدى وصلاح لأمر الناس في معاشهم ومعادهم .

فعن أنس t قال: ((قال أبو بكر t بعد وفاة رسول الله r لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله r يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله r . فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أنَّ ما عند الله خير لرسوله r ولكن

أبكي أنَّ الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها))[١].

وبموته r فقدت الأمة الإمام المعصوم، والأسوة الحسنة، والحكم العدل الذي ترجع إليه عند الاختلاف .

قال تعالى:] ¶ ¸ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z [النور: ٥١].

وقال تعالى:] ! " # $ % ' ( ) * + ,

- . / 1 2 3 5 6 7 8 9 :

; < = > ? @ A B C D E

F G H I J K L M N O P

Q R S T U W X Y Z [ ] ^

_ ` a b c Z [النور: ٥٤ – ٥٥].

وقال تعالى:] r s t u v w x y

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٩٠٨/٤رقم٢٤٥٤).

} | { ~ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ © رَّحِيمًا Z [النساء: ٦٤] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد جعل r موته شرطاً من أشراط الساعة، وعلامة من علاماتها، ومن المعلوم أن الفتن تكثر قرب قيام الساعة.

فعن عوف بن مالك t قال: أتيت النبي r في غزوة تبوك، وهو في قُبَّةٍ من أدم، فقال: « اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتـــح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم[1]، ثم استفاضة المال، حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غايةً [2]، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا» [3] .

وبموته r ارتفع الأمان عن أهل الأرض، وأتى أصحابه ما يوعدون من الفتن والبلاء . قال تعالى:] وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ Z [الأنفال: ٣٣].

---

(١) كقعاص الغنم: القُعاصئ –بالضم- داء يأخذ الغَنم لا يُلْبِثُها أن تموت. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٨٨/٤).

(٢) غاية : أي: راية.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢٧٧/٦-مع فتح الباري).

وقد جاء في معنى هذه الآية عن t قال ابن عباس: ((كان فيهم أمانان: النبي r، والاستغفار، فذهب النبي r وبقي الاستغفار))(١).

ويشهد لهذا التفسير الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري t قال: صلينا المغرب مع رسول الله r، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: « ما زلتم ههنا؟ » قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: «أحسنتم -أو أصبتم-» قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: « النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» (٢).

قال النووي -رحمه الله-: ((قوله r: « وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون» أي: من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك))(٣).

وعن أنس t قال: لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله r

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/٥١١-شاكر) وسنده صحيح على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم (٢/٨٤٣رقم١١٨٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/١٥٧٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/١٩٦١رقم٢٥٣١).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/٨٣) .

المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي **r** الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا[(١)].

وعن الحسن البصري -رحمه الله- عن أبي بن كعب **t** قال((كنا مع رسول الله **r** وإنما وجهنا واحد، فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا))[(٢)].

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل على أن موت النبي **r** من الأسباب الكونية لوقوع الفتن الكبار في الأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثالث: موت الصحابة y

أثنى الله -عزَّ وجلَّ- على أصحاب نبيه **r** في القرآن كثيراً وعدَّلهم، وصحح نياتهم، وبين فضلهم على سائر الناس .

قال تعالى: [! " # % & ' ( ) *

+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8

9 : ; < = > ? @ A B C D E F G

H I J K L M N O P Q R S

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢١/٣٣٠)، والترمذي في سننه (رقم٣٦١٨) وقال: حديث غريب صحيح، وابن ماجه في سننه (رقم١٦٣١)، وابن حبان في صحيحه (٦٦٣٤ط الرسالة) وصححه الشيخ الألباني في صحيح موارد الظمآن (رقم٢١٦٣).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (رقم١٦٣٣)

T U V W X Y Z [\ Z [الفتح: ٢٩]

والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وكذلك أثنى الله عليهم رسول الله r ، وبين أنهم أفضل الناس، وأنَّ المتمسك بهديهم يناله من الفضل والخير والأمن بقدر ما تمسك بهديهم.

فمن ذلك حديث عمران بن الحصين t قال: سمعت رسول الله r يقول: « إنَّ خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم -قال عمران: لا أدرى أقال رسول الله r بعد قرنه مرتين أو ثلاثة- ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يُتَّمَنُّون[١]، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ »[٢].

ففي هذه الأحاديث وما جاء في معناها دليل على فضل الصحابة وبركتهم على الأمة، وأن الفتن تفتح على الأمة بعد موت الصحابة y ، وقد جاء ذلك مصرحاً به في حديث أبي موسى السابق وفيه: « وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون »[٣].

قال النووي -رحمه الله-: ((قوله r : « وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا

---

(١) قال النووي في شرحه على مسلم (٨٥/١٦) : " هكذا في أكثر النسخ: يُتَّمَنُّون -بتشديد النون-، وفي بعضها : يؤتمنون، ومعناه: يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة".

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٨٧/٢)، ومسلم في صحيحه (١٩٦٤/٤رقم٢٥٣٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص/٣٦) .

ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته r))[١].

وعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: ((كان الناس في عهد رسول الله r إذا قام المصلي يصلي لم يعْدُ بصرُ أحدهم موضعَ قدميه، فلما توفي رسول الله r وكان أبو بكر، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يَعْدُ بصرُ أحدهم موضعَ جبينه، فتوفي أبو بكر وكان عمر، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعْدُ بصرُ أحدهم موضعَ القبلة، وكان عثمان بن عفان وكانت الفتنة، فتلفَّتَ الناسُ يميناً وشمالاً))[٢] .

فهذه الأحاديث تدلُّ على أنَّ الفتن إنَّما فتحت على الأمة بعد موت الصحابة y .

القسم الثاني من أسباب الفتن: الأسباب الخاصة.

ونعني بالأسباب الخاصة الأمور والأعمال التي قام بها المسلمون أو غيرهم أفراداً وجماعات وأدت إلى قيام الفتن العظام في الأمة.

فمن هذه الأسباب:

---

(١) شرح النووي على مسلم (٨٣/١٦).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٥٢٣/١رقم١٦٣٤).

السبب الأول: تساهل المسلمين في اتباع الكتاب والسنة، ولا سيما عند النوازل والاختلاف.

من المعلوم أن نجاة الأمة متوقفة على الأخذ بكتاب الله وسنة نبيه r في كل أمر من أمور الدين ولا سيما وقت النوازل والاختلاف والاضطرار، وكلما بعد الزمان عن القرون المفضلة زادت الحاجة إلى التمسك بالكتاب والسنة .

والأدلة على هذا كثيرة منها:

قوله تعالى:] قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ´ µ ¶ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ! " # $ % & ' ( ) Z [طه: ١٢٣ – ١٢٦]

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ((تكفَّل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لا يضلَّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة)) (١).

وقال تعالى:] فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ´

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٦/٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٥/١٦) وانظر: الدر المنثور (٦٠٧/٥).

µ ¶ ¸ يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا Z [النساء: ٦٥]

وقال تعالى: [ ] ^ _ ` a b c d e f g h Z [النور: ٦٣]

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((وقوله: [ ] ^ _ ` a Z أي: عن أمر رسول الله r؛ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِلَ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله r أنه قال: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1] أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً [b c d Z أي: في قلوبهم من كُفْرٍ، أو نفاقٍ، أو بدعة، [e f g h Z أي: في الدنيا بقتل، أو حدٍّ، أو حبسٍ، أو نحو ذلك))[2].

وكلام ابن كثير -رحمه الله- كلام نفيس كما ترى، دقيقٌ ينبئ عن فهم ثاقب لأمراض الأمة وأسبابها، وأن أعظم سبب هو مخالفة رسول الله r ،

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه (رقم١٧١٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٥٣٥).

فلما خالفته الأمة أصابها ما أصابها من الفتن العظيمة، وما نتج عنها من اختلاف وافتراق وبدع وهرْج ومرْج نسأل الله أن يردَّ الأمة إلى دينها رداً جميلاً، فإنَّ في التمسك بالكتاب والسنة النجاة والسلامة والهدى والائتلاف والاجتماع كما في الحديث: « تركت فيكم ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي »(١).

وعن عبد الله بن مسعود t قال: ((خط لنا رسول الله r خطاً، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً، ثم قال: « هذا سبيل الله، وهذه السبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه،] J K L M N P Q R S T U V Z [الأنعام: ١٥٣].

وهذا الذي أصاب الأمة -ولا حول ولا قوة إلا بالله- لَمَّا تركت الصراط المستقيم وحبل الله القويم، وتمسَّكَ كلٌّ برأيه وهواه، فضلَّت وأضلَّت، وتفرَّقت شذرَ مذرَ، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون.

فظهرت البدع والفرق والأحزاب، وصار لها قادةٌ ورؤساء يدعون إليها، ويدافعون عنها، ويقاتلون في سبيلها، وحلَّتْ في الأمة بسبب هذه

---

(١) رواه الدارقطني في سننه (٢٤٥/٤)، والحاكم في المستدرك (٩٣/١) وصححه، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٤/١٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٠/١) عن ابن عباس وأبي هريرة y.

الفرق الويلاتُ والنكباتُ، كما حدث من الروافض والخوارج والباطنيـــة وغيرهم من الفرق المخالفة.

وكل هذا بسبب بعدهم عن الكتاب والسنة، ونكيرهم على المتمسك بهما، حتى أصاب الإسلام منهم من الأذى ما لم يستطع أعداء المسلمين أن يصيبوا معشاره، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والمتتبع لتاريخ الإسلام منذ ظهور هذه الفرق يجد برهان هذا واضحاً جلياً عند المؤرخين، وعبر السنين.

السبب الثاني: كيد أعداء الإسلام بالمسلمين.

من أعظم أسباب الفتن والبلايا التي وقعت بالأمة، ولا تزال، كيد أعداء الإسلام من يهود ونصارى ووثنيين.

فمنذ أن أشرقت شمس الإسلام، وأنارت أرجاء المعمورة، وأيقن من لم يرد الله هدايته من يهود ونصارى ومجوس ونحوهم عجزَهم عن ستر ضوء الشمس ونور القمر بأيديهم عمدوا إلى الكيد والمكر مستفيدين من خبرة اليهود الطويلة، وتجاربهم العديدة في الحسد والكيد والمكر لكل صاحب هدى وحق، فهم قتلة الأنبياء والصالحين، وهم أعداء ربِّ العالمين، وهم حُسَّاد أهل الخير والصلاح، وخبرتُهم في ضرب الخيرِ والكيد له طويلةٌ عبر السنين.

قال تعالى:] مَّا يَوَدُّ ´ µ ¶ ¸ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ

بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ Z [البقرة: ١٠٥]

وقال تعالى:] ^ _ ` a b c d
e f g h i j k l m n o p
q r Z [البقرة:١٠٩]

وقال تعالى:] © جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ ´ µ Z [البقرة: ٨٧]

فهذه الآيات وما جاء في معناها تدل على عظم بغي وكيد وعدوان الكفار، على اختلاف طوائفهم، ومللهم، ومسمياتهم، ومكانهم، وزمانهم؛ تدلُّ على شدةِ عداوتهم وحسدهم للإسلام وأهله، ولا سيما اليهود .

والمتدبر لحالهم مع الإسلام منذ عصره الأوَّل، لما كان رسول الله r بمكة حتى يومنا هذا، يجد أنَّهم أشد الناس عداوة لنا، وأجلد أعداء الإسلام على حربه، وأكثرهم له أذى، ونحن الآن معهم منذ ما يقارب المائة عام في محنة وبلاء عظيمين، فقد استطاعوا بكيدهم ودهائهم السيطرَةَ على الدُّولِ الكبرى التي أعانتهم على احتلال المسجد الأقصى فحصل بذلك بلاءٌ عظيم للإسلام وأهله، فهُدِّمت المساجد، وظهر الفساد، وأُعْلِنَ بالكفر في المسجد الأقصى مصلى الأنبياء، وقُتِلَ المسلمون، وهُجِّروا من بلادهم، وأهينوا، ومن بقي ؛ بقي ذليلاً، ومن خرج، خرجَ طريداً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأوَّل بلاء عامٍّ أصاب الأمة من أعدائها، وبه كُسِر البابُ الواقي من الفتن مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t على يدِ عدوِّ الإسلام أبي لؤلؤة المجوسي[١].

ثم تولَّى كِبَرَ العداوةِ اليهودُ فخطَّطُوا لِزَلْزَلَة العالم الإسلامي بطريقة ماكرة خبيثة يكون لهم غنمُها وعلى المسلمين غُرمُها، فبثُّوا بين جهال المسلمين وأغرارهم وسفهائهم، أنَّ الأمة بحاجة إلى الإصلاح وأنَّ خيرات البلاد قد ضاعت ونُهِبَت، وأنَّ أمراء البلاد وعلى رأسهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان t هم سبب هذا البلاء، وأنَّ الإصلاح يجب أن يبدأ بالخليفة، فاجتمع هؤلاء الجهال السفهاء الأغرار تحت إمرة اليهودي عبد الله بن سبأ.

وحدث للإسلام وأهله من الفتن والبلايا العظام ما لا يعلمه إلا الله، كقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان t [٢]، وانقسام المسلمين إلى عسكرين كبيرين[٣]، واقتتال الصحابة y [٤]، ولا تزال آثار هذا الكيد في الأمة إلى يومنا هذا متمثلاً في الفرق الإسلامية المتعادية المتناحرة في بلاد العالم الإسلامي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٥٥٩-٥٦١).
(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٦٦١).
(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٦٧٩).
(٤) انظر: المصدر السابق (٣/٢٨-٥٥، ٧١-١٠٨).

وهذا الأمر -أعني: أثر كيد الأعداء في ظهور الفتن- جليٌّ واضحٌ كوضوح الشمس في رابعة النهار، وإنما أردت أن أذكر إشاراتٍ لهذا الكيد، وأثره على الأمة الإسلامية.

ومن أعظم كيدهم ومكرهم: هذه الهجمة الشرسة التي يشنُّها أعداء الإسلام من يهود ونصارى على البلاد الإسلامية في هذا الزمان عسكرياً واقتصادياً وفكرياً، وكذلك هجومهم وكيدهم لبلادنا بلاد الحرمين، وتشويه سمعة أهلها حكاماً ومحكومين، واتهام دين الإسلام بأنه دين إرهاب وفوضى، واتهام نبي الإسلام بذلك، وهو الذي أثنى عليه الله -عزَّ وجلَّ- بالرأفة والرحمة .

وهو الذي جاءه مَلَكُ الجبال يستأذنه إن شاء أن يطبق على أهل مكة الأخشبين[1] فقال ﷺ: « لا، ولكن أتأنا بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله، ولا يشرك به شيئاً »[2].

وكل هذا من أجل صد قومهم عن الدخول في الإسلام بعد أن انتشر الإسلام في بلادهم انتشاراً عظيماً بسبب ما رأوه فيه من صدقٍ، وعفَّة، وطهارة، ورحمة وموافقة للفطرة والعقل، وجلبٍ للسعادة الروحية والبدنية.

---

(١) الأخشبان: الجَبَلاَن المُطِيفَان بمكة، وهُمَا: أبو قُبَيْس والأحْمَرُ_وهو جبل مُــشْرِفٌ وجهه على قُعَيْقعَان_، والأخشبُ كُلُّ جبل خَشِنٍ غليظ الحجارة. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٢/٢) .

(٢) رواه البخاري في صحيحة (١١٨٠/٣)، ومسلم في صحيحه (١٤٢٠/٣).

فكادوا للبلاد الإسلامية حتى يشغلوا أهلها بأنفسهم، ويتركوا الدعوة إلى الإسلام حتى تبقى ممالكهم تحت سيطرتهم.

نسأل الله أن يبطل مكرهم، وأن يجعل كيدهم في نحورهم، وأن يجعل الدائرة عليهم إنه عزيز حكيم قوي متين.

] ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ! "
$ % & ' ( ) * + - . /
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ;
< Z [آل عمران: ١٧٣ – ١٧٥]

السبب الثالث: ظهور الفساد والمعاصي وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن من أعظم الأسباب خطورة وأثرا في ظهور الفتن في الأمة هو ما ابتلي به المسلمون في أكثر بلدانهم من فساد واضح في عقائدهم وأعمالهم وأخلاقهم ومعاملاتهم حتى أصبح -وللأسف الشديد- الشركُ في بعض البلاد توحيداً، والمنكرُ معروفاً، بدعٌ ينشأ عليها الصغير، ويموت عليها الكبير بلا أدنى نكير إلا مَن رحم ربُّكَ وقليل ما هم.

قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * +
, - . / 0 1 2 3 Z [الأنفال: ٥٣]

وقال تعالى:] ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ Z [الروم: ٤١]

وأعظم فساد، وأعظم ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به هو الشرك بالله -عزَّ وجلَّ-، كما هو واقعُ بعضِ البلادِ الإسلامي، من عبادةٍ لغير الله -عز وجل-، كحال أهل القبور الذين عصوا الله ورسوله فبنوا عليها المساجد والقباب، وسموها مشاهد وأعتاب، وسموا زيارتَها حجاً، وبدعَها مناسك، فطافوا بها طوافهم بالكعبة، ونحروا عندها نحرهم في من، وسألوا أصحابها ما لا يقدر عليه إلا الله.

وكما هو حال المتصوفة مع أوليائهم الذين نسبوا لهم كل خارقة، وسألوهم كلَّ شاردةٍ وواردةٍ زاعمين قدرتهم على أمور الدنيا والآخرة.

وكما هو حال الرافضة في مشاهد الأئمة حيث عمروها مخالفين الكتاب والسنة، وزينوها بكل نفيس وغالٍ مفاخرين بهذه القبور المسجد الحرام ومسجد الرسول r ، مع تعلُّقِ قلوبهم بالأموات وسؤالهم حاجاتهم من الموتى في جميع الحالات، حتى وهم صافُّون بين يدي الله في الصلاةِ، فلذلك ذلَّتِ الأمة، وهانت على ربِّ الأرض والسموات.

كانت الأمة حيَّةً لما كانت تعبد الحيَّ الذي لا يموت، وهانت وذلت

لما تعلَّقت وتوكَّلت على الأموات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والآيات والأحاديث في خطر الشرك وما يجلب على الأمة من فسادٍ كثيرةٌ جداً، فأولُ أمرٍ في القرآن دعوةٌ إلى التوحيد، وأول نهي في القرآن نهيٌ عن الشرك.

قال تعالى: [g h i j k l Z [النساء: ٣٦]

وقال تعالى: [W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m Z [الأنعام: ٥٦]

وقال تعالى:] وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ © عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z [الزمر: ٦٥]

وعن أبي بكرة t قال: قال النبي r: « أكبر الكبائر الإشراك بالله»[١].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: « الشركُ بالله، والسحرُ، وقتلُ النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكلُ مال اليتيم، وأكلُ الربا، والتولي يوم الزحف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات » [٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٢/٢٦٤-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (١/٩١رقم٨٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٢/١٨١-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (١/٩٢رقم٨٩).

فانتشار هذه الموبقات في الأمة من أعظم الأسباب لجلب غضب رب الأرض والسموات، ولا يرفع غضبه ومقته إلا بالتوبة النصوح، والرجوع إلى الله -عزَّ وجلَّ-، وإفراده -سبحانه وتعالى- بالعبادة، وإفراد نبيه r بالمتابعة، وتطهير المجتمعات الإسلامية من هذه الرزايا والبلايا .

وللأسف الشديد فقد صحب ظهور هذه المنكرات في البلاد الإسلامية تقصير واضحٌ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما ساعد على استمرارها وعدم إزالتها، حتى اعتادها الناس على اختلاف أحوالهم، ولم يعودوا يرفعون لها رأساً، ولم تعُد وجوههم تتمعَّر غضباً لله، فعمَّتِ الفتنةُ -بسبب ذلك- العامَّ والخاصَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال تعالى: [f g h i j k l m

n o p | r s t u v w x

y z { | } ~ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ Z

[آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥]

وقال تعالى: [! " # $ % & ' |) * +

, - . | 0 1 2 3 4 5 6 7

8 9 : ; < = > ? @ A B

C D E F G H Z [الأعراف: ١٦٤ – ١٦٥].

وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- أن النبي r قال: « والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشِـــكَنَّ الله أن يبْعَثَ عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعُنَّهُ فلا يستجيب لكم »[١].

وعن قيس بن أبي حازم -رحمه الله- قال: ((قام أبو بكر t فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية:] ; <

= > ? A B C D E F H I J

K L M N O Z [المائدة: ١٠٥]، وإنا سمعنا رسول الله r يقول: « إنَّ الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه »[٢].

وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: قال النبي r: « مثل الْمُدْهِنِ[٣] في حدود الله والواقع فيها: مثل قوم استهموا سفينة،

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٨/٣٣٢ط الرسالة)، والترمذي (رقم٢١٦٩) وحسنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/١٧٨ط الرسالة)، والحميدي في مسنده (رقم١٢٨)، وأبو داود في ســـنته (٤/١٢٢)، والترمـــذي في ســـننه (٤/٤٦٧رقـــم٢١٦٨) وقال:حديث صحيح، وابن ماجه في سننه (رقم٤٠٠٥)، وابن حبان في صحيحه (١/٥٤٠رقم٣٠٥) وإسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في صحيح مـــوارد الظمآن (رقم١٨٣٧).

(٣) الْمُدْهِنُ –بضم أوله، وسكون المهملة، وكسر الهاء- : أي : المحابي الذي يراعـــي ويضيع الحقوق، ولا يغير المنكر .قاله الحافظ في فتح الباري (٥/٢٩٥) .

فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه، فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي، ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونُجّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم »[1].

فالواجب على الأمة وقتَ الفتنِ أن ترجع إلى الله وتتقيه حقَّ تقاته، وتقوم بما أوجب الله عليها من توحيده وتقواه، والابتعاد عن المعاصي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما شرع الله عزَّ وجلَّ بدون تفريط ولا إفراطٍ، بل خياراً وسطاً، كما كان النبي ﷺ وأصحابُه، لعلَّ الله أن يمُنَّ عليها بعد ذلك بالعِزَّةِ، والكرامة، والألفة، والاجتماع، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

السبب الرابع: الخروج على أولياء أمور المسلمين ومنازعتهم ما بأيديهم بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من الأصول المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة: السمع والطاعة لمن ولاه الله أمر الأمة، وهذه الطاعة دائمةٌ في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وفي العدل والجور، وعلى أثرة علينا، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمرَ بمعصيةٍ فإنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق .

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/٣٩٢-مع فتح الباري).

قال الطحاوي رحمه الله-: ((ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة))(١).

ففي هذه الجملة الوجيزة من المعتقد فوائد عظيمة تبيِّن عمقُ فهم السلف الصالح -رحمهم الله- في هذا الباب الخطِر، وحرصهم على سلامة الأمة، وبعدهم عن كل سببٍ يؤدي إلى تفرقهم وفساد حالهم .

فقوله -رحمه الله-: ((ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا)) يبين أن الطاعة ملازمة في الحالين: العدل والجور، لأن جَورَهم مع اجتماع الأمة خيرٌ من تفَرُّقِها شذرَ مذرَ دون إمام .

وقوله: ((ولا ندعوا عليهم)) فيه من دقَّة الفهمِ الشيءُ العظيم، وفيه أن الطاعة تكون في السرِّ والعلن، وأن من حقِّ الإمام أن يُدْعا له بالصلاح والهداية، وأن الدعاء عليه مخالفٌ لمذهب السلف الصالح بل هو نوع من الدعوة إلى تفريقِ الأمة، وإهانةِ سلطانها، ومَلْءِ قلوب العوام ضده بما لا فائدة فيه للأمة.

ثم قال -رحمه الله-: ((ونرى طاعتهم من طاعة الله –عزَّ وجلَّ- فريضة)) فهذا الذي دلَّت عليه النصوص الشرعية، لقوله تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ Z [النساء: ٥٩].

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص/٥٤٠-مع شرح ابن أبي العز).

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: « من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني »[١].

وقوله -رحمه الله-: ((وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة)) تأكيد لما سبق من عدمِ جواز الدعاء عليهم في السر والعلن، لما في صلاحهم من خير للأمة عامة.

والنصوص في وجوب طاعة السلطان وتحريم الخروج عليه أو الإعانة على ذلك باليد واللسان أو نحو ذلك كثيرة مشهورة، وليس المراد جمعها، وإنما المقصود بيان خطورة مخالفة هذه النصوص، وما أجمعت عليه الأمة من وجوب طاعتهم.

وقد يظن من لا فقه عنده أن الدعوة إلى طاعتهم إنما هي من أجل ذواتهم ومناصبهم والمحافظة عليها، وليس هذا هو المراد أبداً. نعم نحن نحرص وننصح للأمة خاصها وعامها، وحاكمها ومحكومها، ونحب سلامة الجميع من كل سوء، وإنما المقصود من التشديد على طاعتهم وتحريم الخروج عليهم بأي وسيلة هو مصلحةُ الأمة عامة، فإن ما يحصل للأمة من مخالفة ولاة أمورها والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما يفسده الأئمة بجورهم.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وقل من خرج على إمام ذي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/١١٦-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (٣/١٤٦٦رقم ١٨٣٥).

سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظمُ مما تولَّدَ من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة[١]، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق [٢]، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان[٣]، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان -أيضاً-[٤]، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة[٥]، وأمثال هؤلاء.

---

(١) كانت حادثة الخروج على يزيد بن معاوية بالمدينة سنة ٦٣ هـ انظر: تاريخ الطبري (٣/٣٥٢-٣٥٩).

(٢) كانت فتنة عبد الرحمن بن الأشعث في العراق، وقد خرج معه جماعة من القراء على الحجاج، ثم أعلن ابن الأشعث خروجه على عبد الملك بن مروان، وحصل بينه وبين الحجاج حروب كان آخرها وقعة الجماجم التي انتصر فيها الحجاج وبها انتهت فتنة ابن الأشعث. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩/٣٥-٤٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/٣٣٤، ٦/٨-١٦).

(٣) كان خروج يزيد بن المهلب مع آل المهلب على يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ هـ واستمرت حتى سنة ١٠٢هـ، إلى أن تمكنت جيوش الخليفة بقيادة مسلمة بن عبد الملك من القضاء على فتنته. انظر البداية والنهاية (٩/٢١٩-٢٢٢)

(٤) كان أبو مسلم الخراساني أحد الدعاة لدولة بني العباس، وكان بداية ظهوره عام ١٢٩ هـ في خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية، وما زال أمره في ازدياد حتى قامت دولة بني العباس، وسفك في سبيل إقامتها ما لا يحصى من الدماء، وبعد موت أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس حدثته نفسه بالملك وأراد انتزاع الأمر من أبي جعفر المنصور، فاستدرجه الخليفة المنصور وقضى عليه سنة ١٣٧ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/٣٣-٣٥، ٥٥-٧١).

(٥) خرج محمد بن عبد الله بن حسن الهاشمي بالمدينة وبعده أخوه إبراهيم بالبصرة على=

وغاية هؤلاء، إما أن يُغْلَبُـــوا، وإما أن يَغْلِبُـــوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة، فإنَّ عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهُزِمُوا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا ديناً، ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمرٍ لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم -رضي الله عنهم -، ومع هذا لم يحمدوا على ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم، وكذلك أهل الحرَّةِ كان فيهم من أهل العلم والدين خلقٌ ... بل وصار ذلك سبباً لشرٍّ عظيمٍ، وكان قتلُ الحسين مما أوجب الفتنَ، كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن، وهذا كله مما يبين أنَّ ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جَور الأئمة، وترك قتالهم والخروج عليهم، هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأنَّ مَنْ خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاحٌ، بل فساد، ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: « إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[1]، ولم يثن على أحد لا بقتال

=أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـــ وقضى عليهما في نفس السنة، وقتل بسببهما أنـــاس كثيرون دون طائل إلا إثارة الفتنة. انظر: البداية والنهاية (٩٥/١٠)

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٧/٥-مع فتح الباري).

في فـــتنة، ولا بخـــروج على الأئـــمة، ولا نزع يد من طـــاعة، ولا مفارقة جماعة)) [١].

فانظر -رعاك الله وحماك من مضلات الفتن- إلى هذا الكلام الدقيق المبني على النصوص الشرعية، وفهم سلف الأمة، وفقه الواقع الذي مـــر بالأمة عبر السنين. وقد يسرع من يقرأ هذا الكلام المبين إلى اتهام شيخ الإسلام بأنه مداهنٌ لسلطان زمانه، وأنه ليتقلب في مناصبه ونعمه، وما درى المسكينُ أنَّ هذا الإمامَ الذي تكلَّم بهذا الكلام قد ذاق من ظلم الولاة وجَوْرهم الشيء العظيم، حتى إنه مات -رحمه الله- مسجوناً ظلماً بقلعة دمشق، ولم تصدر منه كلمة واحدة، ولم يجمع الناس حوله أو يؤلِّب قلوب العامة على سلطان زمانه الذي ظلمه لأنه لا ينظر إلى نفسه، ولا يدعو إلى نفسه، وإنما همُّه سلامةُ الأمة، والدعوةُ إلى الله — عزَّ وجلَّ-، فرحمه الله وجزاه عن الأمة خير الجزاء[٢].

وهذا المعتقد الواضح هو الذي سار عليه تلاميذه من بعده، قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فإذا كان إنكارُ المنكر يستلزم ما هو أنكرُ منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وان كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنَّه أساس كلِّ شرٍّ وفتنةٍ إلى آخر الدهر)) [٣]

---

(١) منهاج السنة (٥٢٧/٤-٥٣١) باختصار

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٤١/١٤)، وسيأتي -إن شاء الله- بيان لموقفه من الفتن.

(٣) إعلام الموقعين (٤/٣)، وانظر: منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله (٥٨١/٢).

فتبين بهذا أن الخروجَ على الأئمة باليدِ أو اللسانِ أو نحو ذلك -بحجة إنكار المنكر- من أعظم أسباب الفتن في الأمة إلى آخر الدهر.

والمتأمل لحال الأمة اليوم، وما أصابها من فتن عظام يجد أنَّ الخروجَ على ولاة الأمور من أعظم أسباب الفتن. فإحدى الدُّول الإسلامية في شرق إفريقيا قتل فيها بسبب ذلك كثيرٌ من المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا زال القتل فيها، وأخرى في شمال إفريقيا قتل فيها بسبب ذلك كثير من المسلمين -أيضاً-، ولا زال القتل جارياً فيها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأمثال هاتين الدولتين كثيرٌ، وكلُّهُ بسبب جهلِ بعض طلبة العلم والمتصدرين للدعوة، سئلوا فأفتوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضلُّوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسيأتي لذلك مزيد إيضاحٍ في الفصل الثالث -إن شاء الله تعالى-.

هذه بعض أسباب الفتن نعوذ بالله منها، ولعلَّ المتدبر لحالِ الأمةِ يجد أسباباً أخرى لم أذكرها هنا.

ومعرفة الأسباب أمر مهم، فإن العلاج يبدأ من معرفة السبب فإن لم تستطع علاج الأمة فلا أقلَّ من أن تبتعد عن الأسباب المؤدية إلى الفتن، حمانا الله وإياك منها.

المبحث الرابع: أزمان الفتن وأماكنها

سبق معنا عند ذكر أسباب الفتن أن بداية ظهور الفتن الكبار في الأمة بعد موت أصحاب النبي r لأن الله -عز وجلَّ- جعلهم أماناً للأمة، فإذا ذهب أصحاب النبي r أتى الأمة ما توعد[١].

قال النووي -رحمه الله-: ((معناه-أي: أمتي ما يوعدون- من ظهور البدع، والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته r))[٢].

ومما يدل على ذلك حديث حذيفة t قال: ((كنا عند عمر t فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله r في الفتنة كما قال؟ فقلت: أنا . قال: إنك لجريء، وكيف قال؟ قال: قلت: سمعت رسول الله r يقول: « فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » فقال عمر t : ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر. قال: فقلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إنَّ بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: أفيكسر الباب أم يفتح؟ قال: قلت: لا، بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يغلق أبداً ... قال:

---

(١) انظر : ما تقدم (ص/٣٨).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/٨٣).

فهبنا أن نسأل حذيفة مَن الباب ؟ فقلنا لمسروق: سله، فسأله، فقال: عمر)) [١].

ففي هذا الحديث دليل أن بداية ظهور الفتن الكبار في الأمة موتُ أصحاب النبي r ومنهم عمر t .

والمتأمل في واقع الأمة يجد هذا الأمر واضحاً بيِّناً، فإنَّ الفتنَ العظامَ بدأت بموت الصحابة y، فأولُ ذلك مقتل عثمان t ، ثم ما جرى بين الصحابةِ y من فتنٍ عظامٍ كالجمل[٢] وصفين[٣]، ثم ما جرى لأهل المدينةِ يومَ الحرَّةِ[٤]، ولأهل مكةَ أيامَ ابنِ الزبيرِ، وهكذا بدأتِ الفتنُ في الأمة بعد موتِ الصحابة y ولا زالت مستمرة، ولن تنتهي الفتن والملاحم حتى يأتي أمر الله آخر الزمان، والواقع يدلُّ على هذا، نسأل الله أن يصلح أمر الأمةِ، ويجمعَ كلمتها، ويؤلفَ بينها.

أما مكان ظهور هذه الفتن فإن البلاد الإسلامية كلها مكانٌ لظهور الفتنِ الكبار المتعاقبة على مرِّ الأزمان.

---

(١) تقدم تخريجه (ص/٢٦).

(٢) انظر عن وقعة الجمل: تاريخ الطبري (٣/٣-٤٠)، وعصر الخلافة الراشدة (ص/٤٠٧-٤١٦).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٧/٢٦٠)، وعصر الخلافة الراشدة (ص/٤١٨-٤٢٩).

(٤) يوم الحرة: أي زمن معركة الحرة، والمراد بالحرة حرة واقم، وهي ما يعرف اليوم بالحرة الشرقية بالمدينة النبوية، وكانت في زمن يزيد بن معاوية t ، لما خرج عليه أهل المدينة، وذلك في سنة ٦٣هـ انظر : تاريخ الطبري (٣/٣٥٢-٣٥٩) .

ولكن الأحاديث النبويةَ تشيرُ إلى بعضِ الأماكن بالتحديد، وأنها رأس الكفرِ، ومنبعُ الفتنِ.

فمن ذلك حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله r -وهو مستقبل المشرق- يقول: « ألا إنَّ الفتنة هَاهُنا، ألا إن الفتنةَ هاهنا، من حيثُ يطلعُ قرنُ الشيطانِ »[١].

وفي رواية أخرى: عن سالم بن عبد الله بن عمر يقول: ((يا أهلَ العراقِ، ما أسألكم عن الصغيرةِ، وأركبكم للكبيرة! سمعت أبي عبدَ اللهِ بنَ عمر يقول: سمعت رسول الله r يقول: « إن الفتنة تجيء من هاهنا، وأومأَ بيده نحو المشرق، حيث يطلع قرنا الشيطان »، وأنتم يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، وإنما قتل موسى الذي قتلَ من آل فرعونَ خطأ، فقال الله -عز وجل- له: [S T U VW X YZ [طه: ٤٠]))[٢].

ففي هذا الحديث تحديدٌ لمكانٍ معينٍ يقع شرق المدينة، وهو العراق الذي بدأت منه الفتنُ العظامُ التي أصابت الأمةَ.

فمنها الجماعة الذين تألبوا على قتل عثمـــانَ t [٣]، ومنهـــا تلك الأمور العظام التي جرت بين الصحابة y كالجمل وصفين.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٤٥)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٢٢٩رقم٢٩٠٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٢٩رقم٢٩٥٠) .

(٣) انظر : فتنة مقتل عثمان t د/ محمد الغبان، وإتحاف الجماعـــة للـــشيخ حمـــود التويجري (١/١٤٦) .

ومنها تحزُّبُ الخوارج الحرورية.

ومنها ظهور القدريةِ، والجهميةِ، والمعتزلةِ، إلى غير ذلك مما جرى ومن ذلك ما هو واقع في زماننا هذا من حروبٍ دامية سببها أهل العراق على الأمة الإسلامية.

وفي الحديث بيانُ خطورةِ القتل، حتى ولو كان المقتول كافراً[١]، فكيف إذا كان المقتولُ مسلماً؟! حيث استدلَّ سالم بن عبد الله بالآية الكريمة على تحريم القتل، وبيّن فساد أهل العراق الذين يضربُ بعضُهم رقاب بعضٍ.

وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: « رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ؛ الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم »[٢]. وبهذا يُعلمُ المرادُ بجهة المشرق المذكورة في الأحاديث السابقة، وأنَّ النبي r عنى بها العراق .

وكذلك يُعلمُ المراد بنجدٍ المذكورة كذلك، وأنَّها من مواضع الفتن بأنها نجد العراق، ولذلك ترك النبي r الدعاء لأهلها بالبركة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي: « اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا. قال: «

---

(١) المراد به الكافر الذي لم يستوجب القتل.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٠٣/٦ -مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٧٢/١رقم٥٢)

اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا. فأظنه قال في الثالثة: « هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان » [١].

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((وأولُ الفتنِ كان من قِبَلِ المشرقِ، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرحُ به. وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة. قال: وقال الخطابيُّ: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغَور فإنه ما انخفض منها))[٢].

والمتتبع للنصوص يجد أنَّ النبيّ ﷺ قد أشار إلى جهة المشرقِ كثيراً، فقد أشار إليها في أحاديث الدجال، وفي أحاديث يأجوج ومأجوج، وفي المقتلة العظمى عندما يحسر الفرات عن جبل من ذهب، ونحو ذلك مما يدل على أن جهة المشرق هي أجمع مكان للفتن، وأنَّ الفتنَ تبدأ منها، ثم تنتشر في سائر بلدان العالم الإسلامي نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٥/١٣ -مع الفتح).

(٢) فتح الباري (٤٧/١٣) وانظر للاستزادة: إتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجري (١٤٢/١)، وأكمل البيان في شرح حديث: ((نجد قرن الشيطان)) للشيخ عبد القادر السندي.

وليس معنى هذا -والله أعلم- أن أهل المشرق لا خير فيهم أبداً، وإنما معنى هذا -والله أعلم- أنَّ الفتن فيهم كثيرة، وأنهم ممن يسارع في الفتنةِ، وأنَّ كثرة الفرق الموجودة في المشرق من أعظم أسبابِ هذه الفتن، والله المسلِّم.

ومن أعظم ما وقع أنَّ أولَ فتنة وقعت بين الصحابة y أخرجتِ الناس من المدينةِ إلى العراق، وجاء أهل الشام إلى العراق، فحفظ الله مدينة رسوله r من الفتن، وكان حدوث الفتن في أرض العراق، ثم توالت الفتن بعد ذلك والله أعلم.

قال شيخُ الإسلامِ -رحمه الله-: ((فأما الأعصار الثلاثة المفضلة، فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة، كما خرج من سائر الأمصار، فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله، وخرج منها العلم والإيمان خمسةٌ: الحرمان، والعراقان، والشام، منها خرج القرآن، والحديث، والفقه، والعبادة، وما يتبع ذلك من أمور الإسلام. وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية؛ فالكوفة خرج منها التشيع، والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر، والاعتزال، والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب، والقدر، وأما التَّجَهُّمُ فإنما ظهر من ناحية خراسان، وهو شر البدع. وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية...، وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور

هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذلك، فكان عندهم مهاناً مذموماً، إذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مذمومين مقهورين، بخلاف التشيع والإرجاء بالكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنَّصْبُ بالشام، فإنه كان ظاهراً.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي r : « أن الدجال لا يدخلها»[١]. وفي الحكاية المعروفة: ((أنَّ عمرو بن عبيد -وهو رأس المعتزلة- مرَّ بمن كان يناجي سفيان الثوري، ولم يعلم أنَّهُ سفيان، فقال عمرو لذلك الرجل: من هذا؟ فقال: هذا سفيان الثوري -أو قال: من أهل الكوفة- قال: لو علمت بذلك لدعوته إلى رأيي، ولكن ظننته من هؤلاء المدنيين الذين يجيئونك من فوق، ولم يزل العلم والإيمان بها ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك وهم أهل القرن الرابع))[٢].

وهذا الذي ذكره شيخُ الإسلام -رحمه الله- في المدينة أمرٌ ظاهرٌ واضحٌ دلَّت عليه النصوصُ الشرعية. كما في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله r : « إنما المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها»[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/٩٥-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٢٦٥رقم٢٩٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/٣٠٠-٣٠٣) باختصار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٢٠١-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٢/١٠٠٦رقم١٣٨٣).

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : « أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد» [(١)].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: ((والمعنى أنَّها إذا نفت الخبثَ تميَّز الطيِّبُ، واستقرَّ فيها))[(٢)]. وقال -رحمه الله-: ((والمراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغلٌ، بل تميِّزه عن القلوب الصادقة، وتخرجه كما يميِّزُ الحدادُ رديءَ الحديدِ من جيِّده))[(٣)].

ومعنى هذا -والله أعلم- أنها تفضحُ أهل الباطل، وتكشفُ خزائنَ قلوبهم للناس، فيضطرُّ أهلُ الباطل إلى الخروج عن المدينة بعد أن فضحتهم -والله أعلم-

ولذلك -والله أعلم- صارت أفئدة أهل الإيمان تهوي إليها، فيأرز الإيمان إليها، ويجتمع المؤمنون فيها.

كما في حديث أبي هريرة t : أن رسول الله r قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها »[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/٨٧-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٢/١٠٠٦رقم١٣٨٢).

(٢) فتح الباري (٤/٩٧).

(٣) المصدر السابق (٤/٨٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/٩٣-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (١/١٣١رقم١٤٧).

وهذا هو الذي وقع أول الإسلام وسيقع كذلك آخر الزمان كما في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله r: « والذي نفسي بيده ليعودن الأمر كما بدأ، ليعودن كل إيمان إلى المدينة، كما بدأ منها، حتى يكون كل إيمان بالمدينة»[١].

ونحن الآن -ولله الحمد- نشهدُ نهضةً علميَّةً مباركة في المدينة النبوية ناتجة عن دروس علميَّة في مسجد النبي r، وفي مدارسها وجامعاتها، وعلى رأسها الجامعة الإسلامية المباركة التي منذ نشأتها قبل خمس وأربعين سنة وهي تعلِّمُ الناسَ العلم والإيمانَ، فجزى الله القائمين عليها، ووفق أولياء أمورنا لنصرة هذا الدين، فإن من نصرَ اللهَ نصرَهُ اللهُ.

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/٥٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم.



الفصل الثاني:

الموقف الشرعي من الفتن، وأثره على الفرد والأمة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الموقف الشرعي من الفتن، والـــدليل عليه من الكتاب والسنة

المبحث الثانـــي: نمـــاذج مـــن مواقـــف الـــصحابة والسلف في الفتن.

المبحث الثالث: أثر هذه المواقف على الفرد والأمَّة.

المبحث الأول: الموقف الشرعي من الفتن والدليل عليه من الكتاب والسنة.

هذا المبحث هو ثمرة هذا البحث وخلاصته، لأن معرفة الموقف الشرعي من الفتن من أعظم الأسباب المعينة -بإذن الله- على السلامة منها، لأنَّ جُلَّ من وقع في هذه الفتنِ ؛ إنما وقع فيها بسبب جهله بالموقف الشرعي من الفتن، مع ما يصيب الإنسان وقتَ الفتنةِ من حيرةٍ ودهْشَةٍ، لذلك كان الواجب على المسلم وقتَ الفتنة أن يحرص حرصاً تاماً على معرفة الموقف الشرعي من الفتن، ثم يستعين الله في لزومه، والتمسك به .

ولِخُطورةِ أمرِ الفتنِ، وسوء عاقبتها على الناس في الدنيا والآخرة، فقد توافرت النصوص الشرعية في بيان حقيقتها، وفي بيان طرق السلامة منها.

ويمكن أنْ نلَخِّصَ الموقف الشرعي من الفتن بما يأتي:

١ - وجوب التثبت والتبيُّن وقتَ الفتنة.

من المعلوم أنَّ زمان الفتن زمان خطير يكثر فيه القيل والقال، ويحمَل الكلام فيه على غير محامله، ويكثر الجدال، ويحرص فيه على نقل الأخبار، وإشاعة الأقوال، ويتصدر مَنْ حقُّهم التأخر، وتنطق فيه الرويبضة[١]، وفي

(١) الرويبضة هو الرجل التافه يتكلم في أمر العامة » هذه قطعة من حديث أبي هريرة الذي رواه ابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٣٦)

زمان هذا حاله ينبغي للمسلم العاقل أن يلتزم أوامر الله -سبحانه وتعالى- بكل قوَّةٍ ودقة، ولا يجاوزها، ففي لزومها النجاة، وفي مفارقتها الهلَكَة.

ومن ذلك وجوب التثبت عند سماع الأخبار والأقـــوال، وعـــدم العجلة في الحكم على الأخبار حتى يتبين له ثبوتها، ثم بعد ذلك يقوم فيها بما أمر الله —سبحانه وتعالى-، وهذا أمر واجبٌ على المـــسلم في حياتـــه كلها ؛ في رخائه وشدته، لكنه في وقت الفتنة آكد لما يترتب على ذلـــك من أمور عظام.

قال تعـــالى:] / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? Z [الحجرات: ٦]

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((يأمر تعالى بالتثبت في خـــبرِ الفاســـق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه. وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين))[١].

وقد جعل العلماء -رحمهم الله- هذه الآية وما جـــاء في معناهـــا قاعدةً، وبُنِيَ عليها علمُ الرجال والجرح والتعديل، الذي حفـــظ الله بـــه دينه، وسنة نبيه r -، والذي اختصت به الأمة الإسلامية من بين الأمـــم التي أضاعت ما أوحاه الله لأنبيائه، وحرَّفته، وبدّلَته، وأدخلت فيه ما ليس منه، بقصد أو بدون قصد، حتى لم يبق في أيديهم شيء يوثقُ به مما أوحاه

(١) تفسير ابن كثير (٣٢٦٥/٧).

الله لأنبيائه -عليهم السلام-. وهذا دليل على أهمية التثبت والتبيُّن عند سماع الأخبار والروايات ولا سيَّما وقت الفتن .

وكم سبَّبَ عدم التثبت من فتنٍ ومصائب على الأمةِ لا زالت تعاني منها حتى يومنا هذا.

وقال تعالى:] Z [\ ] ^ _ ` a b

d e f g h i j k l m n

o q r s t u v w x y Z

[النساء: ٨٣]

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((في هذه الآية إنكارٌ على من يبادر إلى الأمور قبل تحقُّقِها فيخبر بها، ويفشيها، وينشرها، وقد لا يكون لها صحة))[١].

فهذه الآية توجبُ التثبُّتَ والتبيُّنَ عند سماعِ الأخبار، وتُنكِر -كما ذكر ابن كثير- على من بَادَرُ وسارَعَ في نقلها ونشرها قبل أن يتحققَ من صحتها، وأرشدت كذلك إلى أمر آخر مهم ؛ وهو أن الأخبار إنما تنقل إلى أولي الأمر من العلماءِ والأمراءِ، ولا تنقَلُ إلى عامَّةِ الناس لأن النقلَ إلى عامة الناس لا فائدة فيه، وإنما الفائدة في نقلها إلى أهل الحلِّ والعقدِ الذين يحسنون فهم الأمور،واستنباط المصالح منها، ولديهم القدرة على درء المفاسد.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٩٧٤).

وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله-: ((عدَّةَ رواياتٍ تحذِّرُ من العجلةِ وعدم التثبت منها: حديث أبي هريرة t عن النبي r قال: « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكلِّ ما سمع»[(١)].

وعن المغيرة بن شعبة t :« أنَّ رسول الله r نهى عن قيل وقال»[(٢)].

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((أي: الذي يكثر من الحديث عمَّا يقول الناسُ من غيرِ تثبُّت، ولا تدبُّرٍ، ولا تبيُّن)). ثم ذكر ابن كثير -رحمه الله- قوله r : « بئس مطية الرجل زعموا »[(٣)].

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((ويُذكَر هاهنا حديث عمر t المتفَقِ عليه حين بلغه أنّ رسول الله r طلَّقَ نساءه، فجاء من منْزله حتى دخل المسجد فوجد الناسَ يقولون ذلك فلم يصبِر حتى استأذن على رسول الله r فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ قال: «لا»فقلت: الله أكبر ...الحديث.

وعند مسلم: فقلت: ((أطلَّقتهنَّ؟ فقال: «لا». فقمتُ على باب المسجد فناديتُ بأعلى صوتي: لم يطلِّق رسول الله r نساءه. ونزلت الآية)). قال عمر t : ((أنا استنبطت ذلك الأمر))[(١)].

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/رقم١٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١١/٣٠٦-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (رقم/١٣٤١).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/٢٩٤).

وقال السعدي -رحمه الله-: ((هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنَّه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمورِ المهمَّة،والمصالح العامة ما يتعلَّقُ بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبةٌ عليهم، أن يتثبَّتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر. بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي، والعلم، والنصح، والعقل، والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالِحَ وضدَّها. فإذا رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين، وسروراً لهم، وتَحَرُّزاً من أعدائهم، فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرَّته تزيد على مصلحته لم يذيعوه ولهذا قال: [l m n

o Z[النساء: ٨٣] أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي: أنه إذا حصل بحث في أمرٍ من الأمور، ينبغي أن يولَّى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩/٢٧٩-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (رقم١١٠٧-١١٠٨) وانظر: تفسير ابن كثير (٢/٩٧٤).

وفيه: النهي عن العجلة والتسَرُّع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه، هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟))[١].

فانظر - رعاك الله، وحماك من الفتن ما ظهر منها وما بطن- هذا العلاج الرباني وقتَ وقوع الفتن، وذلك بالصبر، والتثبتِ، وعدم العجلةِ، فإن في ذلك السلامةَ من الفتنِ، كما في النصوصِ السابقة.

وانظر إلى فهم عمر t ، وتثبته، وكيف سلَّمَه الله من هذه الفتنة بسبب التثبت في الأخبارِ.

وقد ابتليت الأمة الإسلامية اليوم بأقوام لا همَّ لهم إلا البحثَ عن الأخبارِ، صحيحها وسقيمها، ونشرَ هذه الأخبار في الأمة، مسلِمِها وكافرها، دون رَوِيَّةٍ، وتثبتٍ، ودون النظرِ في عواقب الأمور، ودون معرفةٍ للمصالح والمفاسد المترتبة على نشر هذه الأخبار بل يظنونَ -للأسف الشديد- أنهم بنشرِهم لهذه الأخبارِ الظنِّيَّةِ، يرفعون من علوم الأمة، وثقافتِها، وفقهها بواقعِها!، وما دروا أنَّ في نشر هذه الأخبار تثبيطاً للأمةِ، وزرعاً للشكِّ واليأسِ في قلوب الناشئةِ، وعوام الأمة، واستهانةً بأولياء أمور الأمة، وعلمائها.

فالواجب بعد هذا الحرصُ الشديد في نقل الأخبارِ، وأن لا تنقلَ هذه الأخبارُ إلا لأولياء الأمور، وأهل الحلِّ والعقد والعلمِ، والتثُّبتُ في

---

(١) تفسير السعدي (ص/١٩٠)، (ص/٢٢٣).

ذلك، وعدمُ تحميلِ الخبر ما لا يحتمله، وعدمُ إشغال الناشئة وعوام المسلمين بما لا فائدة لهم به، ولا قدرة لهم على تحمُّله ومعالجته.

ومن عجيب حال الأمة اليومَ أنَّ هؤلاء النقلةِ للأخبار، المبادِرِين في نشرها؛ لا يميِّزون بين ناقلي الأخبار، فتراهم يروون خبراً عن مجلَّةٍ فاجرة، أو إذاعةٍ في دولة كافرة، يهودية أو نصرانية، ويجعلون هذا الخبرَ يقينياً، ويبنون عليه مسائل خطيرةٍ، تتعلَّق بمصالح الأمة، وما دروا أنَّ الكافر لا يصلحُ أنْ يكونَ مصدراً للأخبار الصحيحةِ، وأنَّ هؤلاء الكفَّارَ إنما نشروا مثل هذه الأخبارِ لضربِ الأمةِ بعضها ببعضٍ، ولإشاعة الوهَنِ والخوفِ والشكِّ في الأمة.

فلا يجوز بعد هذا قبول الأخبار إلا من الثقات العدولِ، ثم بعد هذا ينظرُ في نشره حسب المصالحِ والمفاسدِ، بعد الرجوع إلى أولياء الأمور، وعلماء الأمة، وأهل الحل والعقد فيها.

ومن أعظم الشواهد على تطبيق السلفِ -رحمهم الله- لهذه القاعدةِ العظيمة وقتَ الفتن:

ما رواه البخاري -رحمه الله- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ((كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم: عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منْزِلِهِ بِمِنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إلي عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أميرَ المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت

فلاناً؟ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمَّتْ، فغضب عمرُ، ثم قال: إني -إن شاء الله- لقائم العشيةَ في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإنَّ الموسمَ يجمع رَعاعَ الناس وغوغاءَهم، فإنـــهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالةً يُطَيِّرُهَا عنك كل مطيِّر، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهِل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلتَ متمكناً، فيعي أهلُ العلم مقالتَك، ويضعونها على مواضعها. فقال عمر t : ((والله إن شاء الله لأَقُومنَّ بذلك أوَّلَ مقامٍ أقومُه بالمدينة...الحديث))[١].

ففي هذه القصة العظيمة بيانُ فقهِ الصحابة y، وحرصُهم على سلامة الأمة من الفتن، وذلك بحفظ الأمور العظام عن العوام والرَّعاعِ، لأنهم لا قدرةَ لهم على حلِّها، ولا فهمها، بل ربَّما أدى علمهم بها إلى الفتن .

ولذلك أشار عبد الرحمن بن عوفٍ t على عمرَ t أن يحفظَ ما يريد قولَهُ عن عامة الناسِ، ويخصَّ به أهلَ الفقه والشرف حتى يعوا مقالته ويضعوها على مواضعها، واستيعاب عمر t لذلك، فلمَّا رجعَ المدينة ذكر ما أراده للناسِ.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٢/١٤٤-مع الفتح) .

وبهذا الفقه العظيم صار الصحابةُ y أماناً للأمة من الفتن، فلمَّا ماتوا أصاب الأمة ما أصابها.

والملاحظ الآن عكس هذا تماماً، فإن كثـــيراً ممن يزعم الإصلاح في هذا الزمان يتكلَّمُ بكل شيء في كلِّ مكانٍ دونَ تمييزٍ، ودون نظرٍ لعواقب الأمور، فما يكاد أحدهم يسمع خبراً ولا سيَّما الأخبارَ المتعلقةَ بمصالح الأمةِ،وأحوالِ أولياء الأمور إلا وطار به، ينشره في كل مجالٍ متاحٍ عن طريق الانترنت، وعن طريق الإذاعة، أو عن طريق القنوات الفضائية، وحتى عن طريق المجالس، ففي أيِّ مكانٍ يهذي به، دون أدنى تثبُّتٍ، أو نظرٍ ، وما درى كم يفسد هذا الخبر على الأمةِ من أمورٍ! -ولا سيَّما إذا عرفتَ أن أعداء الأمة يتربصون بها الدوائر، ويفرحون بمثل هذه الأخبارِ- حتى أوقعوا الناس في الحيرة والدهشةِ واليأس والقنوط، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبهذا تعرف أهميَّة التثبتِ، وحفظِ الأخبار، ونقلِها إلى أهل الحلِّ والعقد دون سائر الناس، بعد التأكدِ من صحتها .

وبهذا -إن شاء الله تعالى- نكون بابَ خيرٍ للأمة لا بابَ شرٍّ وفتن والله أعلم.

٢ - لزومُ جماعة المسلمين وإمامهم .

الأمر الثاني من الأمور التي تلزمُ الفردَ المسلم وقتَ الفتن هو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

وهذا الأمر المهمُّ، وإن كان واجباً على المسلم في جميع أحواله إلا أنه وقتَ الفتنِ آكدُ وألزمُ لما يترتب على ذلك من سلامة فوريَّة للفرد وللأمة من هذه الفتن المضلَّة.

وهذا الأمر أصلٌ من أصولِ أهل السنة والجماعة المجمع عليها.

قال الطحاوي -رحمه الله-: ((ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وضلالاً))[١].

وقال -رحمه الله-: ((ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا نَنْزِعُ يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة))[٢].

فهذه كلمات جامعة مانعة في تفسير هذا الأصل العظيم، وبيان الواجب فيه على مذهب السلف -رحمهم الله- لا على المذاهب المخالفة الشاذة عن الجماعة.

وقد بيَّن العلماء -رحمهم الله- معنى الجماعة بياناً شافياً.

قال الطبري -رحمه الله- في شرحه لحديث حذيفة في الفتن[٣]: ((اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب، الجماعة:

(١) العقيدة الطحاوية (ص/٧٧٥-مع شرح ابن أبي العز)

(٢) المصدر السابق (ص/٥٤٠).

(٣) سيأتي الحديث قريباً (إن شاء الله تعالى) .

السواد الأعظم، وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون مَنْ بعدهم. وقال قوم: المراد بهم أهل العلم، لأن الله جعلهم حجةً على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين.

قال الطبري: والصواب أن المراد في الخـــبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة.

قال الطبري: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام، فافترق الناس أحزاباً، فلا يتبع أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك، خشية من الوقوع في الشر))[١].

ويمكن أن يقال -والله أعلم-: إن النصوصَ الشرعيةَ قد دلَّت على أن الجماعة جماعتان لا تضاد بينهما:

الأولى: الجماعة العلمية: وهم أصحاب رسول الله r والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالواجب على المسلم أن يلزمَ مذهبهم، ويتقيَّدَ بفهمهم، ولا يخالفهم في شيء من أمور الدين أبداً.

قال ابن أبي العز -رحمه الله-: ((السنة طريقة النبي r ، والجماعة جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال))[٢]

(١) فتح الباري (٣٧/١٣) باختصار.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص/٥٤٤).

الثانية: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أميرٍ وجبَ عليهم طاعته، وحرّمَ عليهم معصيته، ووجب عليهم الالتزامُ بهذه الجماعة، وعدم الخروج عنها لما في ذلك من الأمن والسلامة للفرد والأمة، والأدلة على وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم كثيرة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: [A B C D E F H

I J K L M N O P Q R S

T Z [آل عمران: ١٠٣] يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعاً، يريد بذلك -تعالى ذكره -: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله . ثم ساق بإسناده عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ((في قوله [A B C D Z قال: الجماعة)).

ثم قال أبو جعفر: ((وقوله: [E F Z يعني جل ثناؤه: ولا تتفرقوا عن دين الله، وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف، والاجتماع على طاعته، وطاعة رسوله، والانتهاء إلى أمره)).

ثم ساق بسنده عن قتادة قال: إنَّ الله عز وجل قد كره لكم الفرقة، وقدَّم إليكم فيها، وحذركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة،

والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

وبسنده عن عبد الله بن مسعود t أنه قال ((يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، هو خير مما تستحبون في الفرقة))(١).

وقال ابن كثير -رحمه الله-: ((وقوله: [E F Z أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف...، وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة، فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة، ومسلَّمَة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه النبي r وأصحابه y))(٢).

وقال تعالى آمراً بالجماعة، وناهياً عن الفرقة، ومبيناً سوء عاقبتها على أهلها في الدنيا والآخرة: [v w x y z { | } ~ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ © وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ Z [آل عمران: ١٠٥ – ١٠٦].

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/٧٤-٧٥-شاكر).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٧٤٥).

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين، في افتراقهم، واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم))(١).

ثم ذكر حديث معاوية t في الافتراق وفيه: « وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة -يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة »(٢).

ثم قال: ((وقوله:] يَوۡمَ تَبۡيَضُّ © وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ Z يعني: يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس -رضي الله عنهما-))(٣).

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد دلت السنَّة كذلك على ما دلَّ عليه القرآن، من لزومِ الجماعةِ، والتحذيرِ من الفرقة، وبيان سوء عاقبتها على أهلها في الدنيا والآخرة.

وأشهر ما يروى في ذلك حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال: ((كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافةَ أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنا في

---

(١) المصدر السابق

(٢) حديث الافتراق حديث مشهور، ورواية معاوية t هذه، أخرجها الإمام أحمد في مسنده (١٣٥/٢٨ ط الرسالة) وغيره.

(٣) تفسير ابن كثير (٧٤٧/٢).

جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: « نعم، وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: « قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم، وتنكر » قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: « نعم، دعاة على أبواب جهنم، مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا »قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت: فإن لم يكن لهم جماعة، ولا إمام؟ قال: « فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك »[١].

وفي لفظ آخر عند مسلم: « يكون بعدي أئمة، لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس » قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: « تسمع، وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع، وأطع»[٢].

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٣٥-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٣/١٤٧٥ رقم١٨٤٧).

(٢) صحيح مسلم (٣/١٤٧٦رقم١٨٤٧).

فهذا الحديث العظيم -كما ترى- نصٌّ واضح في وجوب لـــزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولا سيما وقتَ ظهور دعاة الفتن، فإن في الالتزام بذلك نجاة من هؤلاء الدعاة، حتى لو كان الأئمة عندهم نقصٌ في التمسكِ بالدين.

وفيه -كذلك- ردٌّ عظيمٌ على مَن زعمَ أنَّ مفارقـــة جماعـــة المسلمين وإمامهم وقت الفتنِ وسيلةٌ لإصلاح الأمة، وهذا فهمٌ معكوسٌ، منكوسٌ، بعيدٌ كلَّ البعدِ عن مرادِ الله ورسوله، من الحرص على جماعة المسلمين.

ويقال لهذا المفارِقِ: إنه بين خيارين لا ثالث لهما:

الأول: أن ترى صواب هذه الجماعة والإمام، فالواجب عليك الدخولُ في الجماعة وطاعة الإمام.

الثانية: وإن كنت لا ترى صوابَ هذه الجماعة، ولا شرعية هذا الإمام بسبب فهمك القاصر، وجهلك بأصول أهل السنة والجماعة، فالواجب عليك العزلةُ، وتركُ جميع هذه الفرق، لا أن تُحْدِثَ جماعةً جديدةً، تزيد الأمة فرقة، وعداوة، وشحناء، وبغضاء.

ومن المعلوم أن حكم العزلةِ إنما يجب عند فساد الأمة آخر الزمان، أما الآن فإن العزلة لا تجوز بسبب ظهور الجماعة والإمامة، كما هو الحال في بلادنا، نشكر الله على ذلك، ونسأله الحمايةَ من الفتنِ، والسلامة منها.

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: ((قال ابن بطَّال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور. لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنَّهم دعاة على أبواب جهنم، ولم يقل فيهم: تعرف وتنكر، كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كـــذلك إلا وهم على غيـــر الحق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة)) [١].

وعن أبي هريرة t أنَّ النبيَّ r قال: « إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره ثلاثاً، فرضي لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال »[٢].

قال النووي -رحمه الله-: ((وأما قوله: « ولا تفرقوا » فهو أمرٌ بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام)) [٣].

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: ((وفيه الحض على الاعتصام والتمسك بحبل الله في حال اجتماع وائتلاف. وحبل الله في هذا الموضع، فيه قولان: أحدهما: كتاب الله.

(١) فتح الباري (١٣/٣٧).
(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/١٣٤٠رقم١٧١٥)
(٣) شرح مسلم للنووي (١٢/١٠) .

والآخر: الجماعة، ولا جماعة إلا بإمام.

وهو عندي معنى متداخل متقارب، لأنَّ كتاب الله يأمر بالألـــفة، وينهى عن الفرقة... غير أن هذا الحديث المراد به -والله أعلم- الجماعة على إمام يسمع له ويطاع، فيكون ولي من لا ولي له في النكاح، وتقديم القضاة للعقد على الأيتام، وسائر الأحكام، ويقيم الأعياد والجمعات، وتؤمن به السبل، وينتصف به المظلوم، ويجاهد عن الأمة عدوها، ويقسم بينها فيئها.

لأن الاختلاف والفرقة هلكة، والجماعة نجاة. قال ابن المبارك -رحمه الله-:

إن الجماعة حبلُ الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا

كم يرفع الله بالسلطان مظلمة ... في ديننا رحمة منه ودنيانا

لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبا لأقوانـــا[1]

وعن أنس بن مالك t : أنَّ رسول الله r قال: « نضَّرَ الله عبداً سمع مقالتي هذه فحملها، فرُبَّ حامل الفقه فيه غير فقيه، ورُبَّ حامل الفقه إلى من هو أفقه منه. ثلاثٌ لا يغل عليهن صدر مسلم، إخلاص

(١) التمهيد (٢٧٢/٢١) باختصار.

العمل لله - عز وجل-، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم »[١].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة...، وأما الحقوق العامة، فالناس نوعان: رعاة، ورعية.

فحقوق الرعاة مناصحتهم، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم، فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة، بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم، واعتصامهم بحبل الله جميعاً، فهذه الخصال تجمع أصول الدين))[٢].

ومما يدل على أهميَّة هذا الأصل العظيم، وأنَّ مصالح الدنيا والآخرة متوقفة عليه، وأنه من الأسباب العاصمة من الفتن -بإذن الله- حديث العرباض بن سارية t المشهور وفيه قال: قال رسول الله r: « أوصيكم بتقوى الله، والسمع، والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنَّ من يعش منكم، فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢١/١٦٠ط الرسالة)، وانظر للزيادة حاشية رقم (١) من (ص/٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (١/١٨-١٩) باختصار.

المهديين، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وإنَّ كلَّ بدعة ضلالة »[(١)].

فقد جمع النبي r أسباب السعادةِ في الدنيا والآخرة في أمرين لا ثالث لهما:

الأول: لزوم تقوى الله -عزَّ وجلَّ-.

الثاني: لزوم جماعة المسلمين، وطاعة إمامهم.

ولابد من القيام بهذين الأصلين على طريقة السلف الصالح -رحمهم الله-، وأولهم الخلفاء الراشدون y.

فهذا هو العاصم من الفتنِ -بإذن الله- وهذا هو سبيل الاجتماع وقت الفرقة.

وهذا هو طريق النجاة وقت الهلكة، فتأمَّل، بصرنا الله بديننا، وأعاننا على الثبات على الحق، إنَّه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

٣- عدم الخوضِ في أمر الفتن إلا بعلم صحيح:

من المعلوم أنَّ الواجب على المسلم أن لا يتكلَّم إلا فيما يعلمه، وهذا الذي يعلمه لا يتكلم منه إلا بما ظهرت مصلحته الدينية والدنيوية، والكلام بلا علمٍ كذبٌ محضٌ، والكلام بما لا تعلم مصلحته من مفسدت،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٨/٣٧٣-الرسالة)، وهو حديث صحيح، انظر طرقه في المسند (٢٨/٣٦٧حاشية٣).

مخالف للحكمة والعقل، وتزداد خطورة الكلام بلا علم إذا تعلَّقَ الأمرُ بالفتيا والقضاء، أو تعلَّقَ الأمر بالمهمَّات من شؤون الأمة الإسلامية.

قال تعالى: [P Q R S T U V W X Y Z

[\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i

j k l Z [الأعراف: ٣٣]

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فرتَّبَ المحرمات أربعَ مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنَّى بما هو أشد تحريماً منها، وهو الإثم والظلم، ثم ثلَّثَ بما هو أعظم تحريما منهما، وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّعَ بما هو أشد تحريماً من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم. وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم، في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي دينه وشرعه))[١].

والقول على الله بلا علم من أعظم أسباب فساد الأمم الماضية، والتشبه بهم في ذلك مفسدة لهذه الأمة قطعاً.

قال تعالى: [} | { ~ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ © شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ ´ µ ¶

¸ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ Z [الأحقاف: ٤].

(١) إعلام الموقعين (١/٣٨).

قال ابن كثير -رحمه الله-: « أي: ولا شرك لهم في السماوات، ولا في الأرض، وما يملكون من قطمير، إنِ الملكُ والتصرُّفُ كله إلا لله عز وجل، فكيف تعبدون معه غيره، وتشركون به؟! مَن أرشدكم إلى هذا؟ من دعاكم إليه؟ أهو أمركم به؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم؟ ولهذا قال:] ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ Z أي: هاتوا كتاباً من كتب الله المنْزَلة على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يأمركم بعبادة هذه الأصنام] ´ µ ¶ ¸ Z أي: دليل بيِّن على هذا المسلك الذي سلكتموه،] إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ Z أي: لا دليل لكم لا نقلياً، ولا عقلياً على ذلك »[1].

وقال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z [النجم: ٢٧ – ٢٨].

فتبين من ذلك أن كلَّ فساد في الأمم الماضية سببه القول على الله بغير علمٍ، ولذلك حذر الله هذه الأمة عن اتباعهم في ذلك، أو الأخذ بظنونهم وآرائهم، فإنها لا خير فيها، فهي سبب ضلالهم، بل الخير كلُّه فيما أنْزلَ الله .

(١) تفسير ابن كثير (٧/٣١٨٤).

قال تعالى:] ¶ ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ Z [البقرة: ١٤٥]

وكذلك حذر النبي r أمته من القول على الله بلا علم، وأمر العامة بلزوم العلماء الربانيين، والأخذ منهم، والابتعاد عن الأئمة المضلين، الذين جعلوا الدين والعلم مطيَّةً لشهوات الدنيا، أو من الذين فسدت عقائدهم بالبدع والشبه، أو الذين جمعوا بين شهوات الدنيا، وشبهات البدع والأهواء، فضلُّوا، وأضلُّوا والعياذ بالله.

ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله r يقول: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا »(١).

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((وفيه الحث على حفظ العلم، والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أنَّ الفتوى هي الرئاسة الحقيقية، وذم من يُقْدِمُ عليها بغير علم))(١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/١٩٤مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٥٨ رقم٢٦٧٣).

وعن عمر بن الخطاب t عن النبي r قال: « إنما أخاف على هذه الأمة كلَّ منافق يتكلم بالحكمة، ويعمل بالْجَور »[٢].

وعن عمران بن حصين -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله r: « إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي منافق عالم اللسان »[٣].

فتبين من هذه النصوص خطورة القول على الله بلا علم، ولا سيما في أوقات الفتن، فوجب على من عنده علم أن يظهره بحسب المصلحة، ووجب على من لا علم عنده أن يحفظ نفسه ولسانه، وأن يسأل أهـــل العلم، حتى ينجوَ، وحتى لا يؤتى الإسلام من قِبَله.

وهنا أمرٌ ينبغي التفطن والتنبه له، وهو أن المنتسبين للعلم كثيرون، وقد يغرُّون العامةَ، ولذلك وجب الحرص، والتثبت، وعدم العجلة في الأخذ عن هؤلاء بل لابد من معرفة حال المتظاهر بالعلم، ومدى تمسكه بالكتاب والسنة

---

(١) فتح الباري (١/١٩٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/٢٨٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨٧): "رجالــه موثقــون" وصــححه الــشيخ الألبــاني في السلــسلة الــصحيحة (٣/١١رقم١٠١٣).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (١/٢٨١رقم٨٠)، وقال الهيثمي في مجمــع الزوائــد (١/١٨٧): "ورجاله رجال الصحيح" وصححه الشيخ الألباني في صحيح موارد الظمآن (١/١٢٤رقم٩١).

[١]، ثم سؤال الله عز وجل الهداية إلى ما اختلف فيه من الحق، إنه الهادي إلى الصراط المستقيم، لأن زمان الفتن كثير قراؤه قليل فقهاؤه، يرفع فيه العلم، ويكثر فيه الجهل، وينطق فيه الرويبضة، كما في حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : « يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويُلــقَى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج ». قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: « القَتْلُ القتْلُ»[٢].

وعن أنس t قال: قال رسول الله r : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا »[٣].

---

(١) قال الإمام البربهاري في شرح السنة (ص/٦٧-٦٨): ((فانظر -رحمك الله- كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلنَّ، ولا تدخل في شيء منه حتى تسأل وتنظر : هل تكلم به أصحاب رسول الله r أو أحد من العلماء ؟ فإن وجدتَ فيه أثراً عنهم فتمسَّك به، ولا تجاوزه لشيء ولا تختر عليه شيئاً ؛ فتسقط في النار واعلـــم أن الخروج عن الطريق على وجهين: أما أحدهما فرجل قد زلَّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلته فإنه هالك . وآخر عاند الحقَّ، وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مضل، شيطان مريد في هذه الأمة، حقيق على من يعرفه أن يحذِّر الناس منه، ويبيِّن للناس قصته، لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك)).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٣/١٤-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٢٠٥٧/٤ رقم١٥٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٧٨/١-مع الفــتح)، ومــسلم في صــحيحه (٢٠٥٦/٤ رقم٢٦٧١).

وقد أمر النبي r أمَّته بالتأني وقت الفتن، وعدم الخوض في أمرها إلا بعلم صحيح، وإلا سكت واعتزلها، وما ذاك إلا لخطورة الكلام والفتوى وقت الفتن. لأن الناس في حيرة ودهشة، وهم ينتظرون مَن يرفع رأسه للفتيا فيتابعونه، وربما تابعوه على باطل، فيصيب الإسلام وأهله بسببه بلاء عظيم.

والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، فمن ذلك:

حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تَشَرَّفَ لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به »[١].

قال ابن حجر: ((« من تَشَرَّف لها » بفتح المثناة والمعجمة، وتشديد الراء: أي تطَلَّع لها، بأن يتصدى، ويتعرض لها، ولا يعرض عنها، وقوله: «تستشرفه» أي: تهلكه، بأن يشرف منها على الهلاك ... يريد: من انتصب لها انتصبت له، ومن أعرض عنها أعرضت عنه، وحاصله أن من طلع فيها بشخصه قابلته بشرها))[٢].

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٣٠-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٢١١ رقم٢٨٨٦).

(٢) فتح الباري (١٣/٣١) باختصار.

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنها- قال: بينما نحن حول رسول الله إذ ذكروا الفتنة، أو ذكرت عنده، فقال: « إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا -وشبك بين أصابعه- » قال: فقمت إليه، فقلت له: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: « الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة »[١].

فتأمل -رعاك الله- هذه الوصايا النافعة وقتَ الفتنِ، وقارن ذلك بحال كثير من المفتونين، الذين استشرفوا للفتن، فاستشرفتهم، وفرَّقتهم شذر مذر، حتى صاروا أعلاماً للفتن، وحمَّلوا بلادهم ما لا تطيق، ثم هجروها إلى غيرها، مخالفين أمر النبي r بالصبر، وحبس النفس واللسان، فضلوا، وأضلوا -والعياذ بالله-.

روى البخاري[٢] عن خلف بن حوشب: كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن.

قال امرؤ القيس:

الحرب أول ما تكون فـــتيـــة		تسعى بزينـــتها لكل جـــهول

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١١/٥٦٧ط الرسالة)، وأبو داود في سننه (٤/١٢٤رقم٤٣٤٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٩رقم١٠٠٣٣)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٢٥) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر انظر المسند بتحقيقه (١١/١٧٢).

(٢) رواه البخاري كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر (١٣/٦٠)

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها		ولـــت عجـــوزا غيـــر ذات
حليـــل شمطاء يـــنكر لونـــها		وتغيرت مكروهة للشم والتقبيل

فالواجب على المسلمِ حالَ الفتنِ الصبرُ، وحبسُ اللسانِ واليدِ، وتركُ الأمر لأهل الحلِّ والعقدِ ممن ولاه الله أمر العامة، والاشتغال بنفسه ومن يعول في حمايتهم عن الفتن ما ظهر منها وما بطن. والله أعلم.

٤ - ترك القتال وقتَ الفتنة:

الفتن تبدأ بكلمة وتنتهي - غالباً إن انتهت- بدماء لا يعلمها إلا الله، كما هو معروف في تاريخ الأمة الإسلامية إلى زماننا هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولذلك يلزم المرء المسلم التفطنَ والحذرَ كلَّ الحذر من تتبع خطوات الشيطان، فإنه من استشرف للفتنِ أهلكته، وسوف يصل ولا محالة إلى هذه المرتبة، أعني: مرحلة الشُّبَهِ المؤدية إلى رفع السيف على المسلمين المخالفين له. فمن وصل لهذه المرحلة حرم على المسلم إعانته على ذلك، ووجب على الإمام منعه من إراقة دماء المسلمين، فإن أبى قوتل كما فعل عليٌّ t مع الخوارج الحرورية البغاة.

قال البخاري -رحمه الله-: ((باب قتل الخوراجِ والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم)).

ثم ساق بسنده حديث علي t وفيه: إني سمعت رسول الله r يقول: « سيخرج قومٌ في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام،

يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » [١].

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((وأصل ذلك -يعني أمر الخوارج- أنَّ بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان، فطعنوا على عثمان بذلك، وكان يقال لهم: القراء، لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع، وغير ذلك...، فلما رجع علي t من صفين فارقوه، وهم ثمانية آلاف، ونزلوا مكاناً يقال له حروراء، فأرسل إليهم ابنَ عباسٍ، فناظرهم، فرجع كثير منهم معه، ثم خرج إليهم علي، فأطاعوه، ودخلوا معه الكوفة، ولما اجتمعوا في مسجد الكوفة -وعليٌّ يخطب- تنادوا من جوانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقال: كلمةُ حقٍّ يراد بها باطل، ثم قال لهم: لكم علينا ثلاثة: أن لا نمنعكم من المساجد، ولا من رزقكم من الفيء، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تحدثوا فساداً. وخرجوا بعد ذلك من الكوفة شيئاً فشيئاً، ثم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر، ويباح دمه وماله وأهله، وانتقلوا إلى الفعل، فاستعرضوا الناس، فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين، ومر بهم عبد الله بن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٨٣/١٢-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٧٤٦/٢ رقم ١٠٦٦).

خباب بن الأرت وكان واليا لعلي على بعض تلك البلاد، ومعه سرية، وهي حامل، فقتلوه، وبقروا بطن سريته عن ولد، فبلغ علياً، فخرج إليهم، فأوقع بهم في النهروان))[١].

فهذا الذي فعله عليّ t مع هؤلاء الخوارج هو الذي دلَّت عليه النصوص الشرعية، وهو الواجب على أئمة المسلمين، وذلك من أجل الحفاظ على الإسلام وأهله، فإنَّه لا إسلام إلا بجماعـــة، ولا جماعـــة إلا بكتاب وسنة [٢].

ومن النصوص على وجوب قتال البغاة المفارقين للجماعة حديث عرفجة الأشجعي t قال: قال رسول الله r: « إنه ستكون هنا وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف، كائناً من كان » [٣].

وفي قوله r: «كائناً من كان » دليل على أن الخارج على الإمام يجب قتله لعظم فساده، حتى لو كان ظاهره الصلاح كما مر معنا في صفة الخوارج.

وقد بيَّن النبي r أن القتال مع هؤلاء الخوارج قتال جاهلية، وأنَّ رايتهم راية عُمِّيَّة كما في حديث أبي هريرة t عن النبي r أنَّه قال:

---

(١) فتح الباري (٢٨٣/١٢) باختصار وتصرف قليل.

(٢) عن أبي الدرداء t قال: ((لا إسلام إلا بطاعة، ولا خير إلا في الجماعة، والنصح لله، وللخليفة، وللمؤمنين عامة)) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢٨٩/٢١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٤٧٩/٣رقم١٨٥٢).

« من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّةٍ، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشَ من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني، ولست منه»(١).

فتبيَّن بهذا أنَّ المرادَ بترك القتال في الفتنة إنما المقصود به إذا كان القتال تحت هذه الرَّايات العمية التي خرجت على جماعة المسلمين وإمامهم، و لم تُميِّز بين برِّهم وفاجرهم.

أما قتالهم، ودفع أذاهم تحت راية الإمام المسلم فهو قتال مشروع واجب لردِّ أذى هؤلاء البغاة، والحفاظ على أعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم.

قال تعالى:] i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ © ٱلۡمُقۡسِطِينَ Z [الحجرات: ٩].

قال النووي -رحمه الله-: ((قال معظم الصحابة والتابعين، وعامة علماء الإسلام: يجب نصر المحق في الفتن، والقيام معه بمقاتلة الباغين، كما قال تعالى:] v w x Z الآية، وهذا هو الصحيح، وتتأول

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/١٤٧٦رقم١٨٤٨).

الأحاديث على من لم يظهر له المحق، أو على طائفتين ظالمتين، لا تأويل لواحدة منهما، ولو كان الأمر على منع القتال بكل حال لظهر الفساد، واستطال أهل البغي والمبطلون. والله أعلم))[١].

وقال ابن حجر: ((وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق، وقتال الباغين" قال: "وقال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل، وكسر السيوف، لما أقيم حدٌّ، ولا أُبْطِلَ باطل، ولوجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات، من أخذ الأموال، وسفك الدماء، وسبي الحريم، بأن يحاربوهم، ويكفّ المسلمون أيديهم عنهم، بأن يقولوا: هذه فتنة، وقد نهينا عن القتال فيها!، وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء))[٢].

فإنْ فُرِضَ خلوُّ بلد أو زمانٍ من إمام وجماعة، وقد تحزَّب الناس، كلّ يطلب الملك والرئاسة بكلِّ وسيلةٍ، فعلى المسلم حينئذٍ أن يعتزل تلك الفرق كلَّها، وينجو بدينه ودمه، ويحفظ لسانه ويده كما أمر النبي r في الأحاديث الماضية كحديث حذيفة t وفيه: « فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠/١٨) بتصرف يسير.

(٢) فتح الباري (٣٤/١٣) بتصرف يسير.

(٣) تقدم (ص/٢٦).

وبهذا -والله أعلم- تجتمع النصوص الناهية عن القتال وقت الفتنة، والنصوص الآمرة بدفع فساد أهل البغي، وقتال المفارق للجماعة، الذي ينازع الأمر أهله. نسأل الله أن يجنبنا الفتنَ ما ظهر منها وما بطن، وأن يعصم ألسنتنا وأيدينا من ذلك، إنه على كل شيء قدير.

٥- التوبة واللجوء إلى الله وقتَ الفتن:

سبق في الفصل الأول(١) عند الحديث عن أسباب الفتن أن من أسباب الفتن مخالفة أوامر الله –عزَّ وجلَّ- من العامة والخاصة، كما قال تعالى:] ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ Z [الروم: ٤١]

وصحب هذه المخالفة تساهل، بل وتفريط في جانب مهمٍ من الدين ألا وهو جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولذلك عمَّ العقابُ الصالحَ والطالحَ، التاركَ للأمر بالمعروف، والواقعَ في المنكر، كما في حديث حذيفة t أنَّ النبي r قال: « والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشـــكنَّ الله أن يبعث

(١) انظر: (ص/٤٥) .

عليكم عقاباً من عنده، ثم لتَدْعُنَّه فلا يستجاب لكم»[١].

ولذلك إذا وقعت الفتن بسبب ذلك وجب على الجميع العامة والخاصة، والراعي والرعية التوبة إلى الله -عزَّ وجلَّ-، والرجوع والالتجاء إليه، والاستغاثة به، والاحتماء بحماه، وأداء ما أمر من حقوقٍ له ولعباده، والتواصي مع ذلك بالحقِّ والصبر، لعلَّ الله أن يرفع عقابه بفضله ورحمته، كما رفعه -سبحانه وتعالى- عن قوم يونس لما تابوا، قال تعالى:] !

" # $ % & ' ( ) * + , -

. / 0 1 2 3 4 5 Z [يونس: ٩٨]

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس بعدما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندها جأروا إلى الله، واستغاثوا به، وتضرعوا له، واستكانوا، وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم، فعندها رحمهم الله، وكشف عنهم العذاب، وأُخِّرُوا. قال قتادة: لم ينفع قرية كفرت، ثم آمنت حين حضرها العذاب، فتُرِكَت إلا قوم يونس، لَمَّا فقدوا نبيَّهم،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٣٢/٣٨)، والترمذي في سننه (٤٦٨/٤رقم٢١٦٩)، وقال: حديث حسن، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١١٨٩/٢رقم٧٠٧٠).

وظَنُّوا أنَّ العذاب قد دنا منهم، قذفَ اللهُ في قلوبهم التَّوبةَ، ولبسوا الْمُسوح[١]، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عَجُّوا إلى الله أربعين ليلة، فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم، كشف عنهم العذاب، بعد أن تدلى عليهم قال: وذُكِرَ أنَّ قومَ يونس بِــ"نِيْنَوى" أرض الموصل))[٢].

والنصوص الدالة على إجابة الله -عز وجل- دعـــاء المـــضطرين، وكشفه السوء عن المصابين، وتفريجه كربات المكروبين، وقبوله توبة التائبين، وتبديله خوف الخائفين أمناً، وهمَّ المهمومين فرجاً، وجعله الضعف قوة، والذلةَ عزَّةً، والفرقة وحدة واجتماعاً، والعداوة محبةً، كثيرة جداً لا مجال إلى إحصائها، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، فمن ذلك قوله تعالى:] 0 1 2 3 4 5 6

7 8 9 : ; < = > ? @

A B C D E F G H I J K L M

N O P Q R Z [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧]

---

(١) المسوح بضم الميم والسين جمع المسح وهو الصوف

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٧٧٣) باختصار.

وقال تعالى: [b c d e f g
h i j k l m n o
p q r s t u v w
x y z { | } ~ وَلَوْلَا دَفْعُ
ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ © ٱللَّهَ
ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ Z [البقرة: ٢٥٠ – ٢٥١]

وقال تعالى: [b c d e f g
h i j k l m n o
p q r s t u v w
x y z { | } ~ وَلَوْلَا دَفْعُ
ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ © ٱللَّهَ
ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ Z [البقرة: ٢٥٠ – ٢٥١]

وقال تعالى:] أَمَّن © ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ´ µ ¶ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ Z
[النمل: ٦٢]

وقال تعالى بعد أن ذكر فضله سبحانه على من دعاه من أنبيائه ورسله، وأنَّ الله نجَّاهم من كروبهم، ونصرهم على عدوهم قال سبحانه:

ﮋ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ Z [الأنبياء: ٩٠]

والآيات واضحة الدلالة على وجوب التوبة إلى الله، وأن البلاء إذا نزل لا يرفع إلا بالتوبة والعمل الصالح، والتمسُّك بالسُّنَّة.

وقد وردت أحاديث كثيرة تحثُّ على العمل الصالح وقتَ الفتنة، ووقتَ غربةِ الدين؛ فمن هذه الأحاديث حديث معقل بن يسار t عن النبي r قال: « العبادة في الهرج كهجرة إليَّ »[١].

قال النووي -رحمه الله-: ((المراد بالهرج هنا: الفتنة، واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه: أنَّ الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد))[٢].

وهذا الذي ذكره -رحمه الله- حقٌّ، وذلك: أنَّ هؤلاء الأفراد فرُّوا بدينهم عن هذه الفتن، واشتغلوا بعبادة الله كما أمرهم الله، واعتزلوا هذه الفتن وأهلها، وبذلك سلموا، وسلم الناس من ألسنتهم وأيديهم، ولو أنَّ الأمة سارت على هذا الأمر لسلمت الأمة بأجمعها والله أعلم.

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٢٦٨/٤رقم٢٩٤٨).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٨٨/١٨).

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: « ويل للعرب من شر قد اقترب، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، يبيع قومٌ دينَهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر أو قال: الشوك »[١].

وعن أبي ثعلبة الخشني t قال: سألت رسول الله r عن قوله تعالى: [; < = > ? A B C D E F Z [المائدة: ١٠٥] فقال: « بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متَّبَعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودع أمر العوام، فإنَّ من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم ». -قال عبد الله بن المبارك: وزادني غير عتبة:- قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: « لا، بل أجر خمسين رجلاً منكم »[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٥/٣٤ط الرسالة)، وإسناده حسن. انظر شواهده في تعليق رقم (٢) من المصدر السابق، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم٩٥٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/١٢٣رقم٤٣٤١)، والترمذي في سننه (٥/٢٥٧ رقم٣٠٥٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه

وهذا يـــدل على أن الواجب على المسلم أن ينظر إلى زمـــان الفتن بحكمة، وأن يضع الأمور مواضعها، مع تمسكه بالكتاب والسنة، وحرصه على عبادته لما صح من عظيم أجرها عند غفلة الناس في الفتن.

وعن العرباض بن سارية t قال: صلى لنا رسول الله r الفجر، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا -أو قالوا-: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، قال: « أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثة بدعة، وإنَّ كل بدعة ضلالة »[1].

وهذا الحديث كذلك يدل على العواصم من الفتن، ومن ذلك التمسك بالسنة، والحرص على تقوى الله –عز وجل-، وملازمة العبادة في الفتن، حتى يرفعها الله –سبحانه وتعالى-.

هذه أهم المواقف التي دلَّ عليها الكتاب والسنة وقتَ نزول الفتن، والتي يجب على المسلم أن يلزمها إن نزلت به فتنة من الفتن، وأن يصبر

(٢/١٣٣٠رقم٤٠١٤)، وابن حبان في صـــحيحه (٢/١٠٨-١٠٩رقـــم٣٨٥)، والحاكم في المستدرك (٤/٣٥٨) وصححه.

(١) تقدم تخريجه (ص/٧٣).

عليها، وأن يدعو غيره للالتزام بها حتى يسَلِّمه الله، ويسلم إخوانه المسلمين، نسأل الله السلامة من الفتن ما ظهر منها وما بطن. والله أعلم.

المبحث الثاني: نماذج من مواقف الصحابة والسلف في الفتن.

إن مواقف الصحابة **y**، وسلف الأمة من الفتن وغيرها هي الترجمان العملي للنصوص الشرعية السابقة، لذا لزمنا أن نذكر بعض مواقفهم من الفتن التي لا يخلو منها زمان ؛ حتى نستهدي بهديهم، ونستن بسنتهم كما أمرنا الله ورسوله **r**.

قال تعالى:] ! " # $ % &
' ( ) * + , - . / 0 1
2 3 4 5 6 8 9 : Z [التوبة: ١٠٠].

فأخبر الله عن رضاه عنهم، ورضاه عن أتباعهم، ومرَّ معنا قريباً حديث العرباض بن سارية **t**، وفيه الأمر بالاستنان بسنة الخلفاء الراشديين المهديين، ولا سيما وقتَ الفتن والتفرق. لأن في ذلك السلامة في الدين والدنيا.

وسوف أذكر في هذا المبحث بعض المواقف على سبيل الاختصار لنقتدي ونأتسي بهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

الموقف الأول: موقف الصحابة **y** في غزوة بدر.

أول موقف نذكره من هذه المواقف العظيمة هو موقف أصحاب النبي **r** يوم بدرٍ، ذلك الموقف العظيم الذي دلَّ على صدق إيمانهم، وقوة

تمسكهم بأمر الله ورسوله r ، ولذلك حفظ الله عزَّ وجلَّ دينه، وثبته بهذا الموقف العظيم، وسمَّى ذلك اليوم يوم الفرقان

قال تعالى: [" # $ % & ' ( ) *
+ , - . / 0 1 2 3
4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @
A B C Z [الأنفال: ٤١]

قال ابن كثير -رحمه الله-:((ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدر، وسُمِّي الفرقان، لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه، ونصر نبِيَّه وحزبَهُ))[١].

وعن أنس t : أن رسول الله r شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان. قال: فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة، فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْكِ الغِماد[٢] لفعلنا[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٥٨٩).

(٢) بَرْكُ الغِماد: موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٢١) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/١٤٠٣-١٤٠٤رقم١٧٧٩) .

وعن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: ((شـــهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به: أتى النبيَّ r وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى:] + , - . Z [المائدة: ٢٤]، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك. فرأيت النبي أشرق وجهه، وسره -يعني: قولَه-))[(١)].

قال النووي -رحمه الله-: ((قال العلماء: إنما قصد r اختبار الأنصار، لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال، وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده، فلما عرض الخروج لعير أبي سفيان أراد أن يعلم أنهم يوافقون على ذلك، فأجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة في هذه المرة وغيرها. وفيه استشارة الأصحاب وأهل الرأي والخبرة))[(٢)].

فبسبب هذه الموافقة التامة، واجتماع الكلمة وقتَ هذه المحنة العظيمة نصر الله رسوله r على صناديد مكة، وردَّ كيدهم، ونجا الله المؤمنين المتآلفين المجتمعين الطائعين لله ورسوله.

وهكذا الواجب وقتَ المحن والفتن: التمسك بكتـــاب الله وســـنة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه(٧/٢٨٧مع الفتح)، وانظر القصة كاملـــة في: تـــاريخ الطبري ()، والبداية والنهاية (١/٣٢٤).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/١٢٤).

رسوله r، والحرص على جماعة المسلمين، ونبذ الفرقة والخلاف، حتى وإن كان في ذلك بعض ما نكره، فإن فيه من العاقبة الحسنة ما نحب -إن شاء الله تعالى-.

الموقف الثاني: موقف الصحابة y يوم أحد.

إنَّ ما جرى للمسلمين يوم أحد -من ابتلاء عظيم حتى كاد المسلمون أن يُفجَعوا بنبيهم r لولا أن الله سلَّم، وحفظ نبيه r، حتى يتمَّ رسالة ربِّه عزَّ وجلَّ -أمرٌ فيه عبرةٌ، وعظة عظيمة.

قال تعالى: [L M N O P Q R T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g h i k l m n p q r t u v w x Z [آل عمران: ١٥٢] الآيات من سورة آل عمران إلى قوله تعالى:] y z { | } ~ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ©كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن ´ µ ¶ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ Z [آل عمران: ١٧٩]

وعن البراء **t** قال: ((لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي **r** جيشاً من الرُّماةِ، وأمَّرَ عليهم عبد الله، وقال: « لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا » فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمةَ الغنيمةَ، فقال عبد الله: عهد إلي النبي **r** أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صُرِفَتْ وجوههم، فأصيبَ سبعون قتيلاً))[١].

فانظر -حماك الله من الفتن- إلى هذا الموقف، وقارن مع الموقف السابق كيف نصرهم الله في بدر وهم قلة، وحصل ما حصل لهم يوم أحد، وهم كثرة في بلدهم، وما ذاك إلا بسبب ترك الطاعة في هذا الوقت العصيب، ظناً منهم **y** أنَّ المعركة قد انتهت، وأنَّ الأمر متعلقٌ بوقت المعركة فابتلوا بأعظم ابتلاء، فَقُتِلَ منهم من قُتِلَ، وجُرِحَ من جُرِحَ، وأصاب النبي **r** من ذلك جراحات في وجهه ورأسه **r**.

قال أنس **t**: ((إن رسول الله **r** كسرت رَباعيته يوم أحد، وشُجَّ في رأسه[٢]، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/٣٤٩-مع الفتح).

(٢) الشج هو كسر الرأس، والرباعية بتخفيف الياء هي السن التي تلي الثنية من كل جانب.

وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله» فأنزل الله -عز وجل-:

[w x y z { Z [آل عمران: ١٢٨]))[١].

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((قال العلماء: وكان في قصة أحد، وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد، والحكم الربانية، أشياء عظيمة، منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه؛ ومنـــها، أنَّ عادة الرسل أن تبتلي، وتكون لها العاقبة، كما في قصة هرقل مع أبي سفيان. والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من الكاذب، ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين، لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أنَّ نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة، وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول، عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دُورِهم، فاستعدوا لهم، وتحرزوا منهم))[٢].

وقد ذكر ابن حجر -رحمه الله- بعض الحكم الأخرى المستفادة من هذه المحنة، والذي يهمنا هنا الفائدة الأولى التي ذكرها، والتي تبين وجوب

---

(١) رواه مسلم في صحيح (١٤١٧/٣رقم١٧٩١).

(٢) فتح الباري (٣٤٧/٧).

السمع والطاعة لله ولرسوله، ولا سيَّما وقتَ الفتن والنوازل، وأنَّ في مخالفة ذلك حلول الفتن والمصائب في النفس والمال، وأنّه لا يجوز الاجتهاد في مقابل النص أبداً كائناً المجتهد من كان، فالسلامة في الطاعة والاتباع.

الموقف الثالث: موقف أبي بكر الصديق t وموقف عمر t يوم الحديبية.

وذلك لّما جاء سهيل بن عمرو إلى النبي r ليكتب بين قريش ورسول الله r كتاباً يكون أصلاً للصلح بين المسلمين وكفار مكة، فأجاب رسول الله r لذلك وقال: « لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها »[(١)].

فاشتطت قريش بالشروط، ومنعت النبي r دخولَ مكة في العام نفسه، وأجَّلت دخوله إلى العام المقبل، واشترطوا كذلك ردَّ من آمن من الكفار إلى أهله، فامتعظ المسلمون من هذا الشرط، وخافوا على إخوانهم أن يؤذوا إذا أعيدوا إلى الكفار.

فقال عمر بن الخطاب: «فأتيت نبي الله r ، فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: « بلى » قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال:

---

(١) خطة: بضم الخاء المعجمة أي: خصلة من ترك للقتال في الحرم أو حق الرحم. فتح الباري (٥/٣٣٦).

« بلى » قلت: فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: « إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري » قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: « بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ » قال: قلت: لا قال: « فإنك آتيه، ومُطَّوِفٌ به ». قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلمَ نعطي الدنيَّة في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه لَرَسول الله حقاً، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا . قال: فإنك آتيه، ومُطَّوِفٌ به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً))[١].

وفي رواية: فَنَزَلَتْ سورة الفتح، فقرأها رسول الله r على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: « نعم »[٢].

ففي هذه الحادثة العظيمة التي حدثت للنبي r وأصحابه يظهر لنا جلياً أهميَّة التمسك بالكتاب والسنة، ولا سيَّما في أوقات الأزمات والفتن، ولو كنَّا لهذا التمسّك من الكارهين فإنَّه لا نجاة إلا به.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٩/٥-مع الفتح)، ومعنى قوله (بغرزه) هو بفتح المعجمة وسكون الراء وهو للإبل بمنزلة الركب للفرس، والمراد التمسك بأمره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٨١/٦-مع الفتح).

فهذا عمر المحدَّث المُلْهَم لما رأى شدة قريش في شروطها، وقع في نفسه t أنَّ الإسلام أعزُّ من قريش وشروطها، فأشار على النبي r أن لا يقبل هذه الشروط، وأنَّ يقاتلهم، فإما النصرُ، وإما الشهادة، ولكن الرسول r وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، بيَّن له صواب الصلح معهم، وأنَّ في ذلك تعظيم لحرمات الله، وأنَّ دخولهم إلى مكة بعدَ عامٍ مع تعظيم حرمات الله، خيرٌ من انتهاك الحرمات، وأنَّ الله لن يخذل رسوله وعباده المؤمنين.

ثم خرج عمر t من عند رسول الله r ، فدخل على أبي بكر t ، وقال له مثلما قال لرسول الله r ، فأجاب أبو بكر بنحو جواب رسول الله r ، وهو توافق مبارك يدلُّ على كمال استسلام أبي بكر لأمر الله ورسوله، وأنَّه مع رسول الله في ظاهره وباطنه، ولذلك وافقه.

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((لم يذكر عمر أنه راجع أحدا في ذلك بعد رسول الله غير أبي بكر الصديق، وذلك لجلالة قدره، وسعة علمه عنده، وفي جواب أبي بكر لعمر بنظير ما أجابه النبي r دلالة على أنه كان أكمل الصحابة، وأعرفهم بأحوال رسول الله r ، وأعلمهم بأمور الدين، وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى. وقد وقع التصريح في هذا الحديث بأن المسلمين استنكروا الصلح المذكور، وكانوا على رأي عمر في ذلك،

وظهر من هذا الفصل أن الصديق لم يكن في ذلك موافقاً لهم، بل كان قلبه على قلب رسول الله r سواء))[١].

فلمَّا استسلم أصحاب النبي r رضي الله عنهم لأمر الله، ورضوا بما رضيه الله لرسوله r أنْزل -سبحانه- سورة الفتح للدلالة على أنَّ الله يعلم ما لا يعلمون، وأنَّ فيما رضيه لرسوله من صلحٍ خيراً لهم، وأنه أفضل من قتالهم، فهو فتح بلا قتال، وجعل عاقبة ذلك أن انقلب كيد الكفار عليهم، حتى أتوا وطلبوا من النبي r أن يكفَّ أيدي هؤلاء الذين طلبوهم، وتشددوا أولَ الأمر كما حصل لأبي بصير وأبي جندل -رضي الله عنهما- لما هربوا من قومهم بعد أن ردهم رسول الله r حسب شروط الصلح، فقد خرجوا حتى أتوا سيف البحر[٢]، فجعل لا يخرج من قريش رجلٌ قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي r ، تناشده بالله والرحم، لَّما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي r إليهم، فأنزل الله تعالى:] !

" # $ % & ' ( ) * + , -

. Z حتى بلغ] h i j Z [الفتح: ٢٤- ٢٦]، وكانت

(١) فتح الباري (٥/٣٤٦).

(٢) سيف البحر بكسر المهملة أي ساحل البحر.

حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت[١].

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله r من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا، ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تَكَرُّهٍ من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب t ...، فلما نحر هديه حيث أُحْصِرَ، ورجع أنزل الله -عز وجل- هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم، وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه من أمن الناس، واجتماع بعضهم ببعض، وتكَلُّمِ المؤمن مع الكاف، وانتشار العلم النافع والإيمان، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، ولذلك ورد عن غير واحد من الصحابة أن هذا هو الفتح المراد بالآية، وليس فتح مكة، وإن كان فتح مكة فتحاً.كما روي عن ابن مسعود t أو غيره أنه قال: ((إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح: صلح الحديبية)).

وعن جابر t قال: ((ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية)).

وقال البراء t : ((تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية))[١].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/٣٣٢-مع الفتح) .

فبان بذلك أهمية التمسك بالكتاب والسنة، وإن خالف في ذلك أعقل الرجال وأكملهم، فإنَّ العصمة بالتمسك بالكتاب والسنة.

وقد صار هذا الموقف درساً عظيماً لأصحاب رسول الله **r** في شأنهم كلِّه، فكانوا يقدمون الكتاب والسنة على آرائهم، بل ويتهمون آرائهم ويأمرون الناس باتهام آرائهم، ويأمرون بالصبر على الكتاب والسنة، وإن كانوا يرون خلافه لأول وهلة.

ولذلك لما طلب أهل الشام الصلح من علي وقــتَ الفتنة كره ذلك كثير من أصحابه لما يرون من قوَّتهم، وظهورهم على أهل الشام، ولكنَّ علياً **t** أجابهم إلى الصلح، واحتجَّ بصلح النبي **r** مع ظهوره يوم الحديبية، وعليٌّ **t** من أعلم الناس بالصلح وشروطه، لأنَّه كان كاتب النبي **r** ذلك اليوم، فحصل بهذا المصلِح عزٌّ للإسلام، وحقنٌ لدماء المسلمين، واجتمع الناس بعد فرقتهم، وتوادوا بعد عدواتهم.

كما روي عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله، فقال: كنا بصفين، فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله(٢) فقال علي: نعم. فقال سهل بن حنيف: ((اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٢٢٧/٧) باختصار وتصرُّف.

(٢) هكذا رواه البخاري، ورواه الإمام أحمد في المسند (٤٨٥/٣) وساق الآية كاملــة وهي: ﮋ ﭑ " # $ % ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ * + , - . / 0 1 2 3 4 ﮊ [آل عمران: ٢٣].

-يعني: الصلح الذي كان بين النبي r والمشركين- ولو نرى قتالاً لقاتلنا...ثم ذكر قصة مراجعة عمر النبيَّ r وجواب النبي وأبي بكر له))[١].

وفي رواية: قال الأعمش: سألت أبا وائل: شهدت صفين؟ قال: نعم. فسمعت سهل بن حنيف يقول: ((اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أرد أمر النبي r لرددته، وما وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه غير أمرنا هذا))[٢].

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((وقوله: ((اتهموا أنفسكم)) أي: في هذا الرأي. لأن كثيراً منهم أنكروا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي: كلمة حق أريد بها باطل، وأشار عليهم كبار الصحابة بمطاوعة علي، وأن لا يخالفوا ما يشير به لكونه أعلم بالمصلحة، وذكر لهم سهل بن حنيف ما وقع لهم بالحديبية، وأنهم رأوا يومئذ أن يستمروا على القتال ويخالفوا ما دعوا إليه من الصلح، ثم ظهر أنَّ الأصلح هو الذي كان شرع النبي r فيه))[٣].

فهذا هو الواجب على أهل الإسلام وقت الفتن، أن يتطاوعوا، ويصطلحوا تنفيذاً لأمر الله في وجوب الاجتماع، وترك الاختلاف، حتى وإن ظهر لبعض الناس أنَّ في الاجتماع ظلماً له، أو هضماً لحقه، فإن

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/٥٨٧-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١١ رقم ١٧٨٥).
(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/٢٨١-مع الفتح).
(٣) فتح الباري (٨/٥٨٩).

عاقبته -بإذن الله- حسنة، ومآله إلى خير، كما مر معنا في الحديبية وصفين. والله أعلم.

الموقف الرابع: بيعة أبي بكر الصديق t .

سبق معنا في المبحث الثالث من الفصل الأول أنَّ موت النبي r أحد الأسباب الكونية لظهور الفتن، ونذكر هنا كيف حمى الله —عز وجلَّ- أمَّة الإسلام من هذه القاصمة بالتزامهم هدي الكتـــاب والسنة، الذي هو ميراث النبي r الباقي بعد موته r .

قال أبو بكر ابن العـــربي —رحمـــه الله-: ((بعد أن استأثر الله بنبيَّه r ، وقد أكمل له ولنا دينه، وأتمَّ عليه وعلينا نعمته كما قال تعالى: [K

L M N O P Q R S T U Z

[المائدة: ٣] وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة. وذلك العمل الصالح والدار الآخرة فهي دار الله الكاملة، قال أنس t : ((ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله r حتى أنكرنا قلوبنا))[١]. واضطربت الحال ثم تدارك الله الإسلام ببيعة أبي بكرٍ، فكان موت النبي r (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر...، فتدارك الله الإسلام والأنام، وانجابت الغمة انجباب الغمام، ونفذ وعد الله باستئثار

(١) سبق تخريجه (ص/٣٦).

رسول الله r ، وإقامة دينه على التمام، وإن كان قد أصاب ما أصاب من الرزيَّة الإسلام بأبي بكر الصديق t))[١].

وعن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي r أنَّ رسول الله r مات وأبو بكر بالسّنح -قال إسماعيل[٢]: يعني بالعالية- فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله r قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر، فكشف عن رسول الله r ، فقبله، فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيّاً وميتاً، والذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج، فقال: أيها الحالف، على رسلك، فلما تكلَّم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً r فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال:] إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَZ [الزمر: ٣٠] وقال: [C D E F G H I J

K M N O P Q R S U V W X

Y Z [\ | ^ _ ` Z [آل عمران: ١٤٤] قال:

(١) العواصم من القواصم (ص/٣٧-٤١) باختصار.

(٢) إسماعيل هو ابن عبد الله الأصبحي شيخ البخاري أحد رواة هذا الحديث.

فنشج الناس يبكون[١]. قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منَّا أمير، ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله r ، فأخذ عمر بيده، فبايعه، وبايعه الناس))[٢].

ففي هذا الحديث بيان لهذا الموقف العظيم الذي وقفه أصحاب رسول الله r ورضي عنهم، فأبو بكر t لَمَّا علم موت النبي r ، ورأى دهشة الناس خرج إلى المسجد، وذكَّرهم بأنهم عباد الله، وأنَّ رسول الله r إذا كان قد مات فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا عليهم من القرآن

(١) أي: أيقنوا بموت النبي r بعد أن كانوا في دهشة لما تلا عليهم أبو بكر t هذه الآيات، وهذا موقف عظيم يدل على ثبات أبي بكر t وقت الفتن، وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله r فهداه الله، وهدى به -رضي الله عنه، وأرضاه-.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٠/٧) .

الدليل على جواز موت النبي r ، فكأنَّ الناس من هَمِّهم لم يسمعوا هذه الآيات قبل هذا، فأيقنوا بموت النبي r ، وأجهشوا بالبكاء .

لكن أبا بكرٍ t فقدَ إخوانه من الأنصار، فقيل: هم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة للتشاور في شأن الإمارة بعد رسول الله r ، فاهتمَّ لذلك أبو بكر، واهتمَّ عمر، وبدأ يعد في نفسه كلاماً يراه يحسم الأمر، ويجمع الأمة، ولكن الله هيأ للأمة أبا بكر t ، فتكلَّم، فأحسن، فلم يستأثر بالأمر، أو يدعو لنفسه، بل جعل هذا الأمر في قريش لأمر النبي r بذلك، وكذلك لم يمنع الأنصار حقَّهم في المشاورة والوزارة، فهدأت نفوسهم، وامتثلوا أمر الله، وأمر رسوله في تقديم قريش، ثم بادر الفاروق t بمبايعة أبي بكر المجمع على سابقته، وتعظيمه، وقربه من رسول الله r ، فلمَّا رأى الناس ذلك رضوا، وبادروا إلى بيعته، فسلَّم الله الأمة، وأنجاهم من هذه الفتنة العظيمة، بسبب تمسك هؤلاء الأئمة بالكتاب والسنة.

قال عمر t : ((وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم، ولم تكن بيعة، أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساداً،

فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو، ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا))[١].

فهذا هو الواجب على أهل الحلِّ والعقد، أن يبادروا إلى جمع الكلمة وسد باب الفتن على الأمة، وأن يكون همهم مصلحة الأمة لا مصلحتهم الخاصة، ولذلك أبى عمر أن يوافق أبا بكر فيكون خليفة عليه، بل رأى أن أبا بكر أولى منه في ذلك.

ورحم الله الأنصار، ورضي عنهم، فإنه لَمَّا ذكر لهم حقَّ قريش في الخلافة لم يتجاوزوا النصَّ، بل آمنوا، وسلَّموا، وتركوا ما كانوا عزموا عليه من تأمير أحدهم، أو اقتسام الإمارة مع قريش، ولذلك لَمَّا بايع عمرُ أبا بكر، بادروا إلى بيعته، حتى أنهم اجتمعوا عليه، وكان في الدار سعد بن عبادة مريضاً، فداسوه من الزِّحام، وما شعروا به.

وهذا هو الواجب على المسلمين إذا ذُكِّرُوا بالله.

وعن أنس بن مالك t أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي النبي r ، فتشهد، وأبو بكر صامت لا يتكلم. قال: ((كنت أرجو أن يعيش رسول الله r حتى يَدْبَرَنا -يريد بذلك: أن يكون آخرهم- فإن يك محمد r قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٢/١٤٥-مع الفتح)، وقوله (تغرة) بغين معجمة مكسورة وراء ثقيلة أي حذرا من القتل، وهو مصدر من أغررته تغريرا أو تغرة والمعنى أن منذ فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل.

أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً r ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله r ثاني اثنين، فإنَّه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهري: عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعد الْمِنْبَر، فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه الناس عامة))[١].

وبهذا التوفيق من الله، والحرص على متابعة الكتاب والسنة، حفظ الله الأمة وجمعها، وآلف بينها، فانقاد عامتهم لخاصتهم، ولزمت بيعة أبي بكر المسلمين جميعا في البلدان الإسلامية قاطبة، فلم ينكر ذلك منهم أحدٌ، وما تردد منهم أحد -رضي الله عنهم، وأرضاهم-.

يقول ابن كثير -رحمه الله-: ((فصلٌ في ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته r وقبل دفنه. قال: ومن أعظمها، وأجلِّها، وأيمنها بركة على الإسلام وأهله، بيعة أبي بكر الصديق t))[٢].

وصدق -رحمه الله- في ذلك، فقد قاد أبو بكر t الأمة إلى كل خير، ووقف مواقفاً عظاماً لا يطيقها غيره، متمسكاً بهدي النبي r في دقيق الأمر وجليله، لا يفارقه أبداً وإن سخط الناس.

ولذلك لَمّا ارتد من ارتد من العرب وعزم على قتالهم بجميع أصنافهم راجعه عمر t وقال له: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله r : «

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٢٠٦-مع الفتح) .

(٢) البداية والنهاية (٥/٢١٤).

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله »؟! فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّقَ بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً -وفي رواية: عناقاً- كانوا يؤدونه إلى رسول الله r لقاتلتهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب: ((فوالله ما هو إلا أن رأيت الله -عزَّ وجلَّ- قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق))[1].

فأَقَرَّ الصحابةُ y رأي أبي بكر t ، وأجمعوا على قتال المرتدين، فجندوا الجنود، وجيَّشوا الجيوش، وجابوا الجزيرة شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، داعين الناس إلى دينهم، ومعيدينهم إلى دولة الإسلام، ومنقذينهم من العودة إلى الجاهلية الأولى، فلم تمض سنة حتى عادت الجزيرة -ولله الحمد- إلى الإسلام، وسكنت الفتن، وعادت الأخوة الإسلامية إلى قلوب الناس.

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((استهلَّت سنة اثنتي عشرة من الهجرة النبوية، وجيوش الصديق، وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة جوالون في البلاد يميناً وشمالاً، لتمهيد قواعد الإسلام، وقتال الطغاة من الأنام، حتى ردَّ شارد الدين بعد ذهابه، ورجع الحق إلى نصابه، وتمهدت جزيرة العرب

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٧٧/١٢-مع الفتح)، ورواه مسلم في صحيحه (٥١/١ رقم٢٠) من حديث أبي هريرة t .

وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى))[(١)].

وبهذا الموقف العظيم خمدت الفتن -ولله الحمد والمنة- وهكذا الواجب على المسلمين وقت الفتن والنوازل أن يرجعوا إلى أئمتهم أهل الحل والعقد فيهم، فيأخذوا بأمرهم، ولا يجاوزوهم إلى غيرهم، حتى يسلموا وإلا وقعت الفتن في الأمة.

ثم ختم أبو بكر t عهده المبارك بمسكٍ، حيث اختار لهذه الأمة السلامة من الفتن، وسدَّ كل طريق يؤدي إليها، فأوصى بالخلافة من بعده للفاروق t ، -وأرضاه- فقادها t لكل خير، وانغلقت به أبواب الفتن، حتى عمَّ الإسلام أرجاء المعمورة، وتحققت به الأخبار عن رسول الله r ، كما في حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: أنَّ النبي r قال: « أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنَزَعَ ذنوباً أو ذنوبين، فنـــزع نزعا ضعيفاً والله يغفر له، ثم جاء عمر فاستقى، فاستحالت غرباً، فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه، حتى روى الناس، وضربوا بعطن »[(٢)].

ولهذا الحديث، وما جاء في معناه، ولِما يعلمه الصديق t بادر عندما حضرته الوفاة إلى الوصية لعمر t بالخلافة، وقد جاء عنه t أنه

(١) البداية والنهاية (٦/٣٤٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/٤١-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٤/١٨٦٢ رقم٢٣٩٣).

أطلَّ على المسلمين في مرضه فقال: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب، فاسمعوا له، وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا[١].

فهذا الموقف العظيم من الصديق t عندما عزم على تولية عمر، وجَدَّ في ذلك حمى الأمة من خوف الوقوع في الفتن، ثم كان الموقف العظيم من بقية الصحابة y بالرضا والتسليم لأمر الصديق t ، وعدم التنافس في ذلك الأمر دليلا على حرصهم على الأمة، وبعدهم عن أسباب الفتن - رضي الله عنهم، وأرضاهم -.

الموقف الخامس: بيعة عثمان t .

لما طعن الفاروق t على يد الخبيث أبي لؤلؤة المجوسي- قاتله الله- حرص أصحاب النبي r على سلامة الأمة كما سلمت أيام الصديق t باستخلافه لعمر، ولذلك بادروا بطلب الاستخلاف، وأن يقيم عليهم أحدهم كما فعل أبو بكر t ، ولم يمنعهم من ذلك ما يرون من مرضه وما نزل به، لأن مصلحة الأمة أهم، وربما توقفت على كلمات يقولها الفاروق t في هذا الوقت الحَرِج، فسَنَّ t سنةً عظيمة حيث أشرك معه أهل الحلِّ والعقد في اختيار من يخلفه حرصاً منه t على سلامة ذمته فيكون هو t كالمشير عليهم بعد أن اختاره أفضل أهل زمانهم،

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٤٢٨).

وأفضل الأمة بعده t حيث قال: ((ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله r وهو عنهم راض، فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيُّكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة))(١).

قال ابن حجر - رحمه الله -: ((قال ابن بطال - ما حاصله -: إنَّ عمر سلك في هذا الأمر مسلكاً متوسطاً خشية الفتنة، فرأى أن الاستخلاف أضبط لأمر المسلمين، فجعل الأمر معقوداً موقوفاً على الستة لئلا يترك الاقتداء بالنبي وأبي بكر، فأخذ من فعل النبي طرفاً، وهو ترك التعيين، ومن فعل أبي بكر طرفاً، وهو العقد لأحد الستة، وإن لم ينص عليه))(٢).

فرضيت الأمة بما رضيه لها إمامها وخليفتها، ولم يعترض من الصحابة y أحد على هذا الاختيار، ولم يطلب منهم أحد شيئاً لنفسه، وصار أمر الأمة بأجمعها في يد هؤلاء الستة، فهم أهل الحل والعقد، وهم من يختار خليفة المسلمين منهم، وعلى بقية المسلمين في جميع أنحاء الأرض السمع والطاعة، ولم يعترض على هذا الاختيار أحد من الأنصار y لأن جميع هؤلاء الستة من قريش من المهاجرين، وما ذاك إلا لإيمانهم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦١/٧-مع الفتح).

(٢) فتح الباري (٢٠٧/١٣).

وتصديقهم خبر رسول الله r أن الأئمة من قريش كما مرَّ في بيعة الصديق t ، فسَدُّوا بذلك باب الفتن - رضي الله عنهم، وأرضاهم، وأحبَّنا بحبهم وحب المهاجرين y وحب إمامهم رسول الله r -.

ودفن عمر t في ذلك المكان العظيم مع رسول الله r وأبي بكر t ، ونال بذلك شرف القرب من رسول الله r في البرزخ بعدما ناله في الدنيا، وسيناله -والله الذي لا إله غيره- في الآخرة، وهذا آية عظمى على صدق إيمانه، وبرهان على صدق صُحبته وقربه لرسول الله r ، وفيه ردٌّ عظيم على من طعن فيه ممن نزع الله الإيمان من قلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فلولا إيمان عمر لما رضيه الله صاحباً لرسوله، وأباً لزوجه أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها -، ولما رضيه علي صهراً له على ابنته أم كلثوم، ولما رضيه المؤمنون - وفيهم علي والحسن والحسين - خليفة لأبي بكر عشر سنوات، ثم بعد هذا مسك الختام صحبة سيد الأنام، ومجاورته في دار البرزخ، ولكن:] فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ Z [الحج: ٤٦].

ولما فرغ من دفنه t اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه،

والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي، والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم . فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله r والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرْتُك لتعدِلَنَّ، ولئن أمَّرْتُ عثمان لتسمعنَّ ولتطيعنَّ، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايَعَهُ، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه))[١].

وفي رواية: ((فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن، ثم قال: أما بعد يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعد، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس، المهاجرون، والأنصار، وأمراء الأجناد، والمسلمون))[٢].

فهذا الموقف العظيم من الصحابة - رضي الله عنهم، وأرضاهم - يدل على إيمانهم وعلمهم وحكمتهم ومعرفتهم التَّامة بما يصلح أمر المسلمين، وبُعْدهم عن أسباب الفرقة والفتنة، فرضي الله عنهم أرضاهم،و جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٢/٧-٦٣-مع الفتح).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٩٤/١٣-مع الفتح).

وفيه: دليل على بعدهم عن حظوظ النفس وطلب الرئاسة، ورضاهم بما رآه إخوانهم من غير رد أو مخالفة أو شذوذ أو فرقة.

وفيه: أن الفتن ما تُرَدُّ إلا بالتمسُّك بالكتاب والسنة ومشاورة أهل الحل والعقد، وأنَّ ما أجمع عليه أهل الحل والعقد يجب قبوله من عامة المسلمين وخاصتهم.

قال النووي -رحمه الله -: ((أجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان حيث لا يكون هناك استخلاف غيره، وعلى جواز جعلِ الخليفةِ الأمرَ شورى بين عدد محصور أو غيره))[1].

وبهذا الموقف العظيم جمع الله المسلمين وأعزهم، ووصلت فتوحاتهم المشرق والمغرب، ولا زالوا على ذلك طيلة خلافة عثمان t وهم في أمن وأمان وعز وإيمان، حتى خرجت خارجة على حين غفلة من المؤمنين، وبذرت الشرَّ بين شباب منهم لم يعرفوا الجاهلية، وقامت الفتنة التي بذرها أعداء الإسلام كعبد الله بن سبأ اليهودي، ومن نحا نحوه من المنافقين، واستغلوا العاطفة الدينية الموجودة عند شباب المسلمين، واستعملوهم سلاحاً لهدم الإسلام فخرجوا على عثمان t بدعوى إنكار المنكر، وكذبوا بل هم المنكر، وما جاؤوا به المنكر، وانتهت تلك الفتنة بمقتله t شهيداً، صابراً في داره - رضي الله عنه، وأرضاه -.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٠٥) وانظر :فتح الباري (١٣/٢٠٨).

فقارن - حماك الله من الفتن - بين موقف الصحابة y يوم بيعة عثمان، وبين موقف هؤلاء الشُذّاذ يوم مقتله لتعرف أسباب الحماية من الفتن فتأتيها، وأسباب الفتن فتجتنبها[١].

وسيأتي - إن شاء الله تعالى- زيادة على ذلك في المبحث الثالث من الفصل الثالث من هذا البحث.

الموقف السادس: موقف الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-.

أما الحسن بن علي -رضي الله عنهما- فقد وقف في الإسلام موقفاً عظيماً حقن الله به دماء المسلمين، وجمع به كلمتهم، وأعاد به عزَّهم وقوَّتهم، وتحقَّق به قول النبي r: « ابني هذا سيِّد، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين »[٢].

وكان r يحمله على عاتقه ويقول: « اللهم إني أحبه فأحبَّه »[٣].
وكان لموقفه العظيم هذا مقدمات، فقد أنكر t على أولئك الشُذّاذ

(١) انظر لذلك: فتنة مقتل عثمان. د/محمد بن عبد الله الغبَّان- من منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/٩٤-مع الفتح) .
(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/٩٤-مع الفتح) .

الذين حاصروا عثمان t . وكان مبادراً إلى نصرة عثمان t ، كثير الذبِّ عنه [١]. ودخل على عثمان دارَه وقال له: أختَرِطُ سيفي؟ فقال له: لا . أبرأ إلى الله من دمك، ولكن ثم سيفك، وارجع إلى أبيك [٢].

ولما اشتد الأمر بعثمانَ t رجع الحسن t إلى الدار للدفاع عنه في عنقه السيف، ولكن عثمان t عزم عليه ألا يقاتل [٣].

ولَمَّا عزم هؤلاء الشُّذَّاذ الخوارج على قتل أمير المؤمنين عثمان t دافع الحسن بن علي عنه دفاعاً شديداً، وحماه بنفسه حتى أصابته جراحات، فأخرج من الدار محمولاً ملطخاً بدمه - رضي الله عنه، وأرضاه -[٤].

وهكذا نرى ثباته في نصرة الحق، والدفاع عن إمام المسلمين حرصاً منه على درء الفتنة، واجتماع الكلمة.

ولَمَّا قتل عثمان t ، وحصل ما حصل من تفرُّقِ المسلمين - ولا حول ولا قوة إلا بالله - وعزم أمير المؤمنين عليٌّ t على المسير إلى العراق، كان الحسن t يشير عليه بترك القتال [٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٢٦٠) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/٢٢٤) .

(٣) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان t ٣٩٥ .

(٤) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٧٨- مع الإصابة).

(٥) منهاج السنة (٤/٥٣٥) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: خرجنا إلى الجمل ست مائة، فأتينا الربذة، فقام الحسن فبكى، فقال علي: تكلم، ودع عنك أن تَحِنَّ حنين الجارية . قال: إني كنت أشرت عليك بالمقام، وأنا أشيره الآن. إنَّ للعرب جولة، ولو قد رجعت إليها عوازب أحلامها، قد ضربوا إليك آباط الإبل حتى يستخرجوك، ولو كنت في مثل جحر ضب . قال: أتراني لا أبا لك، كنت منتظراً كما ينتظر الضبع اللدم [١].

ومرَّ عليٌّ t على قوم اجتمعوا على رجل فقال: من ذا؟ قالوا: الحسن. قال: طحن إبل لم تعود طحنا. إن لكل قوم صداداً، وإنَّ صدادنا الحسن [٢].

وهكذا خرج مع أبيه وهو كاره للقتال، محبٌّ للصلح والسلامة لجميع المسلمين- رضي الله عنه، وأرضاه - وهذه الأمور والفتن قد أثرت عليه قطعاً، ورأى ما فيها من فساد للإسلام وأهله، ولذلك لما قتل علي t وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد أمير المؤمنين علي t لم يكن وحده ضعيفاً، بل كان معه من الجيش أمثال الجبال، ولكنه نظر إلى هذه الكتائب وقد حملت السيوف لقتال بعضها، فعرف أن قتال المسلمين لا خير فيه، وآثر الأمةَ ومصالحها على نفسه، فسدَّ الله به باب الفتن، وجمع به الأمة حتى سُمِّيَ ذلك العام عام الجماعة.

(١) السنة للخلال (٢/٣٥١) وانظر: سير أعلام النبلاء (٣/٢٦١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٦٢).

وعن عمرو بن دينار: أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما توفي علي بعث إلى الحسن، فأصلح ما بينه وبينه سراً، وأعطاه معاوية عهداً: إن حدث به حدث - والحسن حيٌّ- ليسمِّيَنَّهُ، وليجعلنَّ الأمر إليه، فلما توثق منه الحسن قال ابن جعفر: والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم، فجذب بثوبي، وقال: يا هناه، اجلس. فجلست. فقال: إني قد رأيت رأيا وإني أحب أن تتابعني عليه. قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة، فأنزلها، وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسفكت الدماء، وقطعت الأرحام والسبل، وعطلت الفروج.

فقام الحسن فقال: أيُّها الناسُ، إني كنت أكره الناس لأول هذا الأمر، وأنا أصلحت آخره -إلى أن قال:- إنَّ الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك، أو لشر يعلمه فيك،] وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ ´ Z [الأنبياء: ١١١] ، ثم نزل [1].

وعن الحسن البصري -رحمه الله - قال: ((استقبل – والله - الحسنُ بنُ علي معاويةَ بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها. فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين [2]؛ أي عمرو -: إنْ قَتَل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هــؤلاء، مَن لي

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٢٦٥).

(٢) يعني بالرجلين: معاوية وعمراً.

بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليهم برجلين من قريش: عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها . قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك، ويسألك . قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا نحن لك به، فصالحه. قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله r على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى - ويقول: « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[(١)]))[(٢)].

قال شيخ الإسلام - رحمه الله – ((وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين، وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث، ولهذا استقَرَّ أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة، للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي r وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم -وإن كان قد

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/٣٠٦-مع الفتح).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٧٠-٢٧١) .

قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين-. ولهذا أثنى النبي r على الحسن بقوله: « إن ابني هذا سيد...» الحديث.

ولم يثن على أحد، لا بقتال في فتنة، ولا بخروج على الأئمة، ولا نزع يد من طاعة، ولا مفارقة للجماعة.

وهذا يبين أن الإصـــلاح بين الطائفتين كان محبوباً ممدوحاً يحبه الله ورسوله، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التي أثنى بها عليه النبي r ، ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يثن النبي r على أحد بترك واجب أو مستحب، ولهذا لم يثن النبي r على أحد بما جرى من القتال يوم الجمل وصفين، فضلاً عما جرى في المدينة يوم الحرة، وما جرى بمكة في حصار ابن الزبير، وما جرى في فتنة ابن الأشعث وابن المهلب وغير ذلك من الفتن، ولكن تواتر عنه أنه أمر بقتال الخوارج المارقين الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب t بالنهروان بعد خروجهم عليه بحروراء، فهؤلاء استفاضت السنن عن النبي r بالأمر بقتالهم، ولما قاتلهم علي t فرح بقتالهم، وروى الحديث فيهم، واتفق الصحابة على قتال هؤلاء، وكذلك أئمة أهل العلم بعدهم لم يكن هذا القتال عندهم كقتال أهل الجمل وصفين وغيرهما مما لم يأت فيه نص ولا إجماع، ولا حمده أفاضل الداخلين فيه، بل ندموا عليه ورجعوا عنه. وعلي t في آخر الأمر تبين له أنَّ المصلحة في ترك القتال أعـــظم

منها في فعله))(١).

وقال الذهبي - رحمه الله -: ((أعاذنا الله من الفتن، ورضي عن جميع الصحابة، فترضَّ عنهم يا شيعي تفلح، ولا تدخل بينهم، فالله حكم عدل يفعل فيهم سابق علمه، ورحمته وسعت كل شيء))(٢).

فجزى الله الحسن بن علي عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وهنأه الله بما شرَّفه به من السيادة في الدنيا والآخرة، ورزقنا حبَّه ومرافقته وأبيه وجده r وجميع الصحابة في الجنة بحبنا لهم وإن لم نعمل بأعمالهم.

الموقف السابع: موقف عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-

كان عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أحد علماء الصحابة y وكان مع صغر سِنِّه بالنسبة لكبار الصحابة من أهل الرأي والمشورة عندهم، ولذلك جعله عمر بن الخطاب t مستشاراً للستَّة الذين جعل الخلافة فيهم لما طُعِنَ.

وكان t من أكثر الصحابة حرصاً على متابعة النبي r في كلِّ شأنه وأحواله حتى في الأمور العادية، ولذلك اشتهر بين الصحابة بهذا، وقد عاصر t ظهور الفتن، وقد رأى كيف عالجها كبار الصحابة، وكيف قضوا عليها في مهدها، فرأى كيف قضى أبو بكر t على

(١) منهاج السنة (٥٢٩/٤-٥٣٥) باختصار.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٧٩/٣) .

المرتدين، وكيف صنع عمر بالخلافة لَمَّا طُعِنَ، ورأى الأحداث التي جرت على عثمان t ، وكيف صبر عليها، وفدى الأمة بنفسه صابراً محتسباً، مُؤْثِراً لِسَلامة الأمة على سلامته.

كل هذه الأمور مع ما حفظه من رسول الله r في الفتن، جعلت من موقفه t موقفاً واضحاً في الفتن حمى به نفسه، وحمى به أهله وولده ومن أطاعه من الناس. وحمد موقفه عامة المسلمين بعد الفتنة.

فأوَّل ما ظهر من حِكْمَتِهِ t في هذا الباب رضاه بما عزم عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t من جعل الأمر شورى بين ستة من الصحابة y، وجعل ابن عمر معهم كالمستشار لهم، وليس له من الأمر شيء، فرَضِيَ t بذلك، ولم يرفع للخلافة رأساً، ولم يعتِب على أبيه مَنْعَه الخلافةَ، وهذا موقف يدلُّ إيمانه وصدقه في طاعة الله ورسوله، وبعده عن حظوظ النفس.

ثمَّ لما حُصر عثمان t بادر إلى نصرته بنفسه، ودخل الدار معه مع نفرٍ من الصحابة y منهم: الحسن بن علي t كما تقدم معنا في موقف الحسن t .

أما عبد الله بن عمر، فقد قال نافع: ((لَبِسَ ابن عمر الدرعَ يوم الدار مرَّتين، فأتى عثمان فقال: صحبتُ رسول الله r ، وعرفتُ له حقَّ الرسالة، وحقَّ النبوة، وصحبتُ أبا بكر فعرفتُ له حقَّ الولاية، وصحبتُ عمر فكنت أعرفُ له حقَّ الوالد وحقَّ الولاية، وأنا أعرفُ لك مثل ذلك.

فقال له عثمان: جزاكم الله خيراً من أهل البيت. اقعد في بيتك حتى يأتيك أمري))[١].

وعنه أيضاً قال:((دخل ابن عمر على عثمان وعنده المغيرة بن الأخنس فقال: انظر ما يقول هؤلاء! يقولون: اخلعها، ولا تقتل نفسك. فقال ابن عمر: إذا خلعتها أمخلد أنت في الدنيا؟ قال: لا. قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا. قال: فهل يملكون لك جنَّة أو ناراً؟ قال: لا . قال: فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قَمَّصَكَهُ الله فتكون سنَّة،كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه))[٢].

فهذا الموقف العظيم من عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما - في أشد الأوقات، وعدم تهاونه في أمر الخلافة والإمامة ووقوفه في وجه هؤلاء الخارجين، وعدم إعطائهم ما يريدون يدل على قوة الإيمان، وأنَّ النجاة في وقت الرَّخاء والشِّدة إنَّما تكونُ بالتمسُّك بالكتاب والسنة، وإن كان يخالف مراد الإنسان وظنه.

ولَمَّا قتل عثمان t وقامت الفتنة اعتزل t أمْرَ الناسِ، و لم يكن في جيش أحد من المتقاتلين، بل خرج من المدينة إلى مكة فاراً بدينه، كافاً يده ولسانه عن المسلمين، آخذاً بأمر النبي r بالاعتزال وقت الفتن[٣].

(١) رواه ابن عساكر ترجمة عثمان (٣٩٩).
(٢) رواه ابن عساكر ترجمة عثمان (٣٥٩).
(٣) السير (٣/٢٢٤).

وكان t يبين سبب اعتزاله الناس فيقول: ((إنما مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينا هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضهم يمينا وبعضهم شمالاً، فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى جلا الله ذلك عنا حتى أبصرنا الطريق الأول فعرفناه، فأخذنا فيه. إنما هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على هذا السلطان، وعلى هذه الدنيا، والله ما أبالي ألا يكون لي ما يقتل فيه بعضهم بعضاً بنعلي هاتين الجرداوين))[١].

ولذلك أبى أن يدخل في هذا الأمر منذ وقوعه لأول وهلة حين قتل عثمان t ، فقد جاؤوا إليه وقالوا: إنك سيد الناس، وابن سيد، فاخرج نبايع لك الناس. قال: إني والله لئن استطعت لا يهراق في سَبَبِي محجمة من دم. فقالوا: لتخرجن أو لنقتلنك على فراشك. فقال لهم مثل قوله الأول. قال الحسن: فأطمعوه وخوفوه، فما استقبلوا منه شيئا حتى لحق بالله[٢].

وهكذا حفظ t دينه ونفسه من هذه الفتن، وما أعان على قتل مسلم، فإذا اجتمعوا اجتمع معهم، وبايع من ارتضوه، وإذا تفرقوا اعتزلهم حتى يعودوا.

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٧١/٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٩/١-٣١٠)، وذكره الذهبي في السير (٢٣٧/٣).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١٥١/٤) .

ولذلك لَمَّا اجتمع الناس على إمامة معاوية t عامَ الجماعة بايعه وارتضى خلافته، ودخل في جماعة المسلمين ظاهراً وباطناً.

ولَمَّا مات معاوية t ، وأوصى بالخلافة لابنه يزيد، وبايعه الناس كان عبد الله بن عمر من المبايعين ليزيد حرصاً منه على سلامة الأمة، وحفاظاً على جماعتها، وكان في بيعته ليزيد صادقاً باراً، حافظاً لعهده في السرِّ والعلن، آمراً أهله ومن أطاعه بذلك، محذراً لهم عن خلاف ذلك.

ولذلك لَمَّا سمع بعض الناس يقع في يزيد نهاهم عن ذلك، وتعجب منهم فقالوا: إنَّا ندخل على سلطاننا[١] فنقول لهم بخلاف ما نتكلَّم إذا خرجنا من عندهم. قال: ((كنَّا نعدها نفاقاً))[٢].

وهذا دليل على أنَّ البيعة للإمام تستلزم ذكره بخير في السرِّ والعلن، والدعاء له بالصلاح في حضرته، وفي غيابه، وأنَّ خلاف ذلك من النِّفاق - والعياذ بالله - فتدبَّرْ هذا فإنه باب نافع حافظ عاصم من الفتن.

وسبب نهي عبد الله بن عمر الناسَ عن الكلام في السلطان أنَّ ذلك -والله أعلم - يؤدِّي إلى إهانة السلطان، وإضعاف هيبته في النفوس، فيتجرأ الناس على أمرٍ عظيمٍ، قامت بسببه فتنة عظيمة، سالت فيها دماء المسلمين في المدينة النبوية —ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

---

(١) في رواية الطيالسي (ص/٢٦٤رقم١٩٥٥): ((سلاطيننا)) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٣/١٧٠-مع الفتح) .

وقد بادر عبد الله بن عمر t منذ بداية الفتنة إلى محاولة حلِّها، وذلك بنصيحة رؤوس القوم، والذهاب إليهم في بيوتهم وتذكيرهم بالنصوص الشرعية لعلهم أن يراجعوا أنفسهم.

قال نافع: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان - زمن يزيد بن معاوية - فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله r يقوله، سمعت رسول الله r يقول: « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[١].

فلَمَّا لم يقبل الناس نصيحته اعتزلهم، ودخل داره، وأغلق بابه عليه وعلى من أطاعه من أهله، وحذَّرهم من الدخول في هذه الفتن.

قال نافع: لَمَّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر حشمه وولده، فقال: إني سمعت النبي r يقول: « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة »، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا تابع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه[٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٤٧٨/٣رقم١٨٥١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٨/١٣-مع الفتح).

قال ابن حجر - رحمه الله -: ((وفي هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جــار في حكــمه، وأنه لا ينخلع بالفسق))[(١)].

وفيه كذلك دليل على تحريم غيبة الإمام وأن لعرضه الحرمة كبقية المسلمين، وفيه بيان خطورة الوقوع في عرض الإمام بحجة إنكار المنكر، أو نحو ذلك من الحجج الواهية، لأن الوقوع في عرض الإمام يؤدي إلى فساد عظيم كما مرَّ في قصَّة يزيد، وهذا الذي أجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة، وذكروه في عقائدهم .

قال الطحاوي - رحمه الله -: ((ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا نَنْزع يداً من طاعتهم، ونــرى طاعتهم من طاعة الله –عزَّ وجلَّ- فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة))[(٢)].

وقد ابتلي كثير من الناس في هذا الزمــان بهذا الأمــر، واستهانوا بأعراض الولاة بسبب أو بدون سبب متغافلين عن حرمة هذا الأمر، وعن الأمور الخطيرة التي قد يؤدي إليها، وقد حذر العلماء في هذا الزمان منه، من ذلك ما قاله الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - حيث قال: ((إنَّ بعض الناس ديدنه في كل مجلس يجلسه الكلام في ولاة الأمور

(١) فتح الباري (١٣/٧١-٧٢) .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص/٥٤٠) .

والوقوع في أعراضهم، ونشر مساوئهم وأخطائهم، معرضاً بذلك عما لهم من محاسن أو صواب. ولا ريب أن سلوك هذا الطريق، والوقوع في أعراض الولاة لا يزيد الأمر إلا شدة، فإنه لا يحل مشكلة ولا يرفع مظلمة، وإنما يزيد البلاء بلاءً، ويوجب بغض الولاة وكراهيتهم، وعدم تنفيذ أوامرهم التي يجب طاعتهم فيها))[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: ((والكلام في ولاة الأمور من الغيبة والنميمة، وهما من أشدِّ المحرَّمات بعد الشرك، لا سيَّما إذا كانت الغيبة للعلماء ولولاة الأمور، هذا أشد لما يترتب عليه من المفاسد، من تفريق الكلمة، وسوء الظن بولاة الأمور، وبعث اليأس في نفوس الناس))[٢].

فانظر إلى هؤلاء العلماء ما أدق عباراتهم، وما أفقههم في دين الله.

أما ابن عمر فقد سلِم t من هذه الفتنة، بتمسُّكه بهدي الكتاب والسنة في السرِّ والعلن، ولَمَّا مات يزيد وخلفه ابنه معاوية لم يلبث طويلاً فلَمَّا مات ماج الناس بعده، وصار في كل بلد طالبٌ للخلافة، وتفرَّق الناس، اعتزل ابن عمر الناس، وترك بيعتهم طلباً للسلامة لدينه ودمه وعرضه.

وفي هذه الشدة أتاه مروان بن الحكم وقال له: هلُمَّ يدك نبايعك، فإنك سيد العرب، وابن سيدها . قال: كيف أصنع بأهل المشرق؟ قال:

---

(١) وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن (ص/٢٣).

(٢) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة (ص/٦٠) .

نضربهم حتى يبايعوا. قال: ما أحبُّ أنها دانت لي سبعين سنة وأنه قتل في سَبَبِي رجل واحد[١].

وهكذا كلَّما رفعت الفتنة رأسها إليه رفع في وجهها كتاب الله وسنة رسوله r فنجا، وترك الناس يموجون فيها، ولَمَّا اجتمعت كلمتهم بعد هذه الفرقة على عبد الملك بن مروان بادر t في الدخول في جماعتهم وإعلان البيعة له.

قال عبد الله بن دينار: ((لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر: إلى عبد الله عبد الملك، أمير المؤمنين: إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت، وإنَّ بَنِيِّ قد أقروا بذلك))[٢].

وهكذا التزم عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - سنة النبي r في رخائه وشدته، وفي سِرِّه وعلانيته، وهذا هو المشهور عنه، من تمسكه بهدي النبي r ، فقاده هذا التمسك إلى النجاة والسلامة في دينه وعرضه ودمه.

ونختم هذا الموقف بكلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٦٩/٤) وانظر: سير أعلام النبلاء (٢١٦/٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٩٣/١٣-مع الفتح).

قال -رحمه الله-: ((ففي الجملة أهل السنة يجتهدون في طاعة الله ورسوله بحسب الإمكان، كما قال تعالى:] w x y z Z [التغابن: ١٦]وقال النبي r: « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »[1]، ويعلمون أن الله تعالى بعث محمداً r بصلاح العباد في المعاش والمعاد، وأنه أمر بالصلاح، ونهى عن الفساد، فإذا كان الفعل فيه صلاح وفساد رجحوا الراجح منهما، فإذا كان صلاحه أكثر من فساده رجحوا فعله، وإن كان فساده أكثر من صلاحه رجحوا تركه .

فإن الله تعالى بعث رسوله r بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم، فإما أن يقال: يجب منعه من الولاية، وقتاله حتى يولى غيره، كما يفعله من يرى السيف، فهذا رأى فاسد، فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته، وقَلَّ مَنْ خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تَوَلَّدَ على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير

وغاية هؤلاء؛ إما أن يغلبوا، وإما أن يغلبوا، ثم يزول ملكهم، فلا يكون لهم عاقبة، فإن عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٢٦٠-مع الفتح)، ومسلم في صحيحه (٢/٩٧٥ رقم١٣٣٧).

وابن المهلب وغيرهم فهزموا، وهزم أصحابهم، فلا أقاموا دينا، ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين، ولا صلاح الدنيا))[١].

وهذا الذي أراده عبد الله بن عمر t من تركه القتال في الفتنة، ونهيه أهله ومن أطاعه الدخول فيها.

فتأمَّلْ هذا الموقف، واعمل به تسلم كما سَلِمَ -رضي الله عنه، وأرضاه، وجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء - وهذا يدلنا على أنَّ أصحاب النبي r أمانٌ لأمَّة النبي r كما تقدَّم، وأنهم إذا ماتوا أَتَى أمة النبي r ما توعد من الفتن، وكذلك منهجهم أمان لمن تمسَّك به بعدهم، فمن تمسَّك به سلِم، ومن تركه ضلَّ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الموقف الثامن: موقف الإمام أحمد -رحمه الله-.

كان الناس أمة واحدة، ودينهم قائماً في خلافة أبي بكر وعمر. فلَمَّا استُشْهِد قُفْلُ بابِ الفتنة عمرُ t [٢]، وانكسر الباب، قام رؤوس الشرِّ على عثمان الشهيد حتى ذبح صبراً، وتفرَّقت الكلمة، وتَمَّت وقعةُ الجملِ، ثم وقعةُ صفِّين، فظهرت الخوارج وكفَّرَت سادةَ الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب.

---

(١) منهاج السنة (٤/٥٢٧-٥٢٨) باختصار .

(٢) انظر ما تقدَّم في أسباب الفتن (ص/٣٧).

وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية، ثم ظهرت المعتزلة والجهمية والمجسِّمة بخراسان في أثناء عصر التابعين، مع ظهور السنة وأهلها إلى بعد المئتين.

فظهر المأمون الخليفة، وكان ذكياً متكلماً له نظر في المعقول. فاستجلب كتب الأوائل، وعرَّبَ كتب اليونان، وقام في ذلك وقعد، وخبَّ فيه ووضع، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها بل والشيعة فإنه كان كذلك، وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن [١].

قال ابن كثير - رحمه الله -: ((إن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة، فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القول بخلق القرآن، ونفي الصفات عن الله عزَّ وجلَّ. قال البيهقي: ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم[٢]، فلما ولى هو الخلافة اجتمع به هؤلاء، فحملوه على ذلك، وزينوا له، فكتب إلى نائبه ببغداد يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من أئمة الحديث، فدعاهم إلى ذلك، فامتنعوا فتهددهم بالضرب وقطع الأرزاق، فأجاب أكثرهم

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٢٣٦).

(٢) تدبَّر هذه العبارة، فهذا البيهقي -رحمه الله- من علماء القرن الخامس يذكر منهج السلف ومذهبهم، وأنَّه الحق، ويأتي اليوم من يقول: إن الانتساب إلى منهج السلف ومذهبهم بدعة!، بل قوله هذا بدعة و ضلالة.

مكرهين، واستمر على الامتناع من ذلك الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابوري[١]، فحملا على بعير، وسيِّرا إلى الخليفة عن أمره بذلك، وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد، وفي الطريق بلغهما موت المأمون، فردا إلى بغداد وفي طريق العودة مات صاحبه محمد بن نوح - رحمه الله -، وصلى عليه الإمام أحمد، فلما رجع الإمام أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان، وأودع السجن بأمر الخليفة المعتصم، ومكث فيه نحواً من ثمانية وعشرين شهراً، وقيل نيفاً وثلاثين شهراً، ثم أخرج للامتحان بين يدي المعتصم، وجرى له في ذلك مناظرات مشهورة[٢]، ومجادلات مع أهل البدع، من المعتزلة وأفراخهم، ومن طلاب الدنيا المداهنين للسلطان على باطله. فلَمَّا أعجزهم وأبى طاعتهم في معصية الله لجؤوا إلى ضربه وتعذيبه، فلم يجبهم مع ذلك إلى شيء من معصية الله. قال صالح: قال أبي: ولما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم، فقال: ائتوني

(١) محمد بن نوح الجنديسابوري: هكذا في البداية والنهاية، والذي في تاريخ بغداد: محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرِّجال العجلي، المعروف والده بالمضروب، كان أحد المشهورين بالسنَّة، وحدَّث شيئاً يسيراً. أثنى عليه الإمام أحمد خيراً، ووثّقه، ثم ذكر قصته في إخراجه مع الإمام أحمد زمن الفتنة، وفي موته ودفن الإمام أحمد له، والصلاة عليه. تاريخ بغداد (٣/٣٢٢).

أما الجنديسابوري: فقد ترجم له بعده، وذكر أن وفاته عام ٣٢١هـ أي بعد وفاة الإمام أحمد بقرابة مائة سنة. تاريخ بغداد (٣/٣٢٤)، وانظر الأنساب للسمعاني (٣/٣١٨).

(٢) البداية والنهاية (١٠/٣٤٦) بتصرف يسير.

بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم إليَّ الرجل منهم، فيضربني سوطين، فيقول له: شُدَّ قطع الله يدك، ثم يتنحى، ويتقدم آخر فيضربني سوطين، وهو يقول في كل ذلك: شُدَّ قطع الله يدك، فلما ضربت سبعة عشر سوطاً قام إليَّ يعني المعتصم فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك، إني والله عليك لشفيق، وجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه، وقال: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم، وجعل بعضهم يقول: ويلك إمامك على رأسك قائم. وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي اقتله. وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين، أنت صائم، وأنت في الشمس قائم. فقال لي: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به، فرجع، وجلس. وقال للجلاد: تقدم وأوجع، قطع الله يدك، ثم قام الثانية وجعل يقول: ويحك يا أحمد، أجبني. ويعيدون ما قالوه أولاً ثم جلد -رحمه الله- حتى ذهب عقله[1]، ثم لَمَّا رأوا أنه لا يجيبهم إلى ما طلبوا خلوا عنه، وأخرجوه من السجن[2]، وكأن المعتصم رقَّ له لِما رأى من حاله وثباته، ولكن بطانته من أهل البدع يشيرون عليه بضربه وسجنه، بل وبقتله - والعياذ بالله -، وهكذا نرى فساد أهل البدع على الأمة، وشدة خطرهم، وفيه الرد على من هوَّن من أمر البدع وأهلها،

(١) أي أغشي عليه.

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/٢٥١-٢٥٢) باختصار.

وزعم أن الاشتغال في الرد عليهم لا طائل تحته!، فانظر كيف ابتلي الإسلام بمثل هؤلاء الذين فرَّقوا الأمَّة، وحاربوا الكتاب والسنة.

ونعود إلى ما جرى للإمام أحمد -رحمه الله-:

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: ذهب عقلي مراراً، فكان إذا رفع عني الضرب رجعت إلي نفسي، وإذا استرخيت وسقطت رفع الضرب، أصابني ذلك مراراً، ورأيته -يعني: المعتصم- قاعداً في الشمس بغير مظلة، فسمعته وقد أفقت يقول لابن أبي دؤاد: لقد ارتكبت إثما في أمر هذا الرجل. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه - والله - كافر، مشرك، قد أشرك من غير وجه، فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد. وقد كان أراد تخليتي من غير ضرب، فلم يدعه، ولا إسحاق بن إبراهيم))[١].

فانظر كيف يتجرأ هؤلاء المبتدعة على تكفير الأئمة بلا خوف من الله عزَّ وجلَّ، وهكذا أفراخهم في كل زمان يتجرؤون على تكفير كل من خالف مذهبهم، وإن كان من كبار الأئمة،وسيأتي في الفصل الثالث -إن شاء الله تعالى- أمثلة على ذلك .

وبقي الإمام أحمد -رحمه الله- بعد أن خلَّوا سبيله في بيته وقتاً طويلاً يعالَج من آثار السَجْنِ والضرب، فلَمَّا شفاه الله خرج إلى الجمعة والجماعة فلم يمنع من ذلك، ثم عاد إلى درسه يحدث ويفتي حتى مات المعتصم، وولي ابنه الواثق، فأظهر القول بخلق القرآن، ومال إلى أحمد بن

---

(١) المصدر السابق (٢٥٣/١١).

أبي دؤاد وأصحابه، وامتحن الناس، حتى أمر الإمام أحمد -رحمه الله- باعتزال الناس، ومُنِعَ من صلاة الجمعة والجماعة، ومُنِعَ من الحديث والفتيا، فاختفى أبو عبد الله مدة حياة الواثق، فلَمَّا هلك وولي المتوكل رفع المحنة، وأظهر السنة، وفرَّج عن الناس، وكان أبو عبد الله يحدث في أيام المتوكل، ويقول: ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم إليه في زماننا[١].

وقد حصل بين الإمام أحمد - رحمه الله - وبين المتوكل - رحمه الله- مراسلات وصلات، فأشهر هذه المراسلات رسالة الإمام أحمد - رحمه الله- إلى المتوكل، وذلك أنَّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان كتب إلى الإمام أحمد يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسالك عن القرآن، لا مسالة امتحان، لكن مسالة معرفة وتبصرة، فأجاب أبو عبد الله: ((إلى عبيد الله بن يحيى: بسم الله الرحمن الرحيم. أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها، ودفع عنك المكاره برحمته، قد كتبت إليك - رضي الله عنك- بالذي سأل أمير المؤمنين، بأمر القرآن، بما حضرني، وإني أسال الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين، فقد كان الناس في خوض من الباطل، واختلاف شديد ينغمسون فيه، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، فنفى الله به كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس، فصرف الله ذلك كله، وذهب به بأمر أمير المؤمنين، ووقع

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٦٥).

ذلك من المسلمين موقعاً عظيماً، ودعوا الله لأمير المؤمنين، وأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين، وأن يزيد في نيته، وأن يعينه على ما هو عليه . ثم ذكر مذهب السلف في القرآن، والنصوص الدالة عليه من الكتاب والسنة، ثم قال: وقد روي عن السلف أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو الذي أذهب إليه، لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث عن النبي r، أو عن أصحابه، أو عن التابعين، أما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود))[١].

ولذلك فقد أثنى أئمة السنة على الإمام أحمد - رحمه الله -، ورفعوا قدره، وأشادوا بفضله على الأمة.

قال المزني: أحمد بن حنبل يوم المحنة، وأبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلى يوم الجمل وصفين[٢].

وقال أبو عمر ابن النحاس - وذكر أحمد يوماً - فقال: رحمه الله، في الدين ما كان أبصره، وعن الدنيا ما كان أصبره، وفي الزهد ما كان أخبره، وبالصالحين ما كان ألحقه، وبالماضين ما كان أشبهه، عرضت عليه

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٨١-٢٨٦) باختصار. قال الذهبي- عقب نقله رسالة الإمام أحمد إلى عبيد الله بن يحيى- : فهذه الرسالة إسنادها كالشمس، فانظر إلى هذا النفس النوراني.

(٢) البداية والنهاية (١٠/٣٥٠).

الدنيا فأباها، والبدع فنفاها [١].

وقال بشر الحافي - بعدما ضرب أحمد بن حنبل-: أُدْخِلَ أحمد الكير فخرج ذهباً أحمر[٢].

فجزى الله الإمام أحمد عن الإسلام وأهله خير الجزاء، ورزقنا اتباع منهج السلف، والثبات عليه، لا تأخذنا في ذلك لومة لائم.

والذي يهمنا في هذا الباب هو كيف كان هذا الموقف من الإمام أحمد - رحمه الله - نافعاً للأمة في بابِ لزوم الجماعة، والتحذيرِ من الفرقة، وسدِّ أبواب الفتن، وقطعِ الطريق على البدع وأهلها من تفريق الأمة، وتحذيرِ صغار طلاب العلم وعوام المسلمين من أسباب الفتن؟

والجواب على هذا بيِّنٌ واضح من خلال النصوص السابقة لأحداث المحنة.

فإن الإمام أحمد -رحمه الله- إمام عظيم عند أهل السنة، وله المكانة العالية في نفوسهم.

فإن الناس برأيه يأخذون، وعن قوله يصدرون، ومع ذلك فقد رأينا من أبي عبد الله - رحمه الله - العجب العجاب من صبرٍ على الحقِّ، وهضمٍ لحظوظ النفسِ، وبعدٍ عن إظهارها وإشهارها في غير حقٍّ، وصبرٍ على ظلم الولاة وجَورهم، فقد ضربوه، وعذَّبوه، وسجنوه، الواحد تلو الآخر، وضيَّقوا عليه، وأمروه باعتزال الناس، ومنعوه من الجمعة

---

(١) البداية والنهاية (٣٥١/١٠).

(٢) المصدر السابق.

والجماعة، ومنعوه من الحديث والفتيا، وهو الإمام المعظَّم، وشيخ الإسلام المكرَّم بلا مُنَازِعٍ، ولا مُدَافِعٍ، فلم نسمع منه في حقِّهم إلا كل خير، فما دعى عليهم، ولا اغتابهم، ولا ألَّبَ الناس ضدَّهم، بل سمع وأطاع في غير معصية الله، طلبوه فأجاب، وسجنوه فصبر، وجلدوه فاستسلم، وحجزوه في بيته فما خرج، ومنعوه الجمعة والجماعة فصلَّى في بيته، فلم يحَزِّب حزباً، ولم يُجَمِّع حوله شباباً يتزَيَّن بهم ويمتطيهم للظهور والشهرة كحال المفتونين - والعياذ بالله-، بل صبر وصابر ورابط - رحمه الله -.

وقد أشكل حاله حتى على أهل زمانه، ولذلك حاولوه على سبَّ السلطان، والدعاء عليه، أو الخروج عليه، فأبى ذلك، بل وناظرهم عليه، وتبرأ ممن عمله أو اعتقده [١] حرصاً منه -رحمه الله- على الأمَّة، وسداً لأبواب الفتنة، وهي مسائل كبار لا يفقهها للأسف الشديد كثير ممن تصَدَّر للعلم اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: ((الأصل الثالث: أنَّ مِن تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمَّر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، فبيَّن النبي ﷺ هذا بياناً شائعاً ذائعاً بكل وجه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدَّعي العمل به))[٢].

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٦٣).
(٢) الجامع الفريد (ص/٢٨٠-٢٨١).

وسأذكر بعض ما ورد عن الإمام أحمد - رحمه الله - في هذا الأصل العظيم.

قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله في ولاية الواثق، وشاوروه في ترك الرضا بإمرته وسلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة، وقال لهم: عليكم بالنكرة بقلوبكم[١]، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين، وذكر الحديث: « إن ضربك فاصبر »[٢]، فأمر بالصبر[٣].

وقال أبو الحارث: سألت أبا عبد الله في أمر كان حدث ببغداد وهَمَّ قوم بالخروج فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم فأنكر ذلك عليهم وجعل يقول: سبحان الله! الدماءَ الدماء، لا أرى ذلك ولا آمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة، يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأموال وينتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه يعني أيام الفتنة قلت: والناس اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال: وإن كان، فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمت الفتنة،

---

(١) بالنكرة بمعنى الإنكار أي انكاروا المنكر بقلوبكم.

(٢) الأحاديث الآمرة بالصبر على جَور الأئمة كثيرة جداً، انظر بعضها في صحيح مسلم: كتاب الإمارة (١٤٦٥/٣).

(٣) رواه الخلال في السنة (١٣٣/١رقم٩٠)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١٤٤/١)

وانقطعت السبل، الصبر على هذا ويسلم لك دينك خير لك، ورأيته ينكر الخروج على الأئمة، وقال الدماء لا أرى ذلك ولا آمر به[١].

فانظر - حفظك الله - إلى هذا الكلام المتين من هذا الإمام - رحمه الله - يجادلونه في خلق القرآن هذه المقالة التي كفَّر السلف معتقدها، فكيف بمن دعا إليها، وامتحن الناس بها، وسجن وعذَّب، بل وقتل من خالفه، ومع هذا كلِّه كان ينهى أصحابه عن الوقوع فيهم، أو عن الخروج عليهم باللسان أو اليد، كل هذا من فقهه - رحمه الله -، وحرصه على سدِّ أبواب الفتن على الأمة.

وكان يحتج على الناس بالنصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، ويذكرهم بحال المسلمين أيام الفتنة بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما، وكيف سببت تلك الفتنة الويلات للمسلمين.

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء: قال أبو عبد الله: ابن عمر وسعد ومن كف عن تلك الفتنة، أليس هو عند بعض الناس أحمد؟ ثم قال: هذا علي رحمه الله لم يضبط الناس، فكيف اليوم، والناس على هذا الحال ونحوه؟، والسيف لا يعجبني أيضاً [٢].

---

(١) رواه الخلال في السنة (١/١٣٢رقم٨٩).

(٢) السنة (١/١٣٩-١٤٠رقم١٠١).

وقال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبد الله - وذُكِرَ عنده عبد الله بن مغفل - فقال: لم يلتبس بشيء من الفتن، وذُكر رجلٌ آخر فقال: رحمه الله مات مستوراً قبل أن يُبْتَلَى بشيء من الدماء [١].

وقال -أيضاً-: سمعت أبا عبد الله يأمر بكف الدماء، وينكر الخروج إنكاراً شديداً، وأنكر أمر سهل بن سلامة[٢]. وقال: كان بيني وبين حمدون بن شبيب[٣] أُنْسٌ، وكان يكتب لي، فلما خرج مع سهل جفوته بعْدُ، وكان قد خرج ذاك الجانب، فذهبت أنا وابن مسلم[٤] فعاتبناه، وقلت: إيش حملك على هذا؟ فكأنه ندم، أو رجع[٥].

وقال حرب بن إسماعيل الكرماني: قال أبو عبد الله: الخوارج قوم سوء، لا أعلم في الأرض قوما شراً منهم وقال صح الحديث فيهم عن النبي r ومن عشرة وجوه [٦].

---

(١) السنة (١/١٣٨رقم٩٧).

(٢) سهل بن سلامة أحد الخارجين على السلطان بدعوى إنكار المنكر. انظر: تاريخ الطبري (٨/٥٥٢).

(٣) حمدون بن شبيب: أحد الصالحين، كان من ضمن أعوان سهل بن سلامة في الخروج على السلطان، وإنكار المنكر بالقوَّة بدون إذن السلطان، ولذلك أنكر عليه الإمام أحمد -رحمه الله- . المصدر السابق، والبداية والنهاية (١٠/٢٥٩).

(٤) لم أعرفه.

(٥) رواه الخلال في السنة (١/١٤٠رقم١٠٢).

(٦) رواه الخلال في السنة (١/١٤٥رقم١١٠).

وفي كتاب له إلى علي بن المديني يحثُّه على قتال الخوارج، قال - رحمه الله-: ((إلى أبي الحسن علي بن عبد الله، من أحمد بن محمد: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، أما بعد: أحسن الله إليك في الأمور كلها، وسلمك وإيانا من كل سوء برحمته، كتبت إليك وأنا ومن أُعْنى به في نعم من الله متظاهرة، أسأله العون على أداء شكر ذلك، فإنه ولي كل نعمة، كتبت إليك - رحمك الله - في أمر لعله أن يكون قد بلغك، مِن أمر هذا الخرَّمِي[1] الذي قد ركب الإسلام بما قد ركبه به، من قتل الذرية، وغير ذلك، وانتهاك المحارم، وسبي النساء، وكلمني في الكتاب إليك بعض إخوانك رجاء منفعة ذلك عند من يحضرك، ممن له نية في النهوض إلى أهل أردبيل، والذب عنهم، وعن حريمهم، ممن ترى أنه يقبل منك ذلك، فإن رأيت - رحمك الله - لمن حضرك ممن ترى أنه يقبل منك، فإنهم على شفا هلكة، وضيعة، وخوف من هذا العدو المظل، كفاك الله وإيانا كلَّ مهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))[2].

فانظر - رحمك الله - لَمَّا كان القتال في الفتنة كان ينهى عنه، وينكر إنكاراً شديداً، ويهجر من دخل فيه، ولَمَّا كان قتال الخوارج أمرَ

(١) بابك الْخُرَّمي: قرمطي باطني . انظر: البداية والنهاية (١٠/٢٥٩).
(٢) السنة للخلال (١/١٤٧رقم١١٥).

به، وحثَّ الناس عليه، وكتب إلى العلماء والولاة يحثُّهم على قتالهم، وهذا هو الحقُّ الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة.

ومع هذا الموقف الواضح السَّليم فإنه - رحمه الله - لم يسلم من جَور السلطان، حتى بعد رفع المحنة، ولكنه قابل ذلك كلَّه بالصبر والرضا على منهج السلف -رحمهم الله-.

قال صالح بن أحمد: إن أباه حدثه: ((أنه قال لابن الكلبي، والمظفر رسولي الخليفة[١]: أرى طاعته في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والأثرة، وإني لآسف عن تخلفي عن الصلاة جماعة، وعن حضوري الجمعة ودعوة المسلمين))[٢].

زاد في رواية حنبل: ((وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار، والتأييد، وأرى له ذلك واجباً علي))[٣].

وهذا الذي ذكره الإمام أحمد - رحمهم الله - هو حقيقة مذهب السلف - رحمه الله- كما تقدَّم معنا قول الإمام الطحاوي - رحمه الله[٤]،

---

(١) وهما يفتشان بيته عندما اتُّهِم أنه يخبئ علوياً، فبعث الخليفة بعسكر لتفتيش بيت الإمام أحمد ليلاً، فرضي وأثنى على الخليفة. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٢٦٦) .

(٢) رواه الخلال في السنة (١/٨٢رقم١٣).

(٣) المصدر السابق (١/٨٣رقم١٤) .

(٤) انظر ما تقدم (ص/٤٩)

فإنَّ من حقِّ الإمام أن يُدْعَا له في السرِّ والعلن بالتوفيق والسداد، ولا يذكر إلا بخير مع بذل الجهد في النصيحة على قدر الإمكان، ولا يطاع إلا بالمعروف فإن أمر بمعصيةٍ فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق مع حفظ حقِّه في بقيَّةِ الأمور.

ولذلك حفظ الإمام أحمد حقَّ سلطانه، ولم يذكره إلا بخير، ولم يشهر به أو يغتابه، كما يفعل كثير ممن لا يفهم المصالح والمفاسد، وممن تصدَّر وهو حدثٌ، أو سار في منهجه خلاف منهج السلف -رحمهم الله-.

قال الشيخ ابن باز - رحمه الله -: ((ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلى الانقلابات، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخروج الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتَّبَعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، الكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتَّصلون به حتى يوجه إلى الخير))[١].

وقال الشيخ محمد الصالح العثيمين -رحمه الله-: ((فاللهَ اللهَ في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أنَّ ملء القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى، وكذا ملء القلوب على العلماء يُحْدِثُ التقليل من شأن العلماء، وبالتالي التقليل من الشريعة

---

(١) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم (ص/٢٢).

التي يحملونها، فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلف تجاه ذوي السلطان، وأن يضبط الإنسان نفسه، وأن يعرف العواقب.

وليعلم أن من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال، بل العبرة بالحكمة، ولست أريد بالحكمة السكوت عن الخطأ، بل معالجة الخطأ لنصلح الأوضاع، لا لتغيير الأوضاع، فالناصح هو الذي يتكلَّم ليصلح الأوضاع لا لتغييرها))[١].

وبهذه التعليقات القيِّمة من هذين الإمامين - رحمهما الله - يتضح لنا منهج السلف - رحمهم الله - في هذا الباب الخطر الذي يجهله - للأسف الشديد - كثير من المتصدرين للدعوة في هذا الزَّمان، فقارن بين موقف الإمام أحمد - رحمه الله- وهو يمتحن في خلق القرآن، ويسجن، ويضرب، ويعذَّب، ويمنع الحديث والفتيا، والخروج إلى الجمعة والجماعة، وهو مع ذلك الجور والظلم، صابرٌ، محتسبٌ، داعٍ لهم، حافظٌ لحقوقهم- قارن هذا كلَّه مع المناهج الضالة التي زادت الفتن منذ خروجها في الأمة، الذين لا يعرفون حقاً لأحدٍ، عالماً كان، أم إماماً بحجة إنكار المنكر.

وسيأتي مزيد بيان بعض المواقف المخالفة في الفصل الثالث إن شاء الله.

الموقف التاسع: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

(١) حقوق الراعي والرعية (ص/٢٩).

ولد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في حران سنة إحدى وستين وستمائة، والعالم الإسلامي يموج موج البحر بالفتن الكبار، شرقاً وغرباً، فقد ضعف المسلمون وهانوا، وتفرَّقوا شذرَ مذرَ بعد الهجمة البهيمية الشرسة من المغول على العالم الإسلامي، التي أدَّت إلى سقوط الخلافة العبَّاسيَّة عام ٦٥٦ للهجرة، وأدَّت إلى قتل الآلاف المؤلّفة من المسلمين، وأهلكت الحرث والنسل - ولا حول ولا قوَّة إلا بالله -.

قال ابن الأثير - رحمه الله - : ((لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة، استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً، وأؤخِّر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟!، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟!، فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى، التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمَّت الخلائق، وخصَّت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها، ولا ما يدانيها، ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث: ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل، وتخريب البيت المقدس. وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرَّب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس؟!،

وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا؟!، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج.

وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه، ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء، والرجال، والأطفال، وشقُّوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة، التي استطار شررها، وعمَّ ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح.

فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين، فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر؛ مثل سمرقند، وبخاري، وغيرهما، فيملكونها، ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان، فيفرغون منها ملكاً، وتخريباً، وقتلاً، ونهباً، ثم يتجاوزونها إلى الري، وهمذان، وبلد الجبل، وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم بلاد أذربيجان، وأرمينية، ويخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلا الشريد النادر، في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله.

ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى دربندشروان فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم، وعبروا عندها إلى بلد اللان واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة، فأوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا ثم قصدوا بلاد قفجاق -وهم من أكثر الترك- عددا فقتلوا كل

من وقف لهم، فهرب الباقون إلى الغياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها، فعلوا هذا في أسرع زمان لم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها، وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء وأشد، هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحدا إنما رضي من الناس بالطاعة، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه وأكثره عمارة وأهلا، وأعدل أهل الأرض أخلاقا وسيرة في نحو سنة، ولم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم إليه،ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير، وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير، فهم إذا نزلوا منزلا لا يحتاجون إلى شيء من خارج، وأما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئا فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها، ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه، ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم منها: هؤلاء التتر قبحهم

الله أقبلوا من المشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها، وستراها مشروحة متصلة إن شاء الله تعالى .

ومنها: خروج الفرنج - لعنهم الله - من المغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى، ونصره عليهم، وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة.

ومنها: أنَّ الذي سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول، والفتنة قائمة على ساق، وقد ذكرناه أيضاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصراً من عنده، فإن النَّاصر والمعين والذاب عن الإسلام معدوم] وَإِذَآ © ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم ´ µ ¶ ¸ Z [الرعد: ١١]))(١).

في هذا العصر المضطرب نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو مثل أي مسلم ينشأ في بيت دين وعلم لابد وأن يغار على دينه ويتزعج لما يرى من ضعف، وهوان وتفرق المسلمين، فأراد الله به وبالمسلمين خيراً فبصره في دينه، وفقهه فيه، فتدبر حال الأمة، وسبب ضعفها وذلَّتها وتفرقها، فإذا هو الجهل بالدين أصولاً وفروعاً، والبعد عن التمسك بهدي النبي r ، مع ظهور بدع وعادات لم يكن عليها أمر النبي

(١) الكامل لابن الأثير (١٠/٣٩٩-٤٠١).

r ، فلذلك عزم - بإذن الله - على الأخذ بأسباب عزَّ وجلَّ الأمة واجتماعها وصلاحها، وعرف أن آخر الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، فبذل - رحمه الله - جهده ووقته في التعلم والعمل والدعوة إلى هدي النبي r ، والصبر على ذلك، وشرح ذلك للناس، وأنَّه هو السبيل الوحيد للعودة بالأمة.

قال الذهبي - رحمه الله - في ترجمة شيخ الإسلام: ((شيخنا، وشيخ الإسلام، وفريد العصر علماً، ومعرفة، وشجاعة، وذكاء، وتنويراً إلهياً، وكرماً، ونصحاً للأمة، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب، وخرَّج، ونظر في الرجال والطبقات، وحصَّل ما لم يحصِّل غيره، برع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيَّال، وخاطرٍ إلى مواقع الإشكال ميَّال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقلَّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث معزواً إلى أصوله وصحابيه، مع شدة استحضاره له وقت الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل يقوم بما دليله عنه، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، وتعليلاً واختلافاً، ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلمين، وردَّ عليهم، ونبَّه على خطئهم، وحذر منهم. ونصر السنة بأوضح حجج، وأبهر براهين، وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة حتى أعلا الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته، والدعاء له، وكسب أعداءه، وهدى به

رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء للانقياد له غالباً وعلى طاعته، وأحيا به الشام، بل والإسلام بعد أن كاد ينثلم، بتثبيت أولي الأمر لَمَّا أقبل حزب التتر والبغي في خيلائهم، فظُنَّتْ بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشرأب النفاق، وأبدى صفحته.

قال الذهبي: ومحاسنه كثيرة وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت: إني ما رأيت بعيني مثله، وأنَّه ما رأى مثل نفسه))[1].

و لم أورد هذا النقل العظيم عن الذهبي من أجل الثناء على شيخ الإسلام - رحمه الله - وهو أهل لذلك -، ولكن من أجل بيان منهجه الذي سار عليه وقت الفتن، وكيف نفع الله به الأمة في معالجة الفتن في زمانه، ولازال أثره باقيا في نفع الأمة حتى اليوم -ولله الحمد -.

وبنظرة إلى عصر شيخ الإسلام - رحمه الله - نجد المظاهر والفتن التالية:

١- من الناحية السياسية كانت كلمة المسلمين متفرقة لا تجمعهم دولة، بل تعرَّضوا لغزو التتار فسقطت الخلافة العباسية التي كانت تجمعهم ولو بالاسم، وقد تقدَّم ما لقي المسلمون من التتار الذين فعلوا بهم الأفاعيل.

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٣٨٩/٤). وإذا كان الذهبي - رحمه الله - لا يرى نفسه أهلاً لتبيين محاسن الشيخ فما الظن بنا نحن -ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

وكان الصليبيون لا يقلُّون خطراً عن التتار حيث قاموا -وعلى مدى قرنين من الزَّمان، من نهاية القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع- بحملاتٍ صليبية على العالم الإسلامي، وقد أدَّت هذه الحملات إلى إضعاف المسلمين حتى أراح الله من شَرِّهم في ذلك الزمان، ونسأله أن يكفي المسلمين شرَّهم في هذا الزمان.

وكان العالم الإسلامي في تلك الفترة يعيش عهد الدويلات والإمارات الصغيرة، فلكل بلد أمير، ولكل قرية سلطان، وقد عاصر شيخ الإسلام دولة المماليك البحرية الذين حكموا من سنة ٦٤٨-٧٨٤[١]، وقد كانت الشام تتبع هؤلاء المماليك الذين اتخذوا من مصرَ عاصمة لهم يحكمون منها بقيَّة البلاد التي يحكمونها كالشام وغيرها، وكانوا في صراع دائم فيما بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، ويستولي بعضهم على ملك بعض مع تربُّص التتار بهم، وغزوهم لهم بين الحين والآخر.

٢- أما الناحية العلمية: فقد كانت هناك حركة علمية تتمثل في:

أ- إنشاء المدارس والمكتبات.

ب- ظهور الموسوعات الحديثية في علم الحديث الرجال.

جـ-العناية بعلم الكلام والعقائد الْمَبنية عليه.

د – الدعوة إلى التَّمَذْهب، وغلق باب الاجتهاد.

---

(١) انظر: ((العصر المماليكي في مصر والشام)) لسعيد عاشور- طبع القاهرة. عام١٩٦٥م.

هـ-انتشار البدع العلمية والاعتقادية كالحلول، والمواسم البدعية.

ومع اجتهاد أهل ذلك الزَّمان في العلوم الشرعية إلا أنَّ هناك نقصًا واضحاً أدَّى إلى هذا الفساد العريض في العقائد والعبادات، مما جعل الأمَّة تضعف وتذلُّ.

قال الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله -: ((ولذلك فلم يكن من المستغرب أن تروج عندهم وثنيات الموالد والأعياد التي أوحاها شياطين الجن إلى شياطين الإنس لعبادة الموتى من دون الله باسم الإسلام. وليس من العجب أن تعظم وتُقدَّس في نفوسهم القبابُ، والمقاصرُ، والمشاهدُ، ومشيِّدوها، فيثني عليهم أطيب الثناء فكان من ثمرات ذلك - ولا بد - أن تموت عقيدة التوحيد الإسلامية من القلوب، فتموت القلوب بموتها، وأن تشيع الخرافات، وتتَّحكم البدع والمحدثات.

وهذا يدل أعظم دلالة وأقواها على مقـدار ما أعـطى الله شيخ الإسلام ابن تيمية من هدى وبصيرة وفقه في الدين، وعلم صحيح، وما كشف الله عن قلبه من ظلمات التقاليد الجاهلية. فعرف الإسلام الصحيح، والعقيدة الحقَّة التي جاء بها رسل الله، وخاتمهم محمد r وعليهم أجمعين، ويتبين من ذلك مقدار ما لقي شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم من أهل زمانها من أذى، ومقدار فضل الله علينا وعلى الناس بهذين الإمامين الجليلين، والمجاهدين الكبيرين، اللَّذَين أقام الله بهما الحجة،

وأوضحا المحجة، وأحيا الله بهما ما اندرس من السنن والشرائع الإسلامية التي جعل الله فيها للناس الهدى، والرحمة، وشفاء القلوب، وضمن لهم بها سعادة الأولى والأخرى، وبالأخص الأساس الذي يقوم عليه بناء الإسلام الصحيح وهو عقيدة التوحيد الحقَّة التي لا يمكن أن تكون على وجهها إلا بالتخلص من التقليد الأعمى للأبرياء والشيوخ ولكل الأشخاص لتجريد الاتباع الصادق لكتاب الله وهدى رسوله r (١).

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: ((وقد ظهر شيخ الإسلام في عصر قد اشتدَّت فيه غربة الإسلام، وتفرَّقت كلمة المسلمين، وظهرت الفرق المخالفة لما كان عليه السلف الصالح في العقائد والفروع، وخيَّم الجمود الفكري والتقليد الأعمى، فأثَّر في الجو العلمي، وظهرت فرق الشيعة والصوفية المخرِّفة والقبورية ونفاة الصفات والقدرية، وطغى علم الكلام والفلسفة حتى حلاّ محلَّ الكتاب والسنة لدى الأكثر من المتعلمين في الاستدلال.

هذا كلّه داخل المجتمع الإسلامي، ومن خارج المجتمع تكالب أعداء الإسلام، فغزوا المسلمين في عقر دارهم، فجاءت جيوش التتار من الشرق تداهم ديار المسلمين، وتفتك بهم وجيوش الصليبيين من الغرب.

في هذا الجو المُعْتِم عاش شيخ الإسلام ابن تيمية ضياء لامعاً –بعلمه الأصيل الغزير- يدرِّس الطلاب، ويؤلِّف الكتب والرسائل، ويفتي في

(١) مقدمة تحقيق التحفة اللطيفة (١/١٣-١٤).

النَّوازل والمسائل، ويناظر المنحرفين، ويردّ على المخرِّفين، وينازل الفرق والطوائف، فيرد على الشيعة والقدرية، ويرد على علماء الكلام والفلاسفة، ويرد على المعطلة والمؤوِّلة في الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ويرد على الصوفية المنحرفة، وعلى القبوريين والمبتدعة، ويحرِّك أهل الجمود الفقهي، والخمول الفكري لِرَدِّ الفقه إلى أصوله الصحيحة، ومنابعه الصافية، وتصحيح الصحيح، وتزييف الزَّائف، حتى أعاد للشريعة نقاءها، وإلى العلوم الشرعية صفاءها، يظهر ذلك في مؤلفاته التي خلفها ثروة علمية هائلة))[١].

فهـــذا هو المنهج الذي سار عليه شيخ الإسلام - رحمه الله - وهو أنَّه عرف الداء الذي أصاب الأمَّة، فرجع إلى الكتاب والسنة لينظر فيهما إلى الدواء النافع لهذا الداء، ولَمَّا وجده صرف همه لتعلُّمه وتعليمه على الرغم مما وجده من معارضة من خاصة زمانه وعامتهم، ولكن هذه المعارضة لم تثن عزيمته فاستمرَّ وجدَّ وصابر حتى أصلح الله على يديه أمماً في زمانه، ومن بعد زمانه .

ومع هذا الجهاد العلمي الدعوي المتواصل فقد شرَّفه الله -كذلك- بالجهاد العملي، جهاد السيف والسنان، وذلك باشتراكه وتحريضه على قتال التتار المفسدين الذين عاثوا في الأرض فساداً، وذلك بعد أن وصلوا

(١) ((من أعلام المجددين شيخ الإسلام ابن تيمية)) د/صالح بن فوزان الفوزان. مجلة البحوث العلمية (عدد١٨ -ص/٢٦١).

مشارف دمشق بعد هزيمة المسلمين وسلطانهم في وقعة قازان في سنة ٦٩٩هـ، ورجوع السلطان وجيوشه إلى مصر، وفرار أكثر أعيان دمشق إلى مصر حتى لم يبق من أعيانها إلا القليل، وبقي البلد شاغراً ليس فيه حاكم سوى نائب القلعة(١).

فأصاب الناسَ خوفٌ شديد ورعب، واضطربوا بعدما أشيع أن التتار قد عزموا على دخول دمشق، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين ابن تيمية، واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه، وأخذ الأمان منه لأهل دمشق، فتوجَّهوا إلى قازان، وكلَّمه الشيخ تقي الدين كلاماً قوياً شديداً فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين –ولله الحمد-، ثم حدث بعد ذلك أمورٌ منها: امتناع صاحب قلعة دمشق من تسليمها للتتر بمشورة شيخ الإسلام، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام، فإنَّ الله حفظ لهم هذا الحصن والمعقل الذي جعله الله حرزاً لأهل الشام، التي لا تزال دار إيمان وسنة حتى يَنْزِل بها عيسى بن مريم (٢).

وعلى الرغم من وعد قازان لأهل دمشق بالأمان إلا أنَّ جنده - وهم لا يعرفون شيئاً عن العهود والمواثيق - أفسدوا البلد لَمَّا دخلوه، فقتلوا، وأسروا،وهدموا، فاجتمع شيخ الإسلام ومن بقي من أعيان البلد، وعزموا على الرجوع إلى قازان لتذكيره بعهده، إخباره بنقض جنوده

(١) البداية والنهاية (١٤/٨).
(٢) البداية النهاية في غريب الحديث والأثر (١٤/٩).

للعهد. لكنه عاد بعد يومين و لم يتفق اجتماعه به حجبه عنه الوزير سعد الدين ومشير الدولة المسلماني بن اليهودي، والتزما له بقضاء ما أراد، وذكرا له أنَّ التتر لم يحصل لكثير منهم شيء إلى الآن، ولا بد لهم من شيء.

وبعد ذلك رجع قائد التتر قازان إلى بلاده، وترك بعض نوابه لإفساد ما بقي من بلاد الشام، فخرج إليهم شيخ الإسلام، وكلَّمه في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين، فاستنقذ كثيراً منهم من أيديهم.

وفي هذه الأثناء كان شيخ الإسلام يعدُّ لقتال هؤلاء المفسدين بعد أن عزم سلطان مصر على قتال التتر في الشام، وأرسل الجيوش لذلك، ونودي في دمشق بالاستعداد لتلقي الجيش المصري، وقتال التتر، وحفظ البلد، والقيام على أسوار البلد لمنع شذاذ التتر من دخولها مرة أخرى، فاجتمع الناس على الأسوار لحفظ البلد، وكان شيخ الإسلام يدور كل ليلة على الأسوار يحرِّض الناس على الصبر والقتال، ويتلوا عليهم آيات الجهاد والرِّباط، وفي هذه المدة حصلت مناوشات بالسلاح بين شيخ الإسلام وأهل الحل والعقد في البلد، و بعض الفسَّاق والخونة ممن كان يعين التتر على المسلمين من الرافضة والباطنية من أهل تلك البلاد[١].

وفي أوائل عام ٧٠٠ من الهجرة وردت الأخبار بقصد التتر المفسدين بلادَ الشام، وأنَّهم عازمون على دخول مصر، فانزعج النَّاس

(١) المصدر السابق (١٤/١١-١٣) باختصار.

لذلك، وازدادوا ضعفاً على ضعفهم، وطاشت عقولهم وألبابهم لما يعرفون من فساد هؤلاء التتر المجرمين، فشرعوا بالهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة، فقام شيخ الإسلام - رحمه الله - بمهمة تثبيت الناس، ودعوتهم إلى القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في الفرار، ورغَّب في إنفاق الأموال في الذبِّ عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأنَّ ما ينفق في أجرة الهرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيراً، وأوجب جهادَ التتر في هذه الكرَّة، وتابع المجالس في ذلك[١]. ولَمَّا تأخر وصول السلطان إلى دمشق، واقترب العدو أصاب الناس خوفٌ شديد، واضطربت الأمور، فخرج شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى نائب الشام في المرج، فثبَّتهم، وقوَّى جأشهم، وطيَّب قلوبهم، ووعدهم النصر والظفر على الأعداء، وتلا قوله تعالى: [V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a Z [الحج: ٦٠]، وبات عند العسكر، ثم عاد إلى دمشق فسأله النائب والأمراء أن يركب على البريد إلى مصر يستحث السلطان على المجيء، فساق وراء السلطان، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدركه إلا وقد دخل القاهرة، وتفارط الحال، ولكنه استحثَّهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن

(١) نفس المصدر (١٤/١٦).

كان لهم به حاجة، وقال لهم فيما قال: إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه، ويحميه، ويستغله في زمن الأمن.

ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام، ثم قال لهم: لو قدر أنكم لستم حكامَ الشام، ولا ملوكه، واستنصركم أهله، وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه، وهم رعـــايتكم، وأنتم مسؤولون عنهم، وقوَّى جأشهم، وضَمِنَ لهم النصر هذه الكرة، فخرجوا إلى الشام.

فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحاً شديداً بعد أن كانوا يئسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم.

ورجع شيخ الإسلام من الديار المصرية بعد أن أقام بقلعة مصر ثمانية أيام يحثهم على الجهاد والخروج إلى العدو، وقد اجتمع بالسلطان، والوزير، وأعيان الدولة، فأجابوه إلى الخروج، ثم جاءت الأخبار بأنَّ ملك التتار قد خاض الفرات راجعاً عامه ذلك، فطابت النفوس لذلك، وسكن الناس، وعادوا إلى منازلهم منشرحين، آمنين، مستبشرين[١].

ولكنَّ شرَّ التتار لم ينته عند هذا الحد، بل عادوا مرَّة أخرى غزاة مفسدين لديار الإسلام في عام ٧٠٢ هجرية، فوصلوا حمص وبعلبك، وعاثوا في تلك الأراضي فساداً، وقلِقَ الناسُ قلقاً عظيماً، وخافوا خوفاً شديداً، واختبط البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش، وقال الناس: لا طاقة لجيش المسلمين بلقاء التتار لكثرتهم، وإنما سبيلهم أن يتأخروا عنهم

---

(١) البداية والنهاية (١٤/١٧).

مرحلة مرحلة، فتحدث الناس بالأراجيف، فاجتمع الأمراء بالميدان، وتحالفوا على لقاء العدو، وشجعوا أنفسهم، ونودي بالبلد: أن لا يرحل أحد منه، فسكن الناس، وجلس القضاة بالجامع، وحلَّفُوا جماعة من الفقهاء والعامة على القتال.

وتوجَّه الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة، فاجتمع بهم في القطيعة، فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو، فأجابوا إلى ذلك، وحلفوا معهم، وكان شيخ الإسلام يحلف للأمراء والناس إنكم في هذه الكَرَّة منصورون، فيقول له الأمراء: قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله - تحقيقاً، لا تعليقاً -، وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله، منها: قوله تعالى:] [^ _ ` a Z[الحج: ٦٠].

وقد تكلَّم الناسُ في كيفية قتالِ هؤلاء التتر من أي قَبِيلٍ هو؟ فإنَّهم يظهرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام، فإنَّهم لم يكونوا في طاعته في وقتٍ ثم خالفوه، فقال شيخ الإسلام: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ ومعاويةَ - رضي الله عنهما -، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم مُتَلَبِّسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة، فتفطن العلماء والناس لذلك .

وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف، فاقتلوني، فتشجع الناس في قتال التتار، وقويت قلوبهم ونياتهم - ولله الحمد -[١].

ثم سارت الجيوش الشامية فالتقت مع الجيوش المصرية في مرج الصفر، وطلبوا من الناس الدعاء والتحرز على الأسوار، فدعا الناس في المآذن والمساجد والبلد.

والتقى شيخ الإسلام بسلطان مصر، واستحثَّه على المسير بعد أن كاد يرجع إلى مصر، فجاء هو وإياه جميعاً، وسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال، فقال الشيخ: السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن من جيش الشام نقف معهم.

وحرَّض السلطان على القتال، وبشَّره بالنصر، وجعل يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم هذه المرَّة، فيقول الأمراء: قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله - تحقيقاً لا تعليقاً -.

وأفتى الناس بالفطر- لأنهم كانوا في رمضان - مدةَ قتالهم، وأفطر هو - أيضاً -، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه ليعلمهم أن إفطارهم ليتقووا على القتال أفضل، فيأكل الناس[٢].

---

(١) البداية والنهاية (١٤/٢٥).

(٢) المصدر السابق (١٤/٢٧).

ولما التحمت جيوش الشام بالتتار - وكانوا قد صدقوا الله، ونصروه - فنصرهم الله نصراً مظفراً،ففر التتر، واعتصموا بالجبال والتلال، خذلهم الله، ونصر جنده، ففرح المسلمون بهذا النصر العظيم، واستبشروا بهذا الفتح العظيم والنصر المبارك، فكشف الله بذلك عن المسلمين غمَّة عظيمة شديدة - ولله الحمد والمنة -[١].

وهكذا رأينا شيخ الإسلام مجاهداً بيده ولسانه في هذه الفتنة العظيمة التي أصيب بها العالم الإسلامي، والتي استمرَّت حول بلاد الشام وحدها قرابة ثلاث سنوات، رأيناه فيها مجاهداً بيده ولسانه، داعياً لجهاد البغاة المفسدين، دائراً بين أهل الحلِّ والعقد، حاضاً لهم على قتالهم، ومبشراً لهم بنصر الله، فنصرهم الله بفضله، بعد أن حقَّقوا أسباب النصر، وكفى الله المسلمين شرَّ البغاة المفسدين ولله الحمد.

ومع بذله نفسه في سبيل الله، ودخوله على السلطان والأمراء إلا أنه لم يطلب لنفسه شيئا من حطام الدنيا، بل كان أبعد الناس عن المناصب والجاه، قال -رحمه الله-: ((وإن حبست، فوالله إن حبسي لمن أعظم نعم الله عليَّ، وليس لي ما أخاف الناس عليه، لا مدرسة، ولا إقطاع، ولا مال، ولا رئاسة، ولا شيء من الأشياء))[٢].

(١) المصدر السابق (٢٨/١٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٥٩/٣).

ومع دوره العظيم في درء فتنة التتار، وفي استتباب الأمن، واجتماع الكلمة على سلطان مصر إلا أنه - رحمه الله - لم يسلم من الفتن الأخرى التي قام بها - هذه المرة- البغاة من أهل البدع والتصوف بسبب ما كان يدعو إليه شيخ الإسلام من الرجوع إلى عقيدة السلف، ونبذ التقليد والجمود، وترك ما ابتدعه الناس في أصولهم وفروعهم، فلم ترق هذه الدعوة لكثير من أهل البدع ومتعصبة المذاهب، وقد استمرَّت هذه الفتن من عام ٧٠٥هـ إلى وفاته -رحمه الله- في قلعة دمشق عام ٧٢٨هـ،وهو في أثناء ذلك مشتغلٌ بالعلم والتعليم والجهاد، كما حصل عام ٧١٢هـ لَمَّا عزم التتار على العودة للشام، فتهيأ المسلمون لقتالهم، وحضر ابن تيمية من مصر صحبة سلطانها، ولكن الله سلَّم، وعاد التتار إلى بلادهم [1].

فمكث في دمشق للتعليم والإفتاء والتدريس، وله جولات وصولات مع أهل البدع معلومة عبر هذه السنين، سجن بسببها مرَّات، ومنع من التدرييس والفتيا مرات، وهو سامع مطيع صابر محتسب، حتى كانت آخر فتنة فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهراً، وبها مات - رحمه الله - [2].

وكان في مدة حبسه في القلعة يكتب العلم ويصنفه، ويرسل إلى أصحابه الرسائل، ويذكر ما فتح الله عليه في هذه المرة من العلوم العظيمة،

---

(١) البداية والنهاية (٦٩/١٤).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤٠١/٤).

والأحوال الجسيمة، وكان - رحمه الله - يقول: ((ما يصنع بي أعدائي، أنا جنَّتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة)).

ويقول: ((لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة - أو قال:- ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير))[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه))[2].

وما هذا الحال الذي هو فيه إلا بسبب التمسكِ بالكتاب والسنة، والبعدِ عن البدع التي تفسد القلوبَ والأعمالَ، والرضا بقضاء الله وقدره، والاستسلام لأوامره، والابتعاد عن نواهيه، قال تعالى: [Y Z

[\ ] ^ _ ` a b c d

f g h i j k Z [النحل: ٩٧].

قال ابن كثير - رحمه الله -: ((هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه r من ذكر أو

(١) المصدر السابق (٤/٤٠٢).

(٢) الوابل الصيب (ص/٧٠).

أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن الله يحييه حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت))[1].

وهذا هو الذي حدث لشيخ الإسلام - رحمه الله - فقد استسلم لأوامر الشرع، وصبر على ما لقيه في سبيل ذلك، فهدأت نفسه، واطمأن قلبه، وطابت حياته حتى لقي الله مجاهداً مظلوماً صابراً محتسباً - رحمه الله -.

والحديث عن هذا الإمام يحتاج إلى أوقات كثيرة، وأوراق عديدة، وفهم دقيق، وهو شيء لم أبلغه، ولا أستطيعه، ولكني كتبت محاولاً الاستفادة من مواقفه العظيمة، ودعوته المباركة، ولعل القارئ لهذه الوريقات يَعْلَقُ بقلبه شيء منها فيستفيد بإذن الله.

وفي نهاية بيان هذا الموقف العظيم يمكن أن نلَخِّص الدروس المستفادة منه الأمور التالية:

١- أن من أراد إصلاح مجتمعه من طلاب العلم فالواجب عليه أولاً أن يؤصل نفسه تأصيلاً علمياً دقيقاً، مبنياً على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح - رحمهم الله -.

٢- أن يلزم نفسه العمل بالكتاب والسنة في شأنه كلِّه أصولاً وفروعاً.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٠١٥/٥).

٣- أن يخلص في دعوته للكتاب والسنة، فلا يدعو إلا إليهما، ولا يخاصم إلا بهما، وأن يقبل الحق ممن جاء به.

٤- أن الردود على أهل الأهواء والبدع من أهم ما يعين على حفظ الإسلام صافياً نقياً، وبذلك تجتمع الأمة، وتقوى، وتسد أبواب الفتن.

٥- أن التهاون في الرد على أهل البدع والأهواء يفرِّق الأمة، ويضعفها، حتى يتسلَّط أعداؤها عليها، وهذا من أعظم أسباب الفتن.

٦- أن أهل البدع إذا لم ينقمع شرهم إلا بالقتال جاز لولي الأمر أن يقاتلهم، ووجب على المسلمين طاعته في ذلك.

٧- أن الجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا بإمام مسلم يقاتل الناس تحت رايته، فإذا دعا الإمام - براً كان أو فاجراً - للجهاد وجب على من تحته من المسلمين طاعته.

٨- وجوب الرجوع وقت الفتن إلى أهل الحل والعقد من الولاة والعلماء، وعدم منازعة الأمر أهله.

٩- أن يلزم المسلم الصمت والسكوت وقت الفتن، ولا يتكلم إلا بما يعلم، ولا يعمل إلا بما يؤمر به ممن ألزمه الله طاعته من أولياء الأمور.

١٠- وجوب التوبة والرجوع إلى الله وقت الفتن من عامة المسلمين وخاصتهم.

١١- على العالم أن يبين الحقَّ، وأن يعمل به، وأن يدعو إليه، ويصبر على ذلك، وإن خالفه الناس فإن الله ينفع بعلمه، ولو بعد حين.

١٢- الثبات والاستمرار على هذا المنهج القويم في السر ولعلن، والرضا بما قدّر الله من ابتلاء وعدم استغلال هذا الابتلاء لتفريق الناس، أو ضرب بعضهم ببعض، فإنَّ هذا يفتح باب الفتن على الأمة، بل يصبِر، ويؤثر مصلحة الأمة على نفسه وهو مثاب بهذا مأجور عليه.

هذه أهم الدروس المستفادة من موقف شيخ الإسلام - رحمه الله - من الفتن، وهو موقف - كما ترى - عظيمٌ يحتاج بيانه، واستخراج ما فيه من دروس وعبر إلى وقت طويل، وجهد عظيم، يسر الله له من يقوم بذلك من طلاب العلم، حتى يستخرج ما فيه من درر وفوائد، ليعم نفعه المسلمين، ومما يساعد على الاستفادة من ذلك توافر كتب شيخ الإسلام - رحمه الله- الآن، وعناية طلاب العلم بجمعها وتحقيقها، وإني أوصي طلاب العلم بالحرص على هذا التراث السلفي العظيم، والعناية به جمعاً ودراسة وتعليماً، حتى ينصر الله بنا دينه، ويحفظ بنا أمته عزيزة، قويَّة، مجتمعة، متآلفة، بعيدة عن الفرقة والفتن . والله الهادي إلى سواء السبيل.

الموقف العاشر: موقف شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

ولد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي في مطلع القرن الثاني عشر، وقد اشتدت غربة الدين لغلبة الجهل، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال، فنبذوا كتاب الله تعالى وراء ظهورهم، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلالة .

فعادوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، أمواتهم وأحيائهم، يستغيثون بهم في النَّوازل والحوادث، ويستعينون بهم على قضاء الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، بل إن كثيراً منهم كان يرى في الجمادات -كالأحجار والأشجار- القدرةَ على تقديم النفع ودفع الضرر، وقد زيَّن لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك ثواباً لتقربهم به إلى الله عزَّ وجلَّ.

وقد انتشر هذا الضلال، حتى عمَّ ديار المسلمين كافَّة، فاختلفوا، وتفرَّقوا، وذلُّوا، وهانوا، وضرب بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً، وقد صار هذا الاختلاف حتماً مقضياً، وقدراً مقدوراً، مصداقاً لِما أخبر به رسول الله r ، من أنَّ أمَّته ستتبع سَنن من كان قبلهم، وستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة[١].

وليس الغرض استيعاب ما وقع من الاختلاف والافتراق، وإنَّما القصد بيان ما حدث في هذا الزَّمان الذي أصبح فيه المتمسك بدينه كالقابض على الجمر، فقد –والله- تفاقم الأمر وعظم، وأطَّلت الفتن، وانتشر الضلال، وعمَّت البدع، وقلَّ الاكتراث بالدين، وكثر المبطلون - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

ولقد أجمع الأئمة، واتفقت كلمتهم على أنَّ الله تعالى لا يجمع هذه الأمَّة على ضلالة، ولا يعمَّها بالسفاهة والجهل، فَعِصْمَتُها مستمِرَّة إلى انقضاء الزَّمان، لا ينكر ذلك منكر لثبوته في صحيح الأخبار [١].

فلَمَّا عمَّت فتنة الشهوات، وأصبح همُّ الخلق منصرفاً إلى الدنيا وزينتها؛ ارتكبوا المعاصي والكبائر، وأصبحوا متباغضين متدابرين بعد أن كانوا إخواناً متناصرين.

وأما فتنة الشبهات والأهواء المضِلَّة فسببها تفرق المسلمين، فصاروا شيعاً وفرقاً وأحزاباً ؛ يعمهون في الضلال، ويفتحون أبواب البدع والغي، فتحاسدوا، وتباعدوا، وتقاطعوا بعد أن كانوا على قلب رجل واحد، ولم ينج منهم إلا الفرقة الناجية[٢]. هذا بالنسبة للحالة الدينية وجميع الأمور تبنى عليها، فإنَّ الدين وهو القلب فإذا فسد فسدَ الجسدُ كلُّه. فقد فسدت بفساد الدين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فقد كانت الحروب بين البلدان النجدية - التي ولد فيها الشيخ - قائمة، و الصراع بين قبائلها المختلفة مستمراً وحادّاً، وعنيفاً، ولذا كانت نجد متمزِّقة بين إمارات صغيرة، ومتفككة، تحكم بغير كتاب الله، وتهتدي بغير سنة رسول الله r ، ففي كل قرية أمير، وفي الوقت نفسه يتهدده

---

(١) من ذلك قوله r : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » رواه الحاكم في المستدرك (١/٢٠٠) وصححه.

(٢) تاريخ نجد لابن غنَّام (١/١٠-٢٩) باختصار وتصرف يسير.

طامع في إمارته، وربما يكون أقرب أقربائه، فهو خائف مخيف، وسياسته انبثقت من هذه الحالة، وما كان بين أمراء القرى في الغالب وفاق، ولكن كل أمير يتربص بالآخر، ويتحيَّن فرص الوثوب عليه، وقد وصل الحال إلى أن القرية الواحدة تتمزق بين أميرين متعاديين أو ثلاثة أو أكثر، كل منهم يدعي لنفسه الولاية[١].

وأما عاصمتا الإسلام مكة والمدينة فلم يكن حالهما بأحسن من غيرهما من بلاد العالم الإسلامي من الناحية العلمية، والدينية، والسياسية، فقد انتشر بهما الشرك والبدع والخرافات والبناء على القبور، وتعظيمها، والحج إليها، وزيارتها،واختلاط الرجال بالنساء، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندها بالدعاء والاستغاثة وتقديم الفدية، وتعفير الخدود، والانحناء والسجود خضوعاً وتذللا، وسؤال أصحابها الحاجات، وتفريج الكربات، ومن ذلك قبر النبي r الذي بعث للدعوة إلى التوحيد، ومحاربة الشرك، ولكنهم -والعياذ بالله- رموا بكلامه عرض الحائط، وأخذوا هذه البدع والشركيات، واتخذوها ديناً من غير نكير من خاصَّتهم، ولا عامتهم، ومن ذلك ما يفعل عند قبور أزواج النبي r، وقبور غيرهن من الصحابة y، ولا يدخل الزائر مسَلِّماً إلا بعد أن يقدِّم هديَّة من دراهم أو طعام أو لباس فيجمع السدنة من ذلك الشيء الكثير،

---

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. د/صالح بن عبد الله العبــود (١/٢٢-٢٣) باختصار وتصرف يسير.

ولذلك لَمَّا دعاهم الشيخ -رحمه الله- ثاروا، وغضبوا، وآثروا هذه الدراهم على جنَّة عرضها السموات والأرض، وهذا من أعظم أسباب عداوهم، وحربهم لدعوة الشيخ -رحمه الله -.

ومن أسباب ذلك -أيضاً- ظنِّهم أن دعوة الشيخ - رحمه الله - تقوم على القبلية الجاهلية التي حرَّمها الإسلام لأنهم ذاقوا من الأعراب الشيء الكثير من الظلم والنَّهب والسلب، فقاسوا دعوة الشيخ الإمام القادم من نجد على هؤلاء الأعراب بدعوى انتساب الجميع إلى القبائل العربية، وهذا قياس -ولا شكَّ- فاسدٌ، فإنَّ العالم والداعية والمصلح لا يقاس على الجاهل، وإن وافقه في الانتساب إلى بلد أو جماعة أو قبيلة[١].

قال تعالى:] قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ Z [الزمر: ٩].

في هذه البيئة المضطربة دينياً وسياسياً ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في بلدة العيينة، ويسر الله له أسرة ذات علم ودين، فأبوه وجده من كبار علماء بلده وقضاها، فحرص أبوه عليه، فحفظ القرآن قبل بلوغه. وقد لاحظ أبوه فيه حدة الفهم، وسرعة الحفظ، فتوسَّم فيه خيراً، وازداد حرصه على تعليمه.

وقرأ على أبيه بعض كتب الفقه على مذهب الإمام أحمد -رحمه الله-، ثم بدأ بقراءة ما استطاع تحصيله من كتب العلمـــاء في التفســـير

(١) انظر للزيادة: تاريخ نجد لابن غنَّام (١/١٣-١٥).

والحديث والعقائد. فشرح الله صدره لمعرفة التوحيد، ومعرفة نواقضه التي تضل عن سبيله، فأخذ ينكر تلك البدع المستحدثة والشرك الذي كان قد فشا في نجد، وكان -رحمه الله- رأى أن الأمر أعظم مما يظن، وأن هذا البلاء المستشري في الأمة يحتاج إلى سلاح عظيم وهو العلم، فرحل -رحمه الله- لطلبه حتى يكون أهلاً لدعوة النَّاس إلى دين الله، فبدأ بحج بيت الله الحرام، ثم أقام في المدينة المنورة حيناً أخذ فيه العلم عن عبد الله بن إبراهيم النجدي، وعن الشيخ محمد حياة السندي، ثم رجع إلى نجد، وقصد البصرة، وسمع الحديث والفقه من جماعة كثيرين، وقرأ بها النحو حتى أتقنه، ثم رجع إلى حريملاء، وكان أبوه عبد الوهاب قد انتقل إليها سنة ١١٣٩هـ[١].

ولَمَّا رجع الشيخ - رحمه الله - إلى حريملاء، وكان قد تمكن من العلم الذي يستطيع به الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، ويستطيع ردَّ شبه أهل الباطل التي توارثوها من مئات السنين، أعلن - رحمه الله - دعوته، واشتد في إنكاره مظاهر الشرك والبدع، وجدَّ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النصح للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام، وجدد سنة محمد r ، ولم يخش في الحق لومة لائم، وحذر الناس والعلماء منهم خاصة تَحَقُّقَ وعيدِ الله في قوله تعالى: [p q r s t u

(١) تاريخ نجد لابن غنَّام (١/٧٥-٧٧) باختصار وتصرف.

v w x y z { | } ~ ˇ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ Z [البقرة: ١٥٩]

فذاع ذكره في جميع بلدان العارض، في حريملاء، والعيينة، والدرعية، والرياض، ومنفوحة، وأثنى عليه ناس كثيرون، وانتظم حوله جماعة اقتدوا به، واتبعوا طريقه، وقرؤوا عليه كتب الحديث، والفقه، والتفسير، وصنَّف في تلك السنين "كتاب التوحيد"، وانقسم الناس فيه فريقين ؛ فريق تابعه وبايعه على ما دعا إليه، وفريق عاداه وحاربه وأنكر ذلك عليه وهم الأكثر، ولا سيَّما الفساق وأهل الباطل منهم، حتى همَّ بعض العبيد الفسقة في حريملاء على قتل الشيخ - رحمه الله - فنجَّاه الله منهم، فخرج منها إلى العيينة، والتقى بأميرها ابن معمَّر، فاتبعه،ونصره،وحصل بذلك خير كثير من قطعٍ لأشجار الشرك، وهدم لبعض القبور، وذاع صيت الشيخ، حتى حسده أعداؤه من أهل الباطل والشرك، فوشوا به إلى سليمان آل محمد رئيس الأحساء، فكتب إلى حليفه ابن معمَّر بقتله، أو إخراجه، فآثر هذا الدنيا، وخاف على نفسه منه، وأخرج الشيخ - رحمه الله - من العيينة[١] .

ولَمَّا خرج الشيخ - رحمه الله - من العيينة اتَّجه سنة ١١٥٨ إلى بلدة الدرعية، وأميرها يومئذٍ محمد بن سعود - رحمه الله -، فلَمَّا سمع الأمير بمقدمه قام من فوره مسرعاً إليه، ومعه أخواه ثنيَّان ومشاري، فأتاه

(١) تاريخ نجد لابن غنَّام (١/٧٧-٨٠) باختصار وتصرف.

في بيت محمد بن سويلم، فسلَّم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده.

فأخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله r ، وما دعا إليه، وما كان عليه صحابته y من بعده، وما أمروا به، وما نهوا عنه، وأنَّ كلَّ بدعة ضلالة، وما أعزَّهم الله به بالجهاد في سبيل الله، وأغناهم وجعلهم إخواناً.

ثم أخبره بما عليه أهل نجد في زمانه من مخالفتهم لشرع الله، وسنة رسوله r بالشرك بالله، والبدع والاختلاف والظلم.

فَلَمَّا تحقَّق الأمير محمد بن سعود -رحمه الله - معرفة التوحيد، وعلم ما فيه من المصالح الدينية قال له: يا شيخ، إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، فأبشر بالنصرة لك، ولِما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد.

فبسط الأمير محمد يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[١].

ويلاحظ في هذه البيعة أنها لأمير متغلِّب على بلد تجب طاعته على من تحته من أهل البلد، والإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - دخل بهذه البيعة في طاعة الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- الذي عاهده على إقامة شرع الله والدعوة إلى توحيده، ومحاربة الشرك والبدع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

---

(١) تاريخ نجد لابن غنام (١/٨١) باختصار.

ومن هذا اليوم المبارك انطلقت هذه الدعوة الإصلاحية التجديديَّة السلفية بقيادة الإمامين: محمد بن سعود -رحمه الله- بقوَّة السنان، ومحمد بن عبد الوهاب —رحمه الله- بقوَّة القرآن، لنشر الأمن والإيمان، والخير والنور، حتى عمَّ خيرها ونورها بلاد العالم الإسلامي، بل وتعداها إلى سائر أرجاء المعمورة بعز عزيز، أو بذل ذليل، على الرغم من قوة أعدائها، ومكرهم، وكيدهم، فقد نصرهم الله، وجعل العاقبة لهم، وخذل أعداءهم - ولله الحمد -.

وقد قامت بسبب هذه الدعوة المباركة دولة الإسلام في الجزيرة العربية، فاجتمعت الأمة من بعد الفرقة، وعزَّت من بعد الذلة، واغتنت من بعد العالة والفاقة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وقد حدث لهذه الدولة المباركة حوادث وفتن انتهت بسقوطها مرَّتين لأسباب معلومة داخليَّة وخارجية، لكنها - ولله الحمد - عالجت بتوفيق الله هذه الأسباب، وعادت على يد الملك المجدد عبد العزيز بن عبد الرحمن - رحمه الله - قويَّة عزيزة، متماسكة، ولا زال أبناؤه الميامين سائرين على نهج والدهم -رحمه الله- في نصرة هذا الدين، ودعوة الناس إلى التوحيد، وتحذيرهم من الشرك عبر مؤسساتهم التعليمية والدعوية، باذلين في سبيل ذلك الجهد والجاه والمال، فجزاهم الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأعزَّهم بعزِّه، وأيّدهم بتأييده، ونصرهم، وثبَّتهم على الهدى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قال تعالى:] J K L M O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e Z [الحج: ٤٠ – ٤١]

وقد بيَّن الإمام محمد بن عبد الوهَّاب -رحمه الله- منهجه الذي سار عليه في دعوته فقال في بعض رسائله: ((اعلم أني عرفت بأربع مسائل:

الأولى: بيان التوحيد مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس.

الثانية: بيان الشرك، ولو كان في كلام من ينتسب إلى العلم.

الثالثة: تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفر الناس عنه.

الرابعة: الأمر بقتال هؤلاء خاصة - أي المبغضين للتوحيد المنفرين عنه - حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله[١].

فهذه الأصول العظيمة هي التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وهي توضح موقفه من الفتن العظام في زمانه حيث عالج هذه الفتن بما يبطلها.

فعالج الشرك وأسبابه بتعليم الناس التوحيد الخالص لله عزَّ وجلَّ في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته. وحذر من أسباب الشرك ووسائله

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام –القسم الخاص (ص/٢٤-٢٥).

المؤدية إليه من الاعتقادات والأقوال والأعمال، ثم أمر بالمعروف ونهى عن المنكر على حسب طاقته، وقد أعانه على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إمام بلدته الإمام محمد بن سعود - رحمه الله -، وله حقٌ أن يغيِّر المنكر في بلده بيده لأنه سلطانه، ولَمَّا أنكر أعداء التوحيد عليه ذلك، وعزموا على قتاله وحربه، حمل راية الجهاد في سبيل الدفاع عن هذه العقيدة وأهلها، ونشر التوحيد فنصرهم الله وأيَّدهم -ولله الحمد والمنَّة-، وفي قوله -رحمه الله- إنه لا يكفر إلا من بان له التوحيد ثم أبغضه؛ دليلٌ على حرصه -رحمه الله- على دماء المسلمين، وأنه لا يقاتل ولا يكفِّر إلا من عادى التوحيد وأبغضه بعد العلم به، وفي ذلك أبلغ الرد على من زعم أن الشيخ - رحمه الله - يكفِّر عموم المسلمين ويستبيح دماءهم.

ولإيضاح أن الله سبحانه وتعالى قد بيَّن للأمة ما يصلحها في معاشها ومعادها بياناً شافياً يقول الشيخ - رحمه الله -: ((من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم، وعقلاء بني آدم، إلا أقل القليل.

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار:

أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم.

الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالّذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه. ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون - يعني: بزعمهم-.

الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمَّر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبين النبي r هذا بياناً شافياً كافياً بكل وجه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعى العلم فكيف العمل به؟.

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله:] @ A B C D E F Z [البقرة: ٤٠] إلى قوله قبل ذكر إبراهيم عليه السلام:] U V Z [البقرة: ١٢٢].

ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد.

ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لَبْسُ الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون - بزعمهم -، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

الأصل الخامس: بيان الله سبحانه لأولياء الله، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار. ويكفي في هذا آية في سورة آل عمران، وهي قوله:] ? @ A B C D E Z[آل عمران: ٣١]. وآية في سورة المائدة وهي قوله:] l m n o p q r s t u v w x y Z[المائدة: ٥٤] وآية في يونس وهي قوله:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / Z يونس: ٦٢ - ٦٣ ثم صار الأمر عند أكثر من يدَّعي العلم، - وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع - إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل، ومن تبعهم فليس منهم، ولابد من ترك الجهاد فمن جاهد فليس منهم ولا بد من ترك الإيمان والتقوى فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم. يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

الأصل السادس: رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا

يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق، وإما مجنون، لأجل صعوبة فهمهما -بزعمهم-، فسبحان الله وبحمده، كم بيّن الله سبحانه شرعاً وقدراً خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ Z [يوسف: ٢١]))[١].

فهذه الأصول الستة العظيمة دلت على دقة فهم الإمام -رحمه الله- ومعرفته لأسباب الفتن الواقعة في الأمة في زمانه، ثم معرفته لأسباب علاج هذه الفتن، وقيامه بهذا الأمر كما أمر الله، ثم نصر الله له -سبحانه وتعالى- وله الحمد والمنة.

فأول سبب من أسباب الفتن التي ذكرها الشيخ -رحمه الله- انتشار الشرك في الأمة بدعوى تعظيم الصالحين ومحبتهم، حتى صرفوا لهم أنواعاً من العبادة وعلاج ذلك بدعوة الناس إلى التوحيد وإخلاص العمل لله- وإن أغضب ذلك عبَّاد القبور وسدنتها -، فإن رضا الله هو المطلب والغاية.

---

(١) مؤلَّفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (٣٩٦/١).

ثم ذكر -رحمه الله- السبب الثاني من أسباب الفتن، وهو التفرق في الدين وإحداث شرع لم يأذن الله به، والتعصب للمذاهب الفقهية، وجعلها غاية، حتى عادى الناس بعضهم بعضاً باسم الدين، فصاروا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون.

ثم ذكر الشيخ -رحمه الله- أهم أسباب علاج الفتن، وهو الاجتماع على شرع الله، والعمل به، ومن ذلك الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمَّر علينا فإن في ذلك قوة للأمة وسد لأبواب الفتن كما مرَّ معنا فيما مضى.

ثم بيَّن -رحمه الله- وجوب التفريق بين العلماء الربانيين الذين يصلح الله بهم الأمة، والمدَّعين للعلم الذين حذر الله منهم ورسوله، وأنَّ معرفة ذلك أمر مهم، فإنَّ الأمة لا تسلم من الفتن إلا إذا سلمت من علماء السوء، وأخذت دينها عن العلماء الربانيين وهم أولياء الله الصالحين، المتَّبعين للنبي r الذين يبنون دينهم على كتاب الله وسنة رسوله r لا على البدع الحادثة، والآراء الضالة. ولذلك لَمَّا قام الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بدعوته كان أول من عاداه علماء السوء المبتدعة، فكان لا بد من بيان حالهم للناس، وأن ادعاءهم للعلم لا يدل على علمهم، وأن شهرتهم بالعلم عند العامة لا تكفي في إثبات علمهم وصلاح دعوتهم، وأن الأمة بحاجة ماسة إلى علماء صادقين متبعين عاملين بالكتاب والسنة، وهكذا عرف الإمام -رحمه الله- أسباب الفتن، ووفقه الله عزَّ وجلَّ لأسباب العلاج، فنجحت دعوته وسد الله بها باب

الفتن، وجدد الله بها دينه، وجمع أمته وقامت دولة الإسلام في الجزيرة العربية -ولله الحمد والمنة-.

المبحث الثالث: أثر هذه المواقف على الفرد والأمة

بعد هذه الجولة الموجزة في هذه المواقف المباركة التي تعدُّ تطبيقاً عملياً لنصوص الكتاب والسنة يتضح لنا جلياً أثر التمسَّك بالموقف الشرعي وقت الفتن على الأمة والفرد، وهذا الأثر عام في كل زمان ومكان، فكلُّ من تمسك بالكتاب والسنة، وأخذَ بالموقف الشرعي من الفتن سَلِم، وسَلِم منه الناس، وكلُّ من خالف ذلك هلك، وهلك بسببه أناس، فهذه الفتن التي مرَّت بالأمة على مرِّ العصور هي في الحقيقة دروسٌ عمليَّة يستفيد منها اللاحق مما عمله السابق في كيفية معالجته لهذه الفتنة، ولذلك رأينا عبر التاريخ كيف عالجَ علماءُ الأمةِ الربانيون هذه الفتن التي ابتلوا بها في زمانهم علاجاً مباركاً، عادت بركته على الأمة جميعها حتى يومنا هذا، بخلاف من تعامل مع الفتن من الجهال أو أصحاب البدع والهوى، فإنَّ ما أفسدوه أكثر مما أصلحوه، ولا تزال الأمة تعاني من هذه المواقف السيئة حتى يومنا هذا، متمثلاً في هذه الفرق الإسلامية المتناحرة، والبدع الحادثة، والضعف العام الذي دبَّ في شؤون الأمة كلها ؛ السياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، وكل هذا حصل بسبب هذه المواقف المخالفة للكتاب والسنة من الفتن.

أما المواقف الموافقة للكتاب والسنة فهي مواقف مباركة عادت على الأمة بالخير والصلاح في شأنها كله. فارجعْ -مثلاً- إلى موقف الصحابة y ،

وطاعتهم المطلقة لرسول الله r يوم بدرٍ كيف أثمر هذا الموقف المبارك عِزّاً وتمكيناً للأمة، حتى سُمِّي يوم بدرٍ يومَ الفرقان.

وانظر إلى موقفهم y يوم الحديبية كيف عظموا أمر الله ورسوله، وقدَّموه على عقولهم، فعاد هذا التعظيم بالخير والنفع العظيم، حتى سُمِّي ذلك الصلح بالفتح المبين.

وانظر إلى دقة أفهامهم، وفقههم العظيم في موقفهم العظيم يوم المصيبة الكبرى التي دهمتم، وهي موت النبي r حتى طاشت عقولهم y من شدة حزنهم على فقده —وحُقَّ لهم ذلك t لكنهم سرعان ما عادوا إلى أنفسهم عند سماعهم الآيات المتعلقة بذلك، فبادروا إلى استدراك أمر الأمة، وحمايتها من الفتن، فتمَّت بيعة أبي بكر t تلك البيعة المباركة التي حصل بسببها سد باب الفتن، وإعادة الناس إلى جماعة المسلمين بعد أن كادوا أن يزيغوا يميناً وشمالاً، وما ذاك إلا ببركة التمسُّك بكتاب الله، وسنة رسوله، وتعظيم أصحاب النبي r، والاهتداء بهديه، والاستنان بسنته.

وإذا سرنا مع هذه المواقف المباركة حتى نصل إلى موقف الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ذلك الموقف العظيم الذي ظهر فيه صدق الإيمان، والإيثار ومحبة الأمة، والحرص عليها، واستحقَّ -بذلك- بشارة النبي r له بالسيادة -كما مرَّ معنا- نجد أنَّ بركة هذا الموقف قد أعاد للأمة عزَّها ومجدها ووحدتها، بعدما جرى بينها ما جرى من فرقة،

فجاء هذا المبارك -رضي الله عنه، وأرضاه- فعصم به اللهُ هذه الدماء، وجمع به الكلمة، ووحَّد به الصفَّ، وأبدله الله بسيادة الدنيا سيادةَ الآخرة، فبارك الله له بهذه السيادة، وهنأه فيها، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وهكذا إذا تأمَّلنا موقف الإمام أحمد -رحمه الله- يوم فتنة خلق القرآن كيف ثبَّته الله على الحقِّ، وصبر على ذلك، مع ما ناله في سبيل ذلك من سجن وضرب وأذى، فصبر -رحمه الله-، ورضي عنه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وهنا مسألة مهمة، سبق التنبيه عليها، نوجزها هنا لأهمِّيتها، وهي أنَّ الداعية إنما يدعو لله، ولا يدعو لنفسه، ولذلك لم نسمع عن الإمام أحمد -رحمه الله- أنه انتقم لنفسه، أو دعا لنفسه مع ما ناله من جَور حكام زمانه، وإنَّما ثبت على الحقِّ، وسأل الله الثبات، وأعطاهم حقوقهم الواجبة عليه .

وهذا التفريق الدقيق بين الدعوة لله والدعوة للنفس لا يتفطن له إلا العلماء الربانيون ؛ كالإمام أحمد -رحمه الله-، أمَّا صغار طلبة العلم فإنه إذا أوذي في الله نقل المسألة إلى نفسه مباشرة، وصار يدعو لنفسه، وينتقم لنفسه، وهو يظنُّ أنه إنَّما يدعو لله، وينتقم لله .

وهذا الأمر الخطير الدقيق لا يتفطن له كثيرٌ ممن نصب نفسه للدعوة من طلبة العلم فكيف بمن عداهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في باب الدُّعاءُ إلى شَهادةِ أنْ لا إله إلاّ الله في كتاب التوحيد، عند قوله تعالى: [P
Q R S T U W X Y Z [ ] ^ _ `
a b Z [يوسف: ١٠٨].

قال -رحمه الله-: ((فيه مسائل:

الثانية: التنبيه عَلى الإخلاص: لأن كثيراً لوْ دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه))[١].

أما الإمام أحمد -رحمه الله- فقد عرف حقيقة الإخلاص في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ فترك حظَّ نفسه، ولم يغضب لها، ولم ينتقم لها، وآثر مصلحة الأمَّة على مصلحة نفسه، وصبر على ما أصابه في سبيل الله، ولم يدْعُ إلى نفسه، ولم يفتح للأمة باب شرٍّ بمنازعة الأمر أهله، فكانت عاقبة هذا الموقف المبارك أن سَلِمَت الأمَّةُ، وسَلِم الإمام، وصبر على البلاء، وانقمعت الفتنة، وثبت الحقُّ، وعرفه الناسُ، وهو أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وانقمع أهل البدع، وذَلُّوا، وهانوا عند النَّاس، وأصبح الإمام أحمد -رحمه الله- علَماً لأهل السُّنَّةِ، كلُّ ذلك حصل والأمة سالمة من الفتن الكبار التي لو وقف الإمام عند هذا الموقف فدعا لنفسه أو انتقم لنفسه لخاضت في دمائها، ولكنَّ الله سلَّمه

(١) كتاب التوحيد ضمن مجموعة مؤلَّفات الشيخ (١/٢١).

وسلَّم به -ولله الحمد والمنَّة-.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فإن موقفه عظيم، وتجديده للدين ظاهر مبين، فقد ظهر في زمانٍ تفرَّقت فيه الأمة شذرَ مذرَ، وحصل لها من الفتن والويلات على يد أعدائها من النصارى والمغول ما لم يحدث مثله في التاريخ، فضعفت بسبب هذه الهجمة الهمجيَّة في شتى النَّواحي؛ الدينية، والسياسية، والاجتماعية، فقام هذا الإمام -رحمه الله- بنصرة الدين بعد أن عرف أهمَّ سببٍ لضعف الأمة وهو الجهل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والجهل -كذلك- بعمل السلف وفقههم، فدعا إلى العودة إلى الكتاب والسنة وفهم السلف، وإلى نبذ البدع والخرافات، وثبت على ذلك، ونصر الله به دينه، وأصابه ما يصيب غيره من الدعاة إلى الله، فصبر -رحمه الله- على ما أصابه، واستمرَّ في دعوة الأمَّة، فأخرج لها من كنوز الكتاب والسنة ما أنار طريقها في تلك الظلمات، ولا تزال الأمة حتى يومنا هذا تستفيد من هذا النتاج العلمي المبارك، أما هو فلم ينل من الدنيا شيئا، بل مات مسجوناً صابراً محتسباً -رحمه الله-، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وإذا وصلنا إلى آخر المواقف المذكورة في المبحث السابق نجد ذلك الموقف العظيم للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، حيث ظهر في زمانٍ ظهرت فيه غربة الدين واضحة جليَّة —كما مرَّ معنا-، فعرف -بتوفيق الله له- أسباب ضعف الأمة، فاستعان الله على علاج هذا

الضعف، وقمع هذه الفتن التي ابتليت بها الأمة، فبدأ بنفسه علماً وعملاً، ثم دعا مَن حوله، حتى هيأ الله له الإمام محمد بن سعود -رحمه الله-، فأعانه بقوة السنان، حتى قامت على أيديهما دولة الإسلام في جزيرة الإسلام، مما يدل على صدق دعوتهما، وموافقتهما للكتاب والسنة، فاجتمع النَّاس من بعد الفرقة، وأمنوا من بعد الخوف، وعزُّوا من بعد الذِّلَّة -ولله الحمد والمنَّة-.

وهنا مسألة مهمة جداً فاتني التنبيه عليها عند الحديث عن موقف الإمام محمد بن عبد الوهَّاب -رحمه الله-، وقد استفدتها بعد كتابة ذلك الموقف، وهي عن حدِّ العلاقة بين العالم والسلطان في هذه الدولة المباركة.

فأقول -وبالله التوفيق، ومنه العون والتسديد-: إنَّ الإمام محمد بن عبد الوهَّاب -رحمه الله- عالمٌ سلفيٌّ سار في دعوته على منهج السلف، وقد سبق معنا بيان منهج السلف -رحمهم الله- مع أولياء الأمور.

وسبق أن ذكرنا الأصول الستَّة التي قامت عليها دعوة الشيخ -رحمه الله- فقد قال في الموقف الثالث: ((إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمَّر علينا وإن كان عبداً حبشياً))

فقد بايع الإمامُ محمدٌ بنُ عبدِ الوهَّاب -رحمه الله- الإمام محمد بن سعود على السمع والطاعة، ودعا -رحمه الله- إلى طاعة الإمام، وجعل طاعته من طاعة الله فريضة، وجعل ذلك أصلاً من أصول دعوته فالإمام محمد -رحمه الله- لم يكن شريكاً للإمام محمد بن سعود في سلطانه، وإنَّما

كان عالماً تحت إمرته مطيعاً له بالمعروف. ولكن الإمام محمد بن سعود -رحمه الله-، ومن جاء بعده من أبنائه الميامين كانوا معظِّمين للشيخ -رحمه الله- أشدّ التعظيم، وكانوا يستشيرونه في شأنهم كلِّه، ولا يصدرون إلا عن رأيه -جزاهم الله خيراً-.

قال ابن غنَّام -رحمه الله-: ((وقد بقي الشيخ بيده الحلّ والعقد، والأخذ والعطاء والتقديم والتأخير، ولا يركَّبُ جيش، ولا يصدر رأي من محمد بن سعود، ولا من ابنه عبد العزيز إلا عن قوله ورأيه.

فلَمَّا فتح الله الرياض، واتسعت ناحية الإسلام، وأمِنت السبل، وانقاد كل صعب من باد وحاضر ؛ جعل الشيخُ الأمرَ بيد عبد العزيز بن محمد بن سعود، وفوَّض أمور المسلمين وبيت المال إليه، وانسلخ منها، ولزم العبادة وتعليم العلم، ولكن عبد العزيز لم يقطع أمراً دونه، ولا ينفِّذه إلا بإذنه))(١).

وهكذا كانت العلاقة بين العالم والحاكم علاقة محبَّة وألفة ومعرفة كل واحد منهما لقدر الآخر ومكانته ولم تكن علاقة تحاسد وتناحر، وما ذاك إلا لصلاح قصد الإمامين -رحمهما الله-، وحرصهما على مصلحة الأمة، وسدِّ أبواب الفتن.

وهكذا استمرَّت العلاقة المباركة المبنية على الكتاب والسنة بين علماء هذه الدعوة المباركة، وبين أمراء وملوك هذه الدول المبـــاركة على

---

(١) تاريخ نجد لابن غنَّام (٨٣/١-٨٤).

مرِّ العصور فلم نرَ من ملوك هذه الدولة المباركة إلا النصرة للإسلام وأهله، جزاهم الله عن ذلك خير الجزاء.

ولم نرَ من أئمة الدعوة إلا الإعانة والنصيحة الخالصة لصالح الإسلام والمسلمين، وهذا هو الواجب على الراعي والرعية - ولا سيَّما العلماء - الإعانة على إقامة دين الله، وعدم منازعة الأمر أهله، بل السمع والطاعة في المنشط، والمكره، والأثرة، لأن القصد إقامة دين الله لا إقامة دنيا العالم، فإن العالم إذا أقام دنياه على حساب دينه هلك وأهلك، بل الواجب أن يقيم دينه، ولا ينظر إلى الدنيا، فإن أصابه شيء آثر مصلحة الإسلام والمسلمين، وصبر على ما أصابه، كما حصل للإمام أحمد وشيخ الإسلام -رحمهما الله-، وكما فعل الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، فإنه كان من أعظم أسباب قيام هذه الدَّولة المباركة، ومع ذلك فلم يطلب لنفسه شيئاً، بل عرف لأهل الحقِّ حقّهم، ولم ينافسهم عليه لأنه لم يكن له غاية فيه أصلاً، وقد شاهد انتقال السلطة من الإمام محمد بن سعود بعد وفاته -رحمه الله- عام ١١٧٩ إلى ابنه عبد العزيز فكان أوَّلَ المبايعين.

يقول ابن غنَّام -رحمه الله-: ((وفي ربيعٍ الأول من هذه السنة - ١١٧٩- اختار الله الأمير محمد بن سعود إلى جواره، وكان قد ولّى بعده ابنَه عبدَ العزيز إماماً للمسلمين، فبايعه الناس على ذلك خاصُّهم وعامُّهم، حضرُهم وبدوهم، دانيهم وقاصيهم، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب

هو رأس ذلك النِّظام المحكم بعقده))[١]. أي أنه كان مهتمّاً بأمر البيعة خشية أن يعود الناس إلى سابق عهدهم من الفُرْقة والعداوة، فبذل الشيخ جهده لتثبيت هذه البيعة لما يرى من مصلحة للإسلام والمسلمين في ذلك.

ولَّما شبَّ الأمير سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- ورأى الإمام منه الصلاح، وحسن الرأي، والسياسة أشار على أبيه الإمام عبد العزيز بتوليته الإمارة بعده، فولاه، وأمر الناس بمبايعته، فبايعه الناس، وتعاقدوا على التزام الطاعة، فوصل الله تعالى بذلك حبل المسلمين، وجمع على الاتفاق والمحبة شملهم، وأجارهم من الشقاق والاختلاف [٢].

وهذا من فقه الشيخ والإمام -رحمهما الله- وحرصهما على وحدة الأمَّة وسلامتها، وأن تستمرَّ على هذه الوحدة المباركة، ولا تعود الأمة متفرقة ذليلة كسابق عهدها.

وهكذا سار أئمة هذه الدعوة من الحكَّام والعلماء في نصرة هذا الدين، والعمل له، ونشره في كلِّ مكان متعاونين في ذلك، متناصرين متآزرين، حتى بارك الله هذه الجهود، وحفظ الله بها الإسلام وأهله في هذه الجزيرة وخارجها، وعاد للدين عزُّه ومجدُه —ولله الحمد-، ولا يزال هذا التعاون بين حكَّام هذه البلاد المباركين، وبين علمائها مستمراً حتى يومنا هذا في نصرة هذا الدين، والعمل له في الرَّخاء والشدة حتى في

(١) تاريخ ابن غنَّام (١/١٢٥).
(٢) تاريخ نجد لابن غنَّام (١/١٧).

سنوات الضعف مما أعان على الرجوع إلى القوَّة والعزة مرة أخرى -ولله الحمد والمنَّة-.

وقد سار علماء هذه الدعوة مع ولاة أمورهم سيرة السلف الصالح -رحمهم الله- في بذل الدعاء والنصيحة بالمعروف كما أمر الله ورسوله r ، بعيداً عن الهوى وطرق أهل البدع والضلال من الخوارج وأمثالهم، الذين يتخذون إنكار المنكر على الولاة سبيلاً للتشهير بهم ونزع الثقة من قلوب العامة بولاتهم، مخالفين بذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة . وقد أنكر أئمة الدعوة -رحمهم الله- على من خالف هذا الأصل العظيم في بذل النصيحة للولاة بالمعروف وعمد إلى مخالفتهم والتشهير بهم، ومن ذلك رسالة الإمام محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إلى بعض من بان فيه مخالفة لهذا الأصل من وعَّاظ زمانه حيث كتب إليه يقول: ((من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرَّم الشيخ ...المحترم سلَّمه الله.

بلغني أن موقفك من الإمارة ليس كما ينبغي، وتدري –بارك الله فيك- أن الإمارة ما قصد بها إلا نفع الرعيَّة، وليس من شرطها أن لا يقع منها زلل. والعاقل بل وغير العاقل يعرف أن منافعها وخيرها الديني والدنيوي يربو على مفاسدها بكثير. ومثلك إنما منصبه منصب وعظٍ وإرشاد وإفتاء بين المتخاصمين.

ونصيحة الأمير والمأمور بالسِّرِّ، وبنيَّةٍ خالصة تعرف فيها النتيجة النافعة للإسلام والمسلمين. ولا ينبغي أن تكون عثرة الأمير أو العثرات

نصْبَ عينيك والقاضية على فكرك، والحاكمة على تصرُّفاتك بل في السرِّ قم بواجب النصيحة، وفي العلانية أظهر وصرِّح بما أوجب الله من حقِّ الإمارة والسمع والطاعة لها، وأنها لم تأت لجباية أموال الناس، وظلم دماء وأعراض المسلمين، و لم تفعل ذلك أصلاً إلا أنها غير معصومة فقط.

فأنت كن وإياها أخوين:

أحدهما: مبين واعظ ناصح.

والآخر: باذل ما يجب عليه كاف عن ما ليس له، إن أحسن دعا له بالخير ونشط عليه، وإن قصَّر عومل بما أسلفت لك. ولا يظهر عليك عند الرعية ولا سيما المتظلمين بالباطل عتبك على الأمير وانتقادك إياه، لأن ذلك غير نافع الرعية بشيء، وغير ما تعبَّدت به. إنما تعبَّدت بما قدمت لك ونحوه، وأن تكون جامع شمل لا مشتِّت، مؤلِّف لا منفِّر، واذكر وصيَّة النبي ﷺ لمعاذ وأبي موسى: « يسرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا »[١] أو كما قال ﷺ. وأنا لم أكتب لك ذلك لغرضٍ سوى النصيحة لك وللأمير ولكافة الجماعة وللإمام المسلمين والله ولي التوفيق والسلام عليكم))[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٦٣/٦-مع فتح البـاري)، ومـسلم في صـحيحه (١٣٥٩/٣رقم١٧٣٣) .

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٨٢/١٢-١٨٣) بواسطة ((معاملة الحكـام في ضوء الكتاب والسنة)) لعبد السلام بن برجس.

وقال الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف -رحمه الله-: ((وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج عن الإسلام، فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش وجهل ظاهر لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نوَّر الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح وأئمة الدين))[١].

وهكذا استمرَّ علماء هذه الدعوة المباركة بمؤازرة حكام هذه الدولة المباركة بالمناصحة والمشاورة والإعانة على طريقة السلف. لأن في ذلك نجاة الأمة وسلامتها من الفتن وإعطاء ولي الأمر حقه الذي شرع الله له، فإذا وجدوا من شذَّ عن هذه القاعدة السليمة والطريقة المرضيِّة بادروا إلى نصحه وتوجيهه، فمن ذلك ما كتبه الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن -رحمهم الله جميعاً- إلى بعض من بدر منه خروج عن منهج السلف في ذلك ممن ظاهره الصلاح حيث كتب إليهم يقول: ((أما بعد فالموجب لهذا الكتاب والداعي إليه هو النصح لكم، والشفقة عليكم، لأن من حقِّكم علينا بذل ذلك لكم، وقد بلغنا اجتماعكم وتزاوركم، فإن كان المراد بذلك التذكر بما من الله عليكم من نعمة الإسلام واجتماع

(١) الدرر السنية (٩/١١٩).

الكلمة، وذهاب العدو، والحرص على التزام هذه الإمامة والولاية، والقيام بحقِّها فما أحسن ذلك.

وإن كان الاجتماع إنما هو للتفرقِ والاختلافِ الذي هو من دين الجاهلية الأولى، والطعنِ على من ولاه الله عليكم، وعيبِه، وثلبِه، وتتبع عثراته للتشنيع عليه، ونسبةِ علمائه للمداهنة والسكوت، فهذه —والله- وصمة عظيمة، وزلَّة وخيمة، وقاكم الله شرَّها، وحال بينكم وبين أسبابها.

فأذكركم أولاً نعمة الإسلام وما مَنَّ الله به عليكم من الانتقال عن عوائد الآباء والأجداد، وسوالفهم التي خالفوا في أكثرها ما جاء في الكتاب والسنة واتباع هذا النبي الكريم ﷺ، الذي جعل الله بعثته رحمةً للعالمين، ومَحَجَّةً للسالكين، وحُجَّةً على أعداء الملة والدين، فاشكروا مولاكم على ذلك، واشكروه —أيضاً- على ما مَنَّ به في هذا الزمان من ولاية هذا الإمام الذي أسبغ الله عليكم على يديه من النعم العظيمة، ودفع به عنكم من النِّقَمِ الكثيرةِ، وخوَّلكم مما أعطاه الله، وتابع عليكم إحسانه صغيرِكم وكبيرِكم، وقام بما أوجب الله عليه حسب الطاقة والإمكان، ونظره في مصالح المسلمين،وما يعود نفعه عليهم، ودفع المضار عنهم، وحسم مواد الشر أولى من نظركم، والكمال لم يحصل لمن هو أفضل منه، فالذي يطلب الأمور على وجه الكمال، وأن تكون على سيرة الخلفاء فهو طالب محالاً، فاسمعوا له، وأطيعوا، وراعوا حقَّه وولايته عليكم، واحذروا

غرور الشيطان، وتسويله، وخدعه، ومكره، فإنه متكئ على شماله، يدأب بين الأمة بإلقاء الشحناءِ والعداوةِ، وتفريقِ الكلمة بين المسلمين عادة له مذ كان، ولا يسلم من مكره إلا مَن راقب الله في سِرِّه وعلانيته، ووقف عند أقواله وأعماله، وحركاته، وسكناته، وتفكَّر في عاقبة ما يصير إليه في مآله، وراجع أهل البصائر والمعرفة من أهل العلم الذين لهم قدم راسخ في المعرفة والفهم))[١].

فانظر -حماك الله من الفتن- إلى هذا الفهم الثاقب، والفقه النـــادر الذي ضمَّته هذه الرسالة العظيمة في هذا الأمر الخطر، الذي تقوم -بسبب جَهْلِه- الفتنُ الكبارُ في الأمة، لولا ما يهيئه الله لها من أمثال هؤلاء العلماء الربانيين -رحمهم الله-، الذين يقودون الأمة بكتاب الله، وسنة رسوله r ، فتسلم الأمة من كل فتنة وسوء، بفضل الله سبحانه وتعالى، وإن المتأمل لهذه الكلمات النافعات يجدها قد عالجت أمرَ الفتن ؛ بسدِّ أبوابها، وبيانِ الموقف الصحيح منها، وتذكيرِ الناس بنعمة الله –سبحانه وتعالى- عليهم، وبيانِ حال الناس قبل هذه النعم، فإنَّ ذلك مما يعين على سد أبواب الفتن، فجزى الله الشيخ عن الإسلام وأهله خير الجزاء، ورزقنا اتِّباع هذا المنهج السويّ في الشدة والرخاء.

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف -أيضاً- والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري -رحمهما الله- في رسالة لهما في بيان نعمة الله سبحانه

(١) الدرر السنية (٩/١٠٣-١٠٥).

وتعالى على الأمة باجتماع الكلمة والتحذير من مداخل الشيطان ومكره، حيث قالا: ((ومما أدخل الشيطان –أيضاً-: إساءة الظن بولي الأمر، وعدم الطاعة له، فإنَّ هذا من أعظم المعاصي وهو من دين الجاهلية الذين لا يرون السمع والطاعة ديناً بل كل منهم يستبدُّ برأيه . وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر في العسر واليسر، والمنشط والمكره، حتى قال: « اسمع وأطع، وإن أخذ مالك، وضرب ظهرك »[١]. فتحرم معصيته، والاعتراض عليه في ولايته، وفي معاملته، وفي معاقدته ومعاهدته، لأنه نائب المسلمين، والناظر في مصالحهم، ونظره لهم خير من نظرهم لأنفسهم، لأن بولايته تستقيم، وتتفق كلمة المسلمين، لا سيَّما وقد مَنَّ الله بإمام ولايته ولاية دينية، وقد بذل النُّصحَ لعامة رعيته من المسلمين خصوصاً المتدينين؛ بالإحسان إليهم، ونفعهم، وبناء مساجدهم، وبث الدعاة فيهم، والإغضاء عن زلاتهم وجهالاتهم.

ووجود هذا في آخر الزمان من أعظم ما أنعم الله به على أهل هذه الجزيرة، فيجب عليهم شكر هذه النعمة، ومراعاتها، والقيام بنصرته، والنصح له باطناً وظاهراً، فلا يجوز الافتيات عليه، ولا المضي في شيء من الأمور إلا بإذنه، ومن افتات عليه فقد سعى في شقِّ عصا المسلمين، وفارق جماعتهم...)) إلى آخر ما قالا -رحمهما الله- [٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٤٧٦/٣رقم١٨٤٧).

(٢) الدرر السنية (١٣٥/٩-١٣٦).

فما أحوج دعاة الإسلام في هذه الأزمنة المتأخرة إلى مثل هذه الكلام، ودراسته دراسة متأنية، ومعرفة فقه السلف -رحمهم الله- في هذه المسألة الخطيرة، حتى يكونوا بذلك دعاة خير وألفة، لا دعاة شر وفرقة وفتنة.

وهكذا لو تتبعنا هذا الموضوع في كتب أئمة الدعوة لوجدنا كلامهم -رحمهم الله- موافقاً لمنهج السلف في وجوب السمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين، والنصيحة له بالرفق سراً وعدم تتبع عوراته، فسلمت بذلك الأمة من الفتن، وعَمَّ الاجتماع الحاضر والباد —ولله الحمد والمِنَّة-.

وهناك شُبهة يذكرها بعض دعاة الفتن على شباب المسلمين، وهي أنه يوجد في بعض رسائل هؤلاء الأئمة إلى ولاة أمورهم بعض الشدة في العبارة، وبعض الملاحظات على سبيل الإنكار والمعاتبة.

فالجواب على هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه الرسائل التي ظهرت من أعظم الأدلة على صدق علماء هذه الدعوة في دينهم، وأنهم بعيدون كلَّ البعد عن التُّهمة بالمداهنة للحكام في دين الله، وأنَّهم شجعان لا تأخذهم في الله لومة لائم.

الوجه الثاني: أنه ليس مرادنا من النهي عن الخوض فيما يعمله الإمام من المعاصي أننا ننهى عن إنكار المنكر إذا خرج منه بل إنما ننهى عن إعلانه بين العامة، أما مراسلة الإمام سرا، والذهاب إليه في مكانه،و

مصارحته فهذا مطلوب شرعاً بشروطه المعروفة، وهذه الرسائل التي يذكرها هؤلاء هي من هذا الباب، فإنَّها رسائل خاصة أرسلت سراً إلى أولياء الأمور متضمنة لنصيحتهم وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وليس كما يفعله دعاة الفتن من نشر المنكر على المنابر والمجلات داخل بلاد الإسلام، بل والاستعانة بالكفَّار على أولياء أمور المسلمين –والعياذ بالله-.

ومما يدل على أن هذا هو منهج السلف -رحمهم الله- ما جاء عن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- أنه قيل له: ألا تدخل على عثمان لتكلمه؟ فقال: ((أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه))[١].

قال الحافظ -رحمه الله-: ((قوله: ((قد كلمته ما دون أن افتح باباً)) أي: كلمته فيما أشرتم إليه لكن على سبيل المصلحة والأدب في السر، بغير أن يكون في كلامي ما يثير فتنة)).

وقال الحافظ: ((قال المهلب: أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان، وكان من خاصته، وممن يخف عليه في شأن الوليد بن عقبة، لأنه كان ظهر عليه ريح نبيذ، وشهر أمره، وكان أخا عثمان لأمه، وكان يستعمله، فقال أسامة: قد كلمته سراً، دون أن أفتح باباً، أي: باب الإنكار على

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٤٨-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٢٩٠ رقم٢٩٨٩).

الأئمة علانية، خشية أن تفترق الكلمة، ثم عرَّفهم أنه لا يداهن أحداً ولو كان أميراً، بل ينصح له في السر جهده)).

قال الحافظ: ((وقال عياض: مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام، لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به، وينصحه سراً، فذلك أجدر بالقبول))(١).

فانظر -رحمك الله- إلى هذا الحديث العظيم فإنَّ التُّهم التي قيلت لأسامة بن زيد حبِّ رسول الله r وابن حبِّه من عدم النصيحة لولي الأمر والمداهنة في ذلك، ورد أسامة t ودفاعه عن نفسه، وأن الواجب النصيحة للإمام سراً؛ لا زالت تتردد من دعاة الفتن حتى يومنا هذا، فتدبَّر هذا الحديث فإنه نافع عاصم من الفتن بإذن الله، وهكذا هذه الرسائل بين العلماء والحكام، فإنها من باب النصيحة السرية على منهج السلف وهي دليل كذلك على عدم مداهنة علماء الدعوة السلفية، وأنهم إنما يأتون الأمور من أبوابها كما قال أسامة t .

وهنا مسألة مهمَّة، وهي أن هذه الرسائل ما كان ينبغي أن تنشر بين العوام وأشباههم من ضعاف طلاب العلم فإنهم يضعونها في غير موضعها، فتكون لبعضهم فتنة، وقد نُهي عن تحديث القوم بما لا يعقلونه، حتى لا يكون لبعضهم فتنة، وقد سبق معنا كيف أن عمر t أراد أن يجمع الناس في منى يحذرهم من الفتن، ويخبرهم كيف تَمَّت بيعة أبي بكر

---

(١) فتح الباري (١٣/٥١-٥٢) باختصار.

t ، فنهاه عن ذلك عبد الرحمن بن عوف t ، وحذَّره من ذكر ذلك عند عامة الناس فيضعوه في غير مواضعه، وأشار عليه بأن يصبر حتى يأتي المدينة، ثم يحدِّث به أهلَ الحلِّ والعَقْدِ والعقلِ والعلمِ، فيضعوه مواضعه))[١].

وهذا أمر مهم لكنه يفوت كثيراً ممن تصدر للدعوة في هذا الزمان -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، فتجده لا يفرِّق في كلامه بين الصغير والكبير، وبين العالم والجاهل، وبين ما ينبغي أن يقال، وما يجب أن يُكْتَمَ عن بعض الناس، حتى لا تقع فتنة، وهذه الأمور لا يفقهها إلا من رزقه الله فقهاً في دينه، وخِبرةً في كلام السلف -رحمهم الله-.

الوجه الثالث: أن هذه الرسائل والمرسلات قد صدرت في مناسبات خاصة لا ينبغي أن يقاس عليها غيرها، ولا ينبغي أن تعتبر أصلاً في المسألة، وإنما الأصل كتاب الله، وسنة رسوله r ، وما أجمع عليه السلف الصالح -رحمهم الله-، أما هذه الرسائل فهي مقيَّدة بمناسبات خاصة، فليست حجة إلا مع ما يماثلها من حالات قيلت أو كتبت بسببها، ومن المعلوم أن الأحكام تدور مع عللها وجوداً وعدماً.

ومثل ذلك ما يقوم به بعض الطلبة العلم وقت الفتن من قراءة أحاديث الفتن على العامة وتنْزيلها على واقع الناس اليوم، حتى أصابوا العامة بالخوف والاضطراب، وهذا منهج باطل، فإنَّ عامة أحاديث الفتن

---

(١) انظر ما تقدَّم (ص/٦٥).

الكبار إنما هي في آخر الزَّمان وقتَ ظهور أشراط الساعة الكبرى، فلا ينبغي أن تقرأ على العوام إلا مع بيان أنَّ المراد منها علمُ وقتِه عند الله، وبيان أنها لا تدل على الزمان الذي نحن فيه، وأن زمانها لم يحن بعد، حتى لا يفتات الإنسان على الله، ويقول على الله بلا علم، فيصيب الأمة بالفتن من حيث أراد سلامتها، فليتنبه طالب العلم لهذا الأمر، ولا يتساهل به، فإنَّه أمر مهم وخطر.

ونعود الآن إلى الرسائل التي قيلت في مناسبات خاصَّة، فأقول قد أشكلت هذه الرسائل على بعض طلاب العلم في السابق، وحدث بسبب هذا الإشكال جدال بينهم، فبلغ ذلك الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري -رحمه الله- فكتب نصيحة لطلبة العلم فقال -رحمه الله-: ((الموجب لهذه النصيحة هو ما أخذ الله علينا من الميثاق في بيان ما علمنا من الحق، وخفي على غيرنا ...، وأيضاً ما بلغني عن بعض الإخوان من خوض بعضهم في بعضٍ، وكذا في وليِّ أمرهم، فَعَنَّ لي أن أذكر كلمات لعلَّ الله أن ينفع بها، وأسأل الله التوفيق والإعانة، وأعوذ بالله من اتباع الهوى والإهانة، وقد ينتفع بالنصائح من أراد الله هدايته ومن قضى عليه بالشقاء فلا حيلة في الأقدار.

فأقول -مستمداً من الله الصواب معتمداً عليه في دفع ما دهى من الحوادث وناب-: اعلموا -جعلني الله وإياكم ممن علم وعمل- أنَّ القولَ على الله بغير علم أعظم من الشرك، قال الله تعالى:] P Q R S

a ` _ ^] \ [Z Y XW V U T

b c d e f g h i j k l Z [الأعراف:٣٣] فجعل القول عليه بغير علم في مرتبةٍ فوق الشرك وقد بلغنا: أنَّ الذي أشكل عليكم أنَّ مجرد مخالطة الكفار ومعاملتهم بمصالحة ونحوها. وقدومهم على ولي الأمر لأجل ذلك أنها في موالاة المشركين المنهي عنها في الآيات والأحاديث، وربما فهمتم ذلك من ((الدلائل)) التي صنَّف الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ، ومن ((سبيل النجاة)) للشيخ حمد بن عتيق

فأولاً: نبين لكم سبب تصنيف الدلائل. فإنَّ الشيخ صنَّفها لَمَّا هجمت العساكر التركية على نجد في وقته، وأرادوا اجتثاث الدين من أصله، وساعدهم جماعة من أهل نجد من البادية والحاضرة، وأحبُّوا ظهورهم.

وكذلك سبب تصنيف الشيخ حمد بن عتيق ((سبيل النجاة)) هو لَمَّا هجمت العساكر التركية على بلاد المسلمين، وساعدهم من ساعدهم حتى استولوا على كثير من بلاد نجد فمعرفة سبب التصنيف مما يعين على فهم كلام العلماء، فإنَّه –بحمد الله- ظاهر المعنى، فإنَّ المراد به موافقة الكفَّار على كفرهم، وإظهار مودَّتهم ومعاونتهم على المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم على كفرهم))[١] إلى آخر

(١) الدرر السنية (٩/١٥٧-١٥٨) باختصار يسير.

كلامه المتين –رحمه الله-.

ومثل هذا الكلام المحكم في بابه كثير في كلام أئمة الدعوة -رحمهم الله- وبمثل هذا الفقه والعلم والعقل تسلم الأمة من الفتن، وتجتمع كلمتهم، وتقوى شوكتهم، فينصرهم الله ويعزهم، وبهذا يتضح لنا جلياً

أثر هذه المواقف الصالحة على الفرد والأمة –حمانا الله وإياك والمسلمين من مضلات الفتن، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه-.



الفصل الثالث: بعض المواقف المخالفة لمنهج السلف في الفتن وأثرها على الفرد والأمة، وبيان جذورها التاريخية.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الاستهانة بعلماء الأمَّة وعلومهم وتعظيم الأصاغر.

المبحث الثاني: إحياء الفتن الماضية وجمع الناس واتخاذ ذلك سنة وعيداً.

المبحث الثالث: مفارقة الجماعة بإحداث أحزاب وجماعات فرَّقت الأمَّة.

المبحث الرابع: التسرع بتكفير الأمة عامتها وخاصتها، والتركيز في ذلك على ولاة أمور المسلمين.

المبحث الخامس: استباحة دماء المسلمين المخالفين.

المبحث السادس: إحداث التَّجمُّعات الغوغائيَّة أو ما يسمَّى بالمظاهرات الجماعية.

المبحث السابع: الإفساد في البلاد الإسلامية بالتخريب والتفجير ونحو ذلك.

المبحث الثامن: الهجرة إلى بلاد الكفار.

المبحث الأول: الاستهانة بعلماء الأمَّة وعلومهم وتعظيم الأصاغر.

سبق في المبحث الأول من الفصل الثاني بيان الموقف الشرعي من الفتن، ومن ذلك الرجوع إلى علماء الأمة الربَّانيِّين وقت الفتن، وسؤالهم عمَّا وقع من أمرٍ، وأخذ أقوالهم الموافقة للكتاب والسنَّة والعمل بها والبعد عن الأقوال المخالفة للكتاب والسنَّة، وإن قالها بعض من يدَّعي العلم فإنَّ الأصل هو الكتاب والسنَّة، لا قول فلان أو فهمه، وقد تسلَّط الشيطان على طائفة ممن يدَّعي العلم، فرفعوا أنفسهم فوق قدرها، ولبَّسوا على عوام المسلمين وشبابهم، وغرُّوهم بادعاء العلم والمعرفة والفقه والحرص على الدين والغيرة على الشرائع، فتصدَّروا مجالس الشباب، وتكثَّروا بهم، واستحوذوا على قلوبهم، فمكروا بهم من حيث لا يشعرون، وأضلُّوهم لأنهم ضالُّون.

فنجد الشاب يسَلِّم قياده لشاب مثله في السنِّ والعلم بعد أن سمع الألقاب الكبيرة التي يدعى بها كَـ((الدَّاعية)) -مثلاً-، وَ((المصلح))، وَ((القائد))، و((الإمام))، و((العلامة)) ونحو ذلك مما أن يصح أن يقال فيهم.

أسماء مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ولحرص هؤلاء المفتونين من المتصدرين على جاههم بين الشباب عمدوا إلى حيلة شيطانية وهي أنهم زَهَّدُوا الشباب في علماء الأمة

الربانيين في بعض المسائل العامة التي تهم الأمة، فتجدهم يثنون على العالِمِ بحفظه، واستحضاره النصوص الشرعية، وفقهه في الطهارة، وما يتعلق بها، وأحكام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والنكاح، والطلاق، ونحو ذلك من أبواب الفقه، وبعض المعتقد كالألوهية والأسماء والصفات، ونحو ذلك، فإذا وصل الحال إلى قيادة الأمة، والرجوع إلى هؤلاء العلماء الربانيين -كما أمر الله- في وقت النَّوازل والفتن، حاصوا بشبابهم، وضنُّوا بجاههم، فبدؤوا بالتدليس تارة، وبالتصريح أخرى الحط من قيمة فقه العلماء بهذه النَّازلة، وأنَّ الأمر ليس على ظاهره، وأن لهذه النازلة باطناً لم يطلع عليه العلماء، وإنَّما اطَّلعوا عليه هم لأن لهم اطِّلاعاً على الأحداث بواسطة الإذاعة والمجلات، أمَّا العلماء فيكفيهم ما هم فيه من أمور شرعية -كما زعموا-، وهكذا دَلَّسَ هؤلاء المفتونون على شباب الأمة فأضلُّوهم بعد أن ضلُّوا، فازدادت الفتن بهم كثرة وثباتاً، فكل ما ظهر داعية من هذا الصنف ازداد بلاءُ الأمة، وما حلُّوا ببلد إلا أفسدوه، بضرب الشباب بالعلماء، وضرب العلماء بالحكَّام، والأمة لا تصلح إلا باجتماع شباب المسلمين وعوامهم مع علمائهم تحت حكَّامهم.

فهذا الموقف من العلماء من أعظم أسباب الفتن -ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

قال الحافظ قوام السنة الأصبهاني -رحمه الله-: ((فمن نظر بعين الإنصاف علم أنه لا يكون أحداً أسوأ مذهباً ممن يدَعُ قولَ الله، وقولَ

رسوله r ،وقولَ الصحابة - رضوان الله عليهم -، وقولَ العلماء والفقهاء بعدهم ممن يبني مذهبه ودينه على كتاب الله تعالى وسنة رسوله r ، وتبع من ليس بعالم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله r كيف لا يأمن أن يكون متبعاً للشيطان، أعاذنا الله من متابعة الشيطان))[١].

فانظر - حماك الله من الفتن - كيف يؤدي ذلك إلى اتباع الشيطان - والعياذ بالله- وقديماً قيل:

ومن جعل الغراب له دليلاً　　　يمر به على جيف الكلاب

ولذلك رأينا الأمر لم يزدد بهؤلاء إلا بلاء، وربما كانت الفتنة صغيرة فصيَّرها هؤلاء –بجهلهم- كبيرة جرت على الأمة الويلات.

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ عبد الله العنقري -رحمه الله- في رسالة لهما: ((ومما أدخله الشيطان على بعض المتدينين اتهام علماء المسلمين بالمداهنة، وسوء الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، وهذا سبب لحرمان العلم النافع، والعلماء هم ورثة الأنبياء في كل زمان ومكان، فلا يتلقى العلم إلا عنهم، فمن زهد في الأخذ عنهم، ولم يقبل ما تلقَّوه فقد زهد في ميراث سيد المرسلين، واعتاض عنه بأقوال الجهلة الخابطين، الذين لا دراية لهم بأحكام الشريعة.

والعلماء هم الأمناء على دين الله فواجب على كل مكلَّف أخذ الدين عن أهله، كما قال بعض السلف: ((إن هذا العلم دين فانظروا

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/٣١١).

عمن تأخذون دينكم))[١].

فإنَّ من تعلق بظواهر ألفاظ من كلام العلماء المحقِّقين و لم يعرضها على العلماء، بل يعتمد على فهمه، وربَّما قال: حجتنا مجموعة التوحيد أو كلام العالم الفلاني، وهو لا يعرف مقصوده بذلك الكلام فإن هذا جهل وضلال...، إذا عرف هذا: تبيَّن أن الذي يدَّعي أنه يستغني بمجموعة التوحيد عن الأخذ عن علماء المسلمين مخطئ لأن النبي r ذكر أن سبب قبض العلم موت العلماء فإذا ذهب العلماء، واتخذ الناس رؤساء جهالاً، وسألوهم وأخذوا بفتواهم ضلُّوا وأضلُّوا -عياذاً بالله-))[٢].

فانظر -حماك الله من الفتن- إلى هذا الكلام الدقيق الذي يبين خطورة الاستهانة بالعلماء وتعظيم الأصاغر، وإذا كان كتاب مجموعة التوحيد وهو المؤلَّف السلفي المبني على كتاب الله، وسنة رسوله r ، لا ينبغي لطالب العلم أن يأخذ منه مباشرة، بل لا بد من دراسته على العلماء الربانيين، فكيف بمن يدعو شباب الأمة المسلمة السلفية إلى الأخذ من كتب أهل البدع والاعتماد عليها، وجعلها أصلاً لفهم كتاب الله، وفهم سنة رسوله r ، ويأمر تلاميذه بترك كلام علماء السلف الذين قدحوا فيها، وبيَّنوا فسادها وفساد معتقَدِ أصحابها، ومخالفتهم لمنهج السلف، وأنَّ أمثالهم لا يصلح أن يكون قدوة لشباب المسلمين، ومع هذا

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/١٤).

(٢) الدرر السنية (٩/١٣٣).

فلا يزال هؤلاء المفتونون يصرون على الدعاية لهؤلاء المبتدعة وكتبهم لأنهم يوافقونهم في الفهم الفاسد في الفتن الواقعة وأسباب علاجها.

فانظر أخي طالب العلم إلى كلام الإمامين وتأمَّله فإنه كلام متين، ونفيس، واحذر مَنْ دعاك إلى الاستهانة بعلماء الأمة وعظم لك المبتدعة فإنه –والله- ضال مثلهم، مبتدع مثلهم، وإن زعموا أنهم غيورون على دين الله، وأنَّ العلماء مقصِّرون في الدعوة إلى المعروف، وفي إنكار المنكر، فهو – والله - كذبٌ صراح، ولكن العالم إذا أمرَ بالمعروف، يأمر بالمعروف، وإذا نهى عن المنكر فإنَّما ينهى عنه بالمعروف لا بالمنكر، وهذه تهمة قديمة قِدَم المنافقين في الأمَّة. قال تعالى: [S T

U V W X Y [\ ] ^ _

` a b c d e f g i j k l

m n o p q r Z [التوبة: ٦٥-٦٦].

قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية: ((قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله r ، فبلغ ذلك رسول الله r ، ونزل القرآن))[1].

---

(١) تفسير الطبري (١٧٢/١٠).

ولا زال هؤلاء الصُّدَّاد عن كتاب الله، وسنة رسوله، وعلماء الأمة يكررون نفس هذه العبارات، فإن لم يستطيعوا ذكرها خوفاً من العامة دلَّسوا عليهم بما سبق من عدم معرفتهم بواقع الأمة، لعدم اطلاعهم على خفايا وبواطن الأمور، وهذا من التدليس، وإلا فعلماء الأمة أعلم من هؤلاء الشباب المفتونين بواقع الأمة، وخفايا الأمور، وبواطنها إن كان لها بواطن، وهم أكثر منهم غيرة على دين الله، وأكثر قياماً منهم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق -رحمه الله-: ((ومن أعظم أسباب التفرق والاختلاف والعدول عن طريق الحقِّ والإنصاف: ما وقع من كثير من الناس من الإفتاء في دين الله بغير علم، والخوض في مسائل العلم بغير دراية ولا فهم فإن الله - تعالى- قد حرَّم القول عليه بغير علم في أسمائه وصفاته وشرعه وأحكامه...، وهذا مصداق ما أخبر به النبي r مما يكون في آخر الزمان من قبض العلم بذهاب أهله، وظهور الجهل، واتخاذ الناس من الجهلة المفتين بالفتوى المضلة، وقال النبي r في حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال، ولكن بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا »[١].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/١٩٤-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٥٨ رقم٢٦٧٣).

ومن ذلك ما وقع من غلاة هؤلاء من اتهام أهل العلم والدين، ونسبتهم إلى التقصير، وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله سبحانه وتعالى، وكتمان ما يعلمون من الحقِّ، ولم يدرِ هؤلاء أن اغتياب أهل العلم والدين والتفكه بأعراض المؤمنين سمٌّ قاتل، وداءٌ دفين، وإثم واضح مبين قال تعالى:] ` a b c d e f g h i j k Z [الأحزاب: ٥٨]

أقلُّوا عليهم لا أباً لأبيكمُ من اللوم أو سدوا المكان الذي

فانظر - حفظك الله من الفتن - إلى هذا الكلام الذي يبين أعظم أسباب التفرق والاختلاف ألا وهو القول على الله بغير علم، وتعظيم الأصاغر وجعلهم رؤوساً، والاستهانة بالعلماء الربانيين الذين يجمع الله بهم الأمة ويوحد كلمته.

ويقول الشيخ سعد بن حمد بن عتيق -رحمه الله- أيضاً في رسالة له لبعض طلاب العلم في زمانه تحذيراً لهم من الافتراق والاختلاف باتباع الآراء والأهواء وترك اتباع العلماء الربانيين -رحمهم الله- يقول: ((ولعلكم تعلمون أن أكبر أسباب السعادة والفلاح في المعاش والمعاد الانتظام في سلك أهل الحق والرشاد، وأعظم أسباب السلامة الهرب من سبل أهل الغي والفساد.

(١) الدرر السنية (٩/١٤١-١٤٤) باختصار.

واقتباس نور الهدى من محله والتماس العلم النافع من حملته وأهله. وهم أهل العلم والدين الذين بذلوا أنفسهم في طلب الحق وهداية الخلق حتى صاروا شهوداً لهم بالهداية والعدالة وصانوا أنفسهم عن صفات أهل الغي والضلالة.

لا من سواهم من أهل الجهل والضلال الذين ضلوا وأضلوا كثيراً من العباد وتكلَّموا في دين الله بالظن والخرص، وصاروا فتنة للمفتونين، ورؤساء للجاهلين فكانوا هم وأتباعهم كالذين قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب t : أتباع كل ناعق، يميلون مع كلِّ داعٍ، لم يستضيؤوا بنور العلم،و لم يلجؤوا إلى ركن وثيق))[(١)].

فانظر -حماك الله من البدع- كيف شخَّص العلماء الربانيون الداء الذي يسبب للأمة الفتن والافتراق والاختلاف ألا وهو القول على الله بغير علم واتباع الجهلة المفتونين من أدعياء العلم الذين صاروا فتنة للمفتونين ورؤساء للجاهلين، فاحذر بعد هذا أن تسلك سبيل هؤلاء المفتونين، والرؤساء الجاهلين، والزم سبيل السلف الصالح، ففيه السلامة والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

وإياك أن تبيع آخرتك بدنيا غيرك، فتكون مطيّة لهؤلاء المتصدرين المتطلبين للتصدر والرئاسة، وليحذر هؤلاء من إضلال الناس، فإنهم عنهم يوم القيامة مسؤولون وعمَّن أضلُّوهم محاسبون.

---

(١) الدرر السنية (٩/١٤٧-١٤٨).

قال ابن قتيبة -رحمه الله-: ((ولو ردُّوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما، وضح لهم المنهج، واتسع لهم المخرج، ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة، وحب الاتباع، واعتقاد الإخوان بالمقالات، والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضاً، ولو ظهر لهم من يدعي النبوة، مع معرفتهم بأن رسول الله - خاتم الأنبياء -، أو من يدعي الربوبية لوجد على ذلك أتباعاً وأشياعاً))(١).

إذا عرفت هذا وجب عليك الحذر من هؤلاء الضُّلَّال والتمسك بما عليه العلماء الربانيون، ولا سيما في وقت الفتن فإن في ذلك السلامة والنجاة -إن شاء الله تعالى-.

هذا هو الواجب على طالب العلم، والواجب على العلماء أن يحذروا من هؤلاء المفتونين، وأن يردوا شبههم وبدعهم، فإن في ذلك نصراً لكتاب الله وسنة رسوله r ، وحماية لدين الإسلام من أن يفسده أعداؤه وأبناؤه، وهو من باب إنكار المنكر كما هو معلوم .

قال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق -رحمه الله-: ((وقد ذكرنا لكم في هذه الصحيفة وما قد سبق لكم منا ومن غيرنا من إخوانكم من أهل العلم من النصائح والمكاتبات المتضمنة للحث على لزوم جماعة المسلمين، وامتثال أمر من ولاه الله أمرهم والاقتداء بأهل العلم والدين، وقبول النصيحة منهم، وترك التفرق والاختلاف واجتناب داعي الهوى والشقاق

(١) تأويل مختلف الحديث (ص/٤٣).

والخلاف، وذِكْرِ أدلة ذلك والترغيب فيه وذم من خالفه وأعرض عنه، ما فيه كفاية لمن أراد الله به خيراً.

وأما من غلب عليه الهوى، و لم يكن قصده التماس الحق والهدى فلا حيلة فيه.

تالله ما بعد البيان لمنصف إلا العناد ومركب الخذلان[١]

حقيق من هذا شأنه أن ينتقل معه بعد الدعوة إلى الحق، والجدال إلى مرتبة العقوبة والنكال، فإنَّ الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن.

ثم ذكر لي أن بعض هؤلاء الجهلة المغرورين إذا نصحهم من عندهم من أهل العلم انتقل من بلده إلى بلد آخر قاصداً تحيزه إلى من هو من جنسه واجتماعه بمن هو على رأيه الفاسد.

وهذا من أسباب الفساد، ووقوع الشر، والاختلاف بين العباد، فينبغي عدم موافقة هؤلاء على ذلك، وإلزام كل إنسان منهم بسكنى البلد الذي هو فيه فإن كان قصده طلب الحق والعلم فعنده من يدله عليه، وعلى أهل البلدان أن يتنبهوا لذلك، وأن يمنعوا من جاءهم من هذا الجنس من السكنى عندهم إذا انتقل من بلده لهذا المقصد الرديء))[٢].

فتدبر -رحمك الله- هذا الموقف العظيم لهذا الإمام من دعاة الفتنة

---

(١) البيت من قصيدة ابن القيم -رحمه الله- الْمُسَمَّاة "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة النَّاجية" والمشهورة بِـ"نونية ابن القَيِّم".

(٢) الدرر السنية (٩/١٤٨-١٤٩).

والفرقة، وكيف شدد هذا الإمام النكير عليهم مع تظاهرهم بالإصلاح وإنكار المنكر وطلب الحق والعلم، لكنهم طلبوه من غير بابه وعملوا به في غير بابه فضلُّوا وأضلوا لذلك حذَّر هذا الإمامُ الأمَّةَ منهم، ومنعهم من استقبالهم والأنس بهم بل وطلب من ولي الأمر منعهم من الخروج من بلادهم خشية إفساد الناس، وتفريق كلمتهم.

وهذا الذي ذكره هذا الإمام -رحمه الله - من التحذير من دعاة الفتنة هو مذهب السلف الصالح -رحمهم الله- على مرِّ العصور يجده كل من نظر في كتبهم -رحمهم الله-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم، ويصلى، ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام، وصلى ، واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله، ودينه، ومنهاجه، وشرعته، ودفع بغي هؤلاء، وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية، باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب، وما فيها من الدين إلا تبعاً،

وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً وأعداء الدين نوعان: الكفار، والمنافقون، وقد أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين في قوله:] # $ % & ' Z [التوبة: ٧٣] في آيتين من القرآن، فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب، ويلبسونها على الناس، ولم تُبَيَّنْ للناس فَسُدَ أمر الكتاب، وبُدِّلَ الدين، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله، وإذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سَمَّاعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم، حتى ظنوا قولهم حقاً، وهو مخالف للكتاب، وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين، كما قال تعالى:] لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ ´ µ ¶ ¸ لَهُمْ Z [التوبة: ٤٧]

فلابد -أيضاً- من بيان حال هؤلاء، بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فإن فيهم إيماناً يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين، فلا بد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى، وأنها خير، وأنها دين، ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها))[١].

وبهذا يتضح لنا خطأ من استهان بعلماء الأمة الربانيين، وترك فتواهم

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣١-٢٣٣) باختصار.

ولا سيَّما في النوازل والفتن وتعلق بالأصاغر الذين لم يبلغوا ما بلغ العلماء من العلم والفقه في الدنيا والدين، وهذا التعلق بأمثال هؤلاء من أعظم أسباب انتشار البدع والفرق في الأمة، ولعله –والله أعلم- من أول أسباب الفتن فما خرجت الخوارج إلا بسبب هؤلاء الجهال، وما خرجت القدرية إلا بسببهم، وما خرجت الرافضة إلا بسببهم، وما خرجت المعتزلة إلا بسببهم، وهكذا إلى زماننا، هذا كم تسبب هؤلاء الجهال على الأمة من فتن وبلايا ورزايا جرَّت على الأمة ويلات وويلات كما هو مشاهد، فليحذر المسلم بعد هذا من أمثال هؤلاء المتعالمين، وليتمسك بالركن المتين علماء الأمة وجماعة المسلمين وإمامهم، وليحذر من البدع وأهلها، فإنها -والله- الداء الدفين متى ما أصابت الشباب أهلكته، حمانا الله وإياكم من مضلات الفتن، وهدانا إلى الصراط المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الثاني: إحياء الفتن الماضية وجمع الناس واتخاذ ذلك سنة وعيداً

من المواقف المخالفة لمنهج السلف الصالح - رحمه الله - في الفتن ما يقوم به بعض المنتسبين للإسلام من إحياء للفتن الماضية، وعرضها بطريقة مكذوبة مغلوطة لاستدرار عطف الناس، ورفعهم أحد المتخاصمين، وحطهم من الخصم الآخر ظناً منهم أنهم بهذا العمل الخطير يجمعون الناس، وينصرون المظلوم، وهم بهذا في الحقيقة يفرقون الأمة، ويزيدون الفتن ويحيونها، ويوغرون قلوب العامة على السابقين الذين هم برآء من كل هذه المفتريات التي لفَّقها هؤلاء الكذبة.

وإن الإنسان ليعجب، ولا ينقضي عجبه لولا إيمانه بقضاء الله وقدره من أقوام اتخذوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين يتبعوهم بإحسان، الذين -رضي الله عنهم، ورضوا عنه- المبشرين بالجنة، - وهم يمشون بين الناس أحياء - الذين أثنى الله عليهم في التوراة والإنجيل والقرآن، الذين أمرنا أن نحبهم، ونتعبد الله بحبهم، واتباع سبيلهم اتخذوهم غرضاً لألسنتهم وأحقادهم فلا تمر مناسبة إلا وطعنوا، وغمزوا فيهم، بل إنهم اتخذوا طعنهم سنة جارية لهم على مرِّ العصور حتى لقد رتبوا لهذا الطعن مواسم وأعياداً متكررة في كل عام، فما أدري -والله الذي لا إله إلا غيره- أَرَتَّبُوا للطعن في المجوس مثلها؟ أم رتَّبوا للطعن في اليهود والنصارى مثلها؟ أيطعن في السابقين الأولين دعاة الإسلام وحماته -وهم

أولياء الله وحزبه-؟ويزعم أن ذلك من الدين أليس فيكم أيها الطـــاعنون رجل رشيد؟

ما تنقمون من قوم نصروا نبيهم في المنشط والمكره، وصـــحبوه في الحضر والسفر، وفي الرَّخاء والشدة، يقاتلون عن يمينه وشماله، ومن بـــين يديه، ومن خلفه، تركوا أهلهم وأوطانهم وأموالهم في سبيله، استـــشارهم يوم بدر فقالوا: لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، بل نقاتل عن يمينك وشمالك ومن يديك ومن خلفك، ولو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منـــا رجل واحد.

ويوم أحد لَمَّا انكشف الناس بسبب اجتهاد من بعض الرماة صبروا بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله، حتى فرَّ كفَّار مكة، ورضوا مـــن الغنيمة بالإياب.

ومواقفهم المشهورة في المدينة ضد المنافقين واليهود معلومة حتى تبرؤوا من آبائهم وأحلافهم في سبيل الله، ولَمَّا اجتمعت عليهم الأحزاب صبروا حباً لله ورسوله، وما راغوا عنه روغان الثعالب يوم كربلاء بل صبروا في الشدائد، وعفُّوا في الرخاء، خرجوا إلى مؤتة لملاقاة الروم وحلفائهم فكسروا كبرياء الروم، وصار انسحاب الصحابة يوم مؤتة حديث المؤرخين والساسة كيف يسلم جيش قليل، ويرضى الجيش العظيم بانسحابه طلباً للسلامة منهم، ويوم العسرة خرج هؤلاء الصحابة -رضي

الله عنهم وأرضاهم- في أشد أوقات السنة حرارة،وهم في أمسِّ الحاجة للطعام والشراب،خرجوا رضاً لله ورسوله، وطمعاً فيما عنده، حتى أنزل الله –سبحانه- رضاه عنهم، وتوبته عن جميعهم حتى الذين تخلفوا عن هذه الغزوة فاسمع قول الله -عزَّ وجلَّ-:] © تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي ´ µ ¶ ¸ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z [التوبة: ١١٧ – ١١٨]

فيا عقلاء المسلمين، لمن الخطاب في هذه الآيات أهو للفرس أم للروم أم للمشركين ممن لم يدخل في الإسلام ذلك الزمان؟ من هم المهاجرون والأنصار الذين تاب الله عليهم الذين صحبوا رسوله في ساعة العسرة، وقاتلوا عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه فهذه شهادة الله لهم، وهذا حكم الله فيهم، أفيتجرأ من في قلبه ذرة من إيمان أن يردَّ حكم الله وشهادته؟

وهكذا سار هؤلاء المهاجرون والأنصار مع رسول الله r من أولِّ يوم من مبعثه داعين إلى الله بأيديهم وألسنتهم وأموالهم ودمائهم، حتى مات رسول الله r وهو راض عنهم، فأجمعوا أمرهم بعده على خليفته

وخيرهم بعده، فبذل وسعه وعمل جهده لعز الإسلام وأهله حتى أعاد من ارتدَّ إلى الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل، ولَمَّا مات t أكرمه الله بجوار نبيه r فهو صاحبه في الدنيا وصاحبه في البرزخ، وصاحبه يوم القيامة، ثم وليها بعده فاروق الأمة عمر فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وهدى الله على يديه الروم والفرس وقبائل العرب والعجم، وما مات حتى صار الراكب يسير من عدن إلى مكة لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولَمَّا قتل شهيداً على يد أبي لؤلؤة المجوسي - لعنه الله - بكاه المسلمون قاطبة عربهم وعجمهم، وأكرمه الله بجوار رسوله r في البرزخ كأبي بكر t ، ووالله لو لم يكن أهله لَما اختاره الله عزَّ وجلَّ لهذا المكان فأنصفوا -عباد الله-، وعودوا إلى رشدكم، واحذروا معاداة أوليائه، فإن من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالحرب، فأي ذنب ارتكبه الفاروق حتى يتخذ يوم مقتله عيداً؟

الله أكبر. من صحب رسول الله r وقاتل دونه وأعز الله به الإسلام من فتح البلاد، وحكم بالعدل بين العباد حتى أغاظ أعداء الإسلام من عظيم ما أصيبوا بسببه يتخذ يوم مقتله عيداً!! فهذا – والله - هو الجهل بعينه، والظلم بعينه.

وإنَّ من العجب أن فيمن يزعم الإسلام الآن من يعظم هذا القاتل، ويتسمَّى باسمه، ويتكنى بكنيته، ويؤلف المؤلفات إلى يومنا هذا في تشويه التاريخ لأبنائهم المساكين وهم منقادون لهم بدون بصيرة ولا حول

ولا قوة إلا بالله، فقد ألَّفوا المؤلفات، وشحنوها بالكذب والأغلوطات المخالفة لنصوص الشرع وضروريات العقل، فكم فتنة قامت، بسبب هذه المؤلفات، وكم باطل صار حقاً، وحقٍّ صار باطلاً، وسنة صارت بدعة، وبدعة صارت سنة، ودين صار كفراً، وكفر صار ديناً، كل هذا وأكثر سببه الحقد الدفين على جيل الصحابة والتابعين، الناشرين لهذا الدين، المجاهدين في سبيله، أيعقل -عباد الله- أن يختار الله لرسوله، وخليله، وحبيبه، وصفوته من خلقه أصحاباً في رخائه وشدته، وحضره وسفره، وحربه وسلمه، وإقامته وهجرته، وهم ليسوا على الجادَّة، بل هم منافقون! أعوذ بالله من الضلال، والله لا يقول هذا عاقل، فضلاً عن مسلم يؤمن بالقرآن الْمُنَزَّل على رسوله، الذي كتبه هؤلاء في ثلاث وعشرين سنة، فبسبب موقف هؤلاء من الفتن، وبسبب ظلم هؤلاء في الحكم على الصحابة، وبسبب إحيائهم لهذه الفتنة، وفرحهم بمصائب المسلمين زادت الفتن والخلافات والانقسامات بين الأمة -ولا حول ولا قوة إلا بالله- حتى فسَّق بعضهم بعضاً، وكفّر بعضهم بعضاً، فاللهَ اللهَ أخي المسلم -حماك الله من الفتن- أن تكون إمعة في دينك، فهذا كتاب الله بين يديك كيف تضل وهو يهدي للتي هي أقوم؟!، فارجع إليه وحكِّمه فيما شجر بينك وبين إخوانك المسلمين، واسأل الله

الهداية لما اختلف فيه من الحق إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم(١).

(١) نصيحتي لمن ابتلي ببغض أصحاب رسول الله r وعلى رأسهم أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية y بسبب ما سمعه من كذبٍ في حقّهم، وبسبب البيئة التي نشأ فيها، نصيحتي له أن يتقي الله، فهم أصحاب رسول الله وآله وأزواجه أمهاتهم كما قال الله، فعائشة أمك بنص القرآن، وأصحابه أولياء الله، رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن، أفيعقل أن يرض الله عنهم وتسخط أنت؟! أعاقل أنت أم غير عاقل؟! أمبصر أنت أم أعمى ؟ أسميع أنت أم أصم؟ فإن لم ينفع معك قراءة القرآن فأنصحك بالاغتسال واستقبال القبلة وقتَ السحر في مكانٍ لا يراك فيه إلا الله سبحانه وتعالى وأن ترفع يديك مخلصاً لله في الدعاء، وتقرأ فاتحة الكتاب ثم تصلي على النبي r ثم تدعو بهذا الدعاء: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »، وكرِّر هذا الدعاء وأنت متبرئ إلى الله من حولك وقوتك وعلمك إلى حوله وقوته وعلمه، وأنت مستعينٌ به -سبحانه-، ومستغيثٌ به وحده وأنت تعلم أنه لا يعين غيره، ولا يغيث غيره، ولا يهدي غيره -سبحانه وتعالى-، وقل: يا ربِّ إنك قلت عن أصحاب رسولك: { O P Q } فأعذني من ذلك، يا رب إن مليار مسلم في العالم عرباً وعجماً يشهدون لمن كفَّر أصحاب رسول الله بالكفر والخلود في النار، فأعذني من ذلك، اللهم لا تجعل أوليائك خصمائي يوم القيامة. وكرِّرْ هذا الدعاء مراراً، فإنَّ الله

ومن أعجب الأمور التي يفعلها هؤلاء إحياؤهم ليوم مقتل عمر بن الخطاب t ، وفرحهم بذلك، وجمعهم الناس للأكل والشرب واللهو.

قال الآلوسي رحمه الله: ((الثاني: إحداثهم عيد أبيهم ((بابا شجاع الدين)) الذين لقَّبوا به ((أبا لؤلؤة المجوسي)) القاتل لعمر بن الخطاب t في اليوم التاسع من ربيعٍ الأوَّل – بزعمهم، روى علي بن مظاهر الواسطي عن أحمد بن إسحاق أنه قال: ((هذا اليوم -أي يوم قتل أبي لؤلؤة لأمير المؤمنين عمر رضوان الله عليه يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية)) وأحمد القمي هذا هو أول من أحدث في الإسلام هذا العيد، وتبعه من بعده إخوته، ثم نسبوا هذا العيد للأئمة كذباً وافتراءً كما هو دأبهم في كل المذهب، مع أن هذا العيد في الأصل من أعياد المجوس، وهم فرحوا فيه حين استمعوا خبر شهادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t على يد أخيهم المجوسي المذكور. مع أن شهادته كانت في اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة بلا خلاف، ودفنه غرة محرم))[١].

ويوضِّح ذلك ما قاله نعمة الله الجزائري - من علماء الشيعة - صاحب كتاب ((الأنوار النعمانية)) تحت عنوان: ((نور سماوي يكشف

رحيم بعباده، رؤوف بهم، ولا يهلك على الله إلا هالك، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

(١) مختصر "التحفة الاثنا عشرية" (ص/٢٠٨-٢٠٩).

عن ثواب يوم مقتل عمر بن الخطاب)) حيث ذكر فضيلة ذلك اليوم ثم ساق رواية عن الإمام الحسن العسكري بسنده عن حذيفة وفيه: ((يا محمد، إني جعلت ذلك عيداً لك ولأهل بيتك، وللمؤمنين من شيعتك، وآليت على نفسي بعزتي وجلالي وعلوي في رفيع مكاني أن من وسَّع في ذلك اليوم على أهله وأقاربه لأزيدن في ماله وعمره، ولأعتقنه من النار، ولأجعلن سعيه مشكوراً، وذنبه مغفوراً، وأعماله مقبولة. ثم قام رسول الله r فدخل بيت أم سلمة، فرجعت عنه وأنا غير شاك في أمر الشيخ الثاني حتى رأيته بعد رسول الله r وقد فتح الشر، وأعاد الكفر والارتداد عن الدين، وحرَّف القرآن))[١].

وقد ترجم القمي في الكنى والألقاب أبا لؤلؤة قاتل عمر فقال: ((أبو لؤلؤة: فيروز الملقب ببابا شجاع الدين النهاوندي الأصل والمولد المدني، أخو ذكوان، وهو أبو أبي الزناد عبد الله بن ذكوان عالم المدينة الذي تقدم ذكره، رأيت في بعض الكتب أن أبا لؤلؤة كان غلام المغيرة بن شعبة، اسمه فيروز الفارسي، أصله من نهاوند، فأسرته الروم، وأسره المسلمون من الروم، ولذلك لَمَّا قدم سبي نهاوند إلى المدينة سنة ٢١هـ كان أبو لؤلؤة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه، وبكى وقال له:

---

(١) الأنوار النعمانية (١/١٠٨-١١١) بواسطة الأعياد وأثرها على المسلمين (ص/٤١٩) .

((أكل رمع كبدي [١]))، وذلك لأن الرجل أي: عمر وضع عليه من الخراج كلَّ يوم درهمين فثقل عليه الأمر، فأتى إليه[٢]، فقال له الرجل - يعني: عمر -: ليس بكثير في حقِّك، فإنِّي سمعت عنك أنك لو أردت أن تدير الرحى بالريح لقدرت على ذلك! فقال له أبو لؤلؤة: لأديرن لك رحى لا تسكن إلى يوم القيامة. فقال: إن العبد قد أوعد، ولو كنت أقتل أحداً بالتهمة لقتلته، وفي خبر آخر قال له أبو لؤلؤة: لأعملنَّ لك رحى يتحدث بها مَن بالمشرق والمغرب، ثم إنه قتله بعد ذلك. والتفصيل يطلب من غير هذا الكتاب والله العاصم))[٣].

وبهذا يعلم قولهم في تلقيب قاتل عمر أبي لؤلؤة المجوسى ((بابا شجاع الدين)) [٤].

ويعلم -كذلك - معتقدهم في الخليفة الراشد عمر بن الخطاب **t** صاحب رسول الله **r** في الدنيا والبرزخ والآخرة.

فانظر - حماك الله - من الفتن إلى هذه البدعة الشنيعة، والفرية العظيمة كيف يلقب هذا المجوسي ((أباً)) ، ويوصف بالشجاعة، ويحتفل بيوم قتله لعمر، ويتخذ ذلك سُنَّة وعيداً!! ووالله لولا ثبوت ذلك عنهم في

(١) رمعة النبت وغيره : القطعة منه. القاموس (ص/٩٣٤).
(٢) يعني: يطلبه التخفيف من الخراج.
(٣) الكنى والألقاب (١/١٤٧-١٤٨) طبع/مؤسسة الوفا – بيروت.
(٤) وانظر -كذلك-: المصدر السابق (٢/٦٣).

كتبهم لَما صدَّق العاقل أن مسلماً مهما كانت بدعته يفرح بقتل هذا المجوسي للخليفة الثاني للمسلمين، فاتح بلاد الفرس والروم، الذي ثبَّت الله به دولة الإسلام شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، ولولاه لكان هؤلاء المحتفلين على دين مزدك وماني - عبدة النار- ، الذين لا يفرقون بين الحلال والحرام.

قال ابن الأثير رحمه الله يصف حال الفرس قبل الإسلام أيام ملكهم قباذ: ((وفي أيامه ظهر مزدك، وابتدع، ووافق زرادشت في بعض ما جاء به، وزاد ونقص، وزعم أنه يدعو إلى شريعة إبراهيم الخليل حسبما دعا إليه زرادشت، واستحل المحارم والمنكرات، وسوَّى بين الناس في الأموال، والأملاك، والنساء، والعبيد، والإماء، حتى لا يكون لأحد فضل في شيء ألبتة، فكثر أتباعه من السفلة والأغتام، فصاروا عشرات ألوف، فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها إلى الآخر، وكذا في الأموال، والعبيد، والإماء، وغيرها من الضياع والعقار، فاستولى، وعظم شأنه، وتبعه الملك قباذ، فقال يوماً لقباذ: اليوم نوبتي من امرأتك أم أنوشروان، فأجابه إلى ذلك. فقام أنوشروان إليه، ونزع خفيه بيده، وقبل رجليه، وشفع إليه حتى لا يتعرض لأمه، وله حكمه في سائر ملكه، فتركها. وحرَّم ذباحة الحيوان، وقال: يكفي في طعام الإنسان ما تنبته الأرض، وما يتولد من

الحيوان، كالبيض، واللبن، والسمن، والجبن، فعظمت البلية به على الناس، فصار الرجل لا يعرف ولده، والولد لا يعرف أباه)) [١].

فعمر t هو الذي سيَّر الجيوش وجهَّزها لفتح بلاد فارس وإنقاذهم مما هم فيه من فساد عقائدي وأخلاقي واقتصادي وإدخالهم في الإسلام ليصبحوا مع العرب إخوة في الله، لا فرق بينهم وبين العرب إلا بالتقوى.

فأوَّل معركة فاصلة في زمانه t معركة القادسية سنة ١٤هـ فقد أعدَّ t الجيش، وحثَّ الناس على الجهاد، وأراد الخروج بنفسه لولا أن بعض الصحابة أشار عليه بالبقاء حماية لدولة الإسلام، فبعث سعد بن أبي وقَّاص t ، وقد كانت هذه المعركة من أهم المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام حيث هزم الفرس هزيمة منكرة بعد قتال مرير، وقتل فيها رستم أحد أكبر قوَّاد الفرس في زمانه، وتحطَّمت جيوش الفرس، وتمكَّن المسلمون بعدها من إعادة فتح معظم المناطق التي أخذها الفرس من المسلمين بعد فتحها، ثم توجَّه المسلمون بعدها إلى عاصمة الفرس المدائن، وفتحوها بعد حصار دام بضعة أشهر، ثم في سنة ٢١هـ فتحت نهاوند، وقد سُمِّي ذلك الفتح بِـ ((فتح الفتوح))، لأنه خاتمة المعارك الكبرى الفاصلة في فتوح فارس، ثم أخذ المسلمون بعدها ينساحون فاتحين في بلاد فارس حتى وصلوا إلى حدود السند [٢].

---

(١) الكامل (٣١٨/١).

(٢) الفتوحات الإسلامية عبر العصور (ص/١٢٤-١٣٣) باختصار.

هذا هو عمر بن الخطاب t الذي يحتفل هؤلاء بيوم مقتله عصبية جاهلية، وبغضاً لأولياء الله، وحباً لأعدائه؛ فلذلك أثَّر التمسك بهذه العصبية الجـــاهلية، والاحتفال بهذا اليوم على أبنائهم، فوالوا أعـــداء الله، وأبغضوا أولياءه، فضلُّوا وأضلُّوا، وزادت الفتن، واتسع الخلاف، وزادات الفرقة بين المسلمين، فهل من توبة صادقة، وهل من عاقل يعيد التفكير مرَّة أخرى والتدبُّر لعل الله أن يقي الأمة الفتن، ويجمعها على كلمة سواء، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

ومن هذه الفتن التي تحيا، ويحتفل بها، ويجمع النَّاس لها، وتستغل أسوأ استغلال في الطعن في السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله في كتابه، احتفالهم بيوم مقتل الحسين t ولا أبالغ إذا قلت: إن الاحتفال بيوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين t يُعَدُّ أعظم شعائر الرافضة منذ زمان إلى زماننا هذا، فقد بالغوا في تعظيمه، وفي تأليف المؤلَّفات في أمره، وفي الاجتماع، وفي النَّوح، بل وحتى في ضرب أنفسهم بالسيوف والآلات الحادة حتى يسيل دم أحدهم على وجهه -والعياذ بالله- في مناظر تقشَعرُّ لها الجلود، يحكون بها حال الجاهلية الأولى الذين يلطمون الخدود، ويشقُّون الجيوب، ويتعَزَّون بعزاء الجاهلية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((فلما خرج الحسين t ورأى أن الأمور قد تغيرت، طلب منهم أن يَدَعُوه يرجع، أو يلحق ببعض الثغور، أو يلحق بابن عمه يزيد، فمنعوه هذا وهذا حتى يستأسر، وقاتلوه،

فقاتلهم، فقتلوه وطائفة ممن معه، مظلوماً، شهيداً شهادة أكرمه الله بها، وألحقه بأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأهان بها من ظلمه، واعتدى عليه، وأوجب ذلك شراً بين الناس، فصارت طائفة جاهلة ظالمة، إما ملحدة منافقة، وإما ضالة غاوية تظهر موالاته، وموالاة أهل بيته، تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة، وتظهر فيه شعار الجاهلية، من لطم الخدود، وشق الجيوب، والتعزِّي بعزاء الجاهلية .

والذي أمر الله به ورسوله في المصيبة إذا كانت جديدة إنما هو الصبر والاحتساب والاسترجاع، كما قال تعالى:] ; <

= > ? @ A B C D E F G H I

J K L M N ǀ P Q R Z [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧]

وفي الصحيح عن النبي r أنه قال: « ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية »[١].

وقال: « أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة» [٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/١٦٣-مع فتح البـــاري)، ومـــسلم في صـــحيحه (١/٩٩ رقم١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود t .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/١٦٥-مع فتح البـــاري)، ومـــسلم في صـــحيحه (١/١٠٠ رقم١٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري t .

وفي المسند عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين t عن النبي r أنه قال: « ما من رجل يصاب بمصيبة، فيذكر مصيبته وإن قدمت، فيحدث لها استرجاعا إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها »[١].

وهذا من كرامة الله للمؤمنين، فإن مصيبة الحسين وغيره إذا ذكرت بعد طول العهد فينبغي للمؤمن أن يسترجع فيها، كما أمر الله ورسوله، ليعطى من الأجر مثل أجر المصاب يوم أصيب بها.

وإذا كان الله تعالى قد أمر بالصبر والاحتساب عند حدثان العهد بالمصيبة، فكيف مع طول الزمان؟! فكان ما زيَّنَه الشيطان لأهل الضلال والغي، من اتخاذ يوم عاشوراء مأتماً، وما يصنعون فيه من النَّدب، والنياحة، وإنشاد قصائد الحزن، ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير، والصدق فيها ليس فيه إلا تجديد الحزن، والتعصب، وإثارة الشحناء والحرب، وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام، والتوصل بذلك إلى سب السابقين الأولين، وكثرة الكذب والفتن في الدنيا، ولم يعرف طوائف الإسلام أكثر كذباً، وفتناً، ومعاونة للكفار على أهل الإسلام من هذه الطائفة، الضالة، الغاوية، فإنَّهَم شرٌّ من الخوارج المارقين))[٢].

وبهذا ترى أثر إقامة هذه التجمعات على الأمة، وأنَّها سبب للتعصب والشحناء والاختلاف، والحرب، والفتن بين أهل الإسلام.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/٢٠١)، وابن ماجه في سننه (١/٥١٠رقم١٦٠٠)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٣٠٧-٣٠٩) باختصار.

والمتدبِّر لتخصيصهم يوم قتل الحسين t بمزيد من الحزن، والاحتفال، والعناية عن جميع أعيادهم ومآتمهم، ومن ذلك يوم مقتل علي t ، فإنَّهم لا يحتفلون به بمعشار ما يعتنى به في مأتم الحسين، المتدبِّر لهذه العناية يجد سبب هذه العناية أموراً من أهمِّها:

الأمر الأول: التكفير أمام العامة عن خيانة الحسين t ، فإنهم راسلوه في المدينة، فلَمَّا حضر إليهم أسلموه، وراغوا عنه، وتركوه مع قلَّة من أهله وأنصاره، حتى قتل مظلوماً شهيداً t ، فهم بهذا الفعل يزعمون أنهم يظهرون الحزن والندم واللطم والضرب تكفيراً عن جناية آبائهم الخونة لآل البيت.

الأمر الثاني: أن في هذا الاحتفال تجديداً لتأصيل العداوة بينهم وبين أهل السنة، لأن الذين قتلوا الحسين يمثِّلون الدولة الأموية السنية، وإن التأكيد على ذلك يملأ قلوب العوام حقداً على أهل السنة، فيزيد بُعدُهم عنهم، ولا يقبلون دعوتهم إلى مذهبهم، لأن قلوب العامة قد ملأت حقداً، وكراهية، وبغضاً لأهل السنة، حكاماً ومحكومين، وبهذا يستطيعون السيطرة على أتباعهم الخارجين على إمام المسلمين، وجماعة المسلمين، ويدَرِّبُون أبناءهم على الثَّورة على حكام المسلمين السُّنَّة، كما ثار الحسين بزعمهم.

الأمر الثالث: أن الناس بحاجة إلى أمر جامع يجتمعون عليه، ويوالون، ويعادون عليه، فالعناية بهذه البدعة سهَّلت جمع الناس لهم، والسيطرة عليهم، ولو تهاونوا في العناية بها لتفلَّت النَّاس منهم، وفي ذلك يقول الخميني: ((إن

البكاء على سيِّد الشهداء - عليه السلام - وإقامة المجالس الحسينية، هي التي حفظت الإسلام منذ أربعة عشر قرناً))[1].

وهو يقصد بالإسلام دينه ودين الرافضة من قبله، الذين جعلوا هذا الاحتفال من أصول دينهم.

فتأمَّل - حماك الله - من الفتن هذه الأمور تجدهم يدندنون حولها، ويجمعون النَّاس عليها، غير مبالين بما يسببونه من خلاف وفساد وفتن للمسلمين.

فاحذر هذه الفتنة، وحذِّر منها، واعرف مراد القوم من العناية بها، واسلك في الفتن وغيرها سبيل المؤمنين ؛ تسلم، ويسلم دينك ودنياك. والله الموفق.

---

(١) الأعياد وأثرها على المسلمين (ص/٢٦٧).

المبحث الثالث: مفارقة الجماعة بإحداث أحزاب وجماعات فرَّقت الأمَّة.

سبق في المبحث الأوَّل من الفصل الثاني ذكر الدليل من الكتاب والسنة على وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وأنَّ هذا من أسباب النجاة من الفتن، وسبق كذلك بيان حقيقة الجماعة، وأنّ النصوصَ الشرعيةَ قد دلَّت على أن الجماعة جماعتان لا تضاد بينهما:

الأولى: الجماعة العلمية: وهم أصحاب رسول الله r والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالواجب على المسلم أن يلزمَ مذهبهم، ويتقيَّدَ بفهمهم، ولا يخالفهم في شيء من أمور الدين أبداً، وهذه جماعة واحدة وفهم واحد، لا يمكن أن يتعدد.

الثانية: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أميرٍ وجبَ عليهم طاعته، وحرُمَ عليهم معصيته، ووجب عليهم الالتزامُ بهذه الجماعة، وعدم الخروج عنها لما في ذلك من الأمن والسلامة للفرد والأمة [١].

والأصل في هذه الجماعة أن تكون واحدة كالجماعة الأولى، كما كان الخلفاء الراشدون y، ولكن بحسب الواقع الإسلامي فقد تعدَّدت الأمراء والأقاليم الإسلامية، وأصبح لكل إقليم إمام، ولكل بلد حاكم،

---

(١) انظر ما سبق (ص/٦٨)

ولذلك وجب على كل بلد، وكل إقليم طاعة أميرهم المتغلِّب عليهم بالمعروف، وعدم الخروج عليه لِمَا في ذلك من المفسدة في الدين والدنيا، وعند وقوع الفتن يبادر العلماء الربَّانيُّون إلى كتاب الله، وسنَّة رسوله r مسترشدين بهما، باحثين فيهما عن المخرج الصحيح من هذه الفتنة والنَّازلة، مقتدين في ذلك بسلف الأمة الصالح - رحمهم الله- وقد مرَّ بعض مواقفهم من الفتن فيما سبق.

وكذلك يعمد العلماء الربَّانيُّون إلى أهل الحلِّ والعقد فيهم، وإلى أولياء أمورهم الذين ولاَّهم الله أمرهم، فيذكرون لهم أمر الفتنة، ويحَمِّلونهم مسؤوليَّة علاجها، ويعينونهم على ذلك في السرِّ والعلن، وهم مع ذلك كلِّه يدعون الله آناء الليل وأطراف النَّهار أن يكشف هذه الكربة عن الإسلام وأهله، وهذا هو الدواء النَّافع، والعلاج النَّاجع في وقت الفتن - إن شاء الله تعالى -.

أما من خالف هذا المنهج السلفي، وأصبح وقت الفتن يتخبَّط شرقاً وغرباً يبحث عن علاج لِمَا أصابه في غير كتاب الله ولا سنَّة رسوله r شاذاً منفرداً عن علماء المسلمين وإمامهم، فهو بهذا الشذوذ يضرُّ نفسه وأمَّته من حيث يدري أو لا يدري، فكم عانت الأمَّة من هؤلاء المتعالمين الذين نصَّبوا أنفسهم حماة ودعاة للأمة، وجعلوا أنفسهم أهلَ حلٍّ وعقدٍ بدون إذن من عامَّة المسلمين وخاصَّتِهم، وكم عانت الأمَّة بسببهم من فتن وفرقة وخلاف، بل كم سالت الدِّماء، وانتهكت الأعراض، وضاعت

الأموال بسببهم، كما يشاهده كلٌّ من تدبَّر حال المسلمين وقت الفتن والنَّوازل . وكلٌّ هذا بسبب هؤلاء الجهلة الذين سَمَّاهم النبي r « الأئمة المضلِّين »[(١)].

وأوَّلُ تَحَزُّبٍ وخروج عن جماعة المسلمين وإمامهم ما حدث من المرتدين أيام أبي بكر الصديق، وقد نصر الله الإسلام بأبي بكر، فعزم على قتال هؤلاء المتحزِّبين المفارقين لجماعة المسلمين، وشرح الله صدره لذلك، وأجمع الصحابة على ذلك، فقاتلهم t حتى أعادهم بالقوَّة إلى جماعة المسلمين وإمامهم، طائعين ملتزمين بكل شرائع الإسلام، تاركين ما يخالف ما عليه جماعة المسلمين من أقوال وأعمال .

ثم كان التحزُّب والخروج الثاني على جماعة المسلمين وإمامهم أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان t ، حيث عجز أعداء الإسلام من يهود ومجوس ونصارى الوقوف أمام الفتح الإسلامي لبلادهم، فعمدوا إلى حيلة عظيمة، وهي حربُ الإسلام بأيدي أبنائه، ولذلك تظاهر منهم مَن تظاهر

---

(١) ورد هذا في عدة أحاديث منها حديث ثوبان t قال: قال رسول الله r : « إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين » قال: وقال رسول الله r : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله » رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٧٨)، وأبو داود في سننه (٤/٩٧رقم٤٢٥٢)، والترمذي في سننه (٤/٥٠٤ رقم٢٢٢٩) وقال: حديث حسن صحيح، والدارمي في سننه (١/٨٠رقم٢٠٩)، وابن حبان في صحيحه (١٥/٢٢٠رقم٧٢٣٨).

بالإسلام، ثم بدأ في بثِّ الدعاية الكاذبة على إمام المسلمين، مستغِلِّين جهل بعض شباب المسلمين بأصول الدين، وحقوق الإمام على الرعية، وبطريقة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .

ومنهم من ضاق صدره حسداً على ما أنعم الله به على عثمان من مال وثراء أنفقه في سبيل الله، فتألَّبَ عليه أقوام لأحقاد اعتقدوها ممن طلب أمراً فلم يصل إليه، وحملهم على ذلك قلة علم ودين، وضعف إيمان ويقين، وإيثار العاجلة على الآجلة، فاخترعوا له ذنوباً، وما زالوا يكررونها على قلوبهم حتى صدَّقوها، وتفنَّنوا في إذاعتها، حتى انتهى بهم ذلك إلى جمعِ النَّاس وتحزيبهم، وملءِ قلوبهم حقداً على أهليهم وذويهم، فعزموا على خلع البيعة والطاعة، ومفارقة الجماعة بدعوى إصلاح ما اعوجَّ من أحكام زعموها على ذلك الإمام وهو منها براء، حتى انتهت هذه العصبية الجاهلية، وهذه الغضبة الشيطانية باستحلال دم أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين، صهر النبي r على ابنتيه، المبشَّر بالجنة وهو يمشي بين الأحياء رضي الله عنه، وأرضاه.

تولَّى كِبْرَ هذه الجريمة أقوام منهم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي طاف أرجاء البلاد الإسلامية باحثاً فيها عن أغرار جُهَّال، ينفث فيهم سمومه، إفساداً للإسلام ، وتفريقاً للأمة فحدث ما حدث من خروج هؤلاء الشُّذَّاذ على جماعة المسلمين وإمامهم، جهلاً منهم بخطورة هذا الأمر الذي لا زالت الأمة تعاني منه حتى يومنا هذا، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

وهكذا نرى أثر مفارقة الجماعة على الأمة، ولعل الداعين إلى هذه الأحزاب الخارجة عن جماعة المسلمين قد دخل فيهم أمثال عبد الله بن سبأ من حيث لا يشعرون، وإن المتدَّبِّر لحال بعض الجماعات الخارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم يرى مشابهة هذه الجماعات لجماعة عبد الله بن سبأ في كثير من المقاصد والوسائل والدعاوى والافتراءات والتعالم والحسد. نسأل الله عزَّ وجلَّ الحماية والعصمة.

فاحذر -حفظك الله - أن تُستَغَلَّ من حيث لا تشعر، فتكون باب شرٍّ لأمتك، ويؤتى الإسلام من قِبَلِك وأنت لا تشعر.

ثم إن هذا الحزب انقسم بعد ذلك إلى حزبين حزب تظاهر بحبِّ علي t وآل بيته، وحزب تظاهر بالغيرة على الإسلام، والدفاع عنه ممن أفسده بزعمهم، وهم حكام المسلمين وأئمتهم.

فأما **الحزب الأوَّل** فقد انحازوا إلى علي t في تلك الفتنة لا حبّاً فيه، ولا تأييداً ونصراً، وإنَّما زيادة في الفرقة والشقاق، وحبّاً في التفرُّق والاختلاف(١).

وكان الأمر يزداد كل يوم بهم شدة، والأمة ضعفاً وفرقة حتى جرى بسبب هذا الحزب الخارج عن جماعة المسلمين ما جرى من حروبٍ وفتنٍ وبدعٍ ونشرٍ للشرك المخرج من الملة في بلاد المسلمين حتى يومنا هذا، وكلُّ ذلك بسبب أعداء الإسلام الْمُنْدَسِّين، وبسبب جهل المسلمين

---

(١) "إيران" لمحمود شاكر (ص/٤٢).

التَّاركين لليقين من كتاب الله، وسنة رسوله، وسيرة السلف الصالح، وضروريَّات العقل، والمتَمَسِّكين للأسف الشديد بأكذوبات روَّجها دعاة هذا الحزب من قديم، ولا زالوا يلوكونها على أتباعهم دون أن يكون منهم عاقل يغار لكتاب ربِّه، وسنة نبيِّه وآله وأزواجه وأصحابه.

وهكذا نرى خطر هذه الأحزاب وشدَّة تأثيرها على عوام المسلمين وجهلتهم مما يوجب الحذر الشديد منها، والوقوف ضدها بكل قوَّة.

ومثل هذا الحزب المفارق لعقيدة الجماعة جميع من خرج عن جماعة المسلمين وعقيدتهم، وابتدع عقيدة جديدة فارق بها عقيدة السلف، أو أراد الإصلاح بزعمه لكن بغير هدي النبي r ، ويدخل تحت هذا الحزب جميع الفرق الإسلامية المفارقة لجماعة المسلمين، كالصوفية، والمتكلِّمين، ونحوهم، وكذلك يدخل تحت هذا الحزب مَنْ فارق الجماعة بترك بعض ما أمر الله به من أمور الدين، كمن ترك التحاكم إلى كتاب الله، وسنة رسوله، بدعوى أنهما لا يصلحان لهذا الزمان، ورأى أنَّ الإصلاح لا يكون إلا بتتبع خُطا أوربا النصرانية، كالعلمانيين، والبعثيين، ونحوهم ممن فارق عقيدة جماعة المسلمين وإمامهم، وإن كانوا لم يفارقوهم بأبدانهم حتى الآن، لكنهم سيفعلون ذلك قطعاً متى ما أتيحت الفرصة، حمَى الله المسلمين منهم، ورَدَّ كيدهم في نحورهم إنه قوي عزيز.

وأما **الحزب الثاني**، فقد سلك -بزعم- مسلك الإصلاح والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والغيرة على الإسلام، وعلى شرائع الإسلام، وعلى أموال الإسلام، وقد ورد في السنة أنَّ أوَّل مَن زعم الحرص على مال المسلمين من هؤلاء كان معترضاً على رسول الله r ، وطاعناً في عدله وقسمه المال بين المسلمين.

قال جابر بن عبد الله: أتى رجل رسولَ الله r بالجعرانة، منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله r يقبض منها يعطي الناس. فقال: يا محمد، اعدل. قال: « ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل، قد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب t : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق . فقال: « معاذ الله، أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إنَّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية »[١].

ففي هذا الحديث دليل على أنَّ هذا الحزب الخارج عن جماعة المسلمين له جذور تصل إلى عهد النبي r ، وأنَّ الشيطان قد دخل عليهم قلوبهم حتى أفسدها، فرفعوا أنفسهم فوق مكانها، وتكبَّروا على عامة المسلمين وخاصتهم، حتى طعنوا في حكم رسول الله r ، ثم حكم الخلفاء بعده حتى قتلوا عثمان t ، ثم قــتلوا علياً t ، ثم عاثوا في الأرض فساداً يقتلون، وينهبون باسم الدين، والدين وأهله منهم في بلاء على مرِّ السنين.

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/٧٤٠رقم١٠٦٣).

ولا يزال فكر هذه الجماعة المارقة موجوداً عند بعض المفتونين ممن يزعم الإصلاح في العالم الإسلامي اليوم دون أن يتعلَّم منهج السلف رحمهم الله في هذا الباب العظيم مع أمراض قلبية ظهر أثرها على جوارحهم من تعالمٍ وافتيات، وحب للرئاسة والظهور - نعوذ بالله من ذلك -.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((ومما ينبغي أن يعلم ؛ أنَّ أسباب هذه الفتن تكون مشتركة، فَيَرِدُ على القلوب من الواردات ما يمنع القلوب عن معرفة الحق وقصده، ولهذا تكون بِمَنْزِلَة الجاهلية، والجاهلية ليس فيها معرفة الحق ولا قصده، والإسلام جاء بالعلم النافع، والعمل الصالح، بِمَعْرِفَة الحق وقصده، فيتفق أنَّ بعض الولاة يظلم، فلا تصبر النفوس على ظلمه، ولا يمكنها دفع ظلمة إلا بما هو أعظم فساداً منه، ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه، ودفع الظلم عنه ؛ لا ينظر في الفساد العام الذي يتولد عن فعله، ولهذا قال النبي r : « إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» [1].

فقد أمر النبي r المسلمين بأن يصبروا على الاستئثار عليهم، وأن يطيعوا ولاة أمورهم وإن استأثروا عليهم، وأن لا ينازعوهم الأمر.

وكثير ممن خرج على ولاة الأمور، أو أكثرهم؛ إنَّما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار، ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوبٌ أخرى، فيبقى بغضه لاستئثاره يعظم تلك السيئات، ويبقى المقاتل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١١٧/٧-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (١٤٧٤/٣رقم١٨٤٥) من حديث أنس بن مالك t .

له ظاناً أنه يقاتله، لئلا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حرَّكَه عليه طلب غرضه: إما ولاية، وإما مال))[١].

فانظر -حماك الله من الفتن- إلى هذه الفقه الدقيق بواقع الأمة، وإلى هذه الفراسة الإيمانية، فقد عرف -والله- السبب الحقيقي الذي يفارقُ بسببه كثِيْرٌ ممن يتظاهر بالإصلاحِ الجماعةَ؛ ألا وهو المال، وحُبّ الرئاسة والشهرة، وعدم طاعة الله ورسوله بالصبر تحت جماعة المسلمين وإمامهم، وإن ظلم وجار، واستأثر بالجاه والمال، فإنَّ في الخروج عن الجماعة إضاعة للمال والدين، كما وصف رسول الله r الخوارج بمروقهم من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، وهم بزعمهم ما خرجوا وتحزَّبوا وقاتلوا إلا نصرةً للدين، لكنَّ الله فضحَ مقاصدهم، أو أنَّهم قالوا على الله بلا علم، فعملوا بجهلٍ، فضلُّوا، وأضلُّوا، وكان ما أفسدوه أكثر مما أصلحوه، كما هو مشاهد في هذه الأحزاب الخارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم في زماننا هذا، وقد أنكر علماء هذه البلاد المباركة هذه الجماعات الخارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم، ولاسيَّما في بلادنا هذه، وحذَّروا النَّاس من الدخول فيها، والانتساب إليها، وإن كان ظاهرها لمن لم يعرف باطنها حسناً، فإنَّ أهل العلم أعلم الناس بخطورة هذه الجماعات على الأمة.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله:- "حاول أعداء هذه الدعوة أي السلفية التي تدعو للتمسُّك بجماعة المسلمين وإمامهم أن يقضوا عليها

(١) منهاج السنة (٤/٥٣٨-٥٤١) باختصار.

بالقوة فلم ينجحوا، وحاولوا أن يقاوموها بالتشكيك، والتضليل، والشبهات، ووصفها بالأوصاف المنفِّرة، فما زادها إلا تألُّقاً، ووضوحاً، وقبولاً، وإقبالاً. ومن آخر ذلك ما نعايشه الآن من وفود أفكار غريبة مشبوهة إلى بلادنا باسم الدعوة على أيدي جماعات تتسمَّى بأسماء مختلفة مثل: جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، وجماعة كذا وكذا، وهدفها واحد، وهو أن تزيح دعوة التوحيد، وتحل محلَّها، وفي الواقع أنَّ مقصود هذه الجماعات لا يختلف عن مقصود من سبقهم من أعداء هذه الدعوة المباركة كلهم، يريدون القضاء عليها لكن الاختلاف اختلاف خطط فقط، وإلا لو كانت هذه الجماعات حقاً تريد الدعوة إلى الله فلماذا تتعدى بلادها التي وفدت إلينا منها؟ وهي أحوج ما تكون إلى الدعوة والإصلاح، تتعداها وتغزو بلاد التوحيد تريد تغيير مسارها الإصلاحي الصحيح إلى مسارٍ معوجٍّ، وتريد التغرير بشباها، وإيقاع الفتنة والعداوة بينهم، لأنهم رأوا ما تعيشه بلادنا من الوحدة والتلاحم بين قادها، وبين أفرادها وجماعتها، رأوا في بلادنا دولة إسلامية في عقيدها ومنهجها، تحكم بالشريعة وتقيم الحدود، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. فأرادوا أن يسلبوها هذه النعمة، ويجعلوها كالبلاد الأخرى تعيش الفوضى، وفساد العقيدة، وإلا فما هو هدفها من غزو بلادنا بالذات، والتركيز عليها، وترك البلاد الفاسدة.

وإذا كانت هذه الجماعات قد غررت ببعض شبابنا فتأثروا بأفكارها وتَنَكَّروا لمجتمعهم وتشكَّكوا في قادهم وعلمائهم وانطفأت الغيرة على العقيدة فيهم، فتركوا الاهتمام بها، وصاروا يهرفون بما لا يعرفون، وينعقون بما يسمعون.

فإن في هذه البلاد -ولله الحمد رجالاً يغارون لدينهم، ويدافعون عن عقيدهم، ويردُّون كيد الأعداء في نحورهم، ولا ينخدعون بالأسماء البَرَّاقة، ولا يتأثرون بالحماس الكاذب [(١)].

هكذا وقف علماء الأمة الربانيون الحريصون على وحدة الأمَّة، العالمون بما يصلحها ويفسدها، في وجه هذه الدعوات الخارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم، ووالله ما استفادت الأمة من هذه الجماعات منذ تأسيسها إلا الضعف والفرقة، والشقاق، والخلاف، من أناس تكبَّروا على منهج السلف بل وحاربوه بكل قوَّة، حتى وصل بهم الحال إلى الطعن في دعاة السلفية، وتأليب الشباب الأحداث ضدَّهم، وتنفيرهم من دعوهم، لكنَّ الله –بفضله ومِنَّته ناصرٌ من ينصره، ولا تزال طائفة من هذه الأمَّة منصورة، فلا يضرُّها من خذلها، ولا من عاداها حتى يأتي أمر الله.

ومن المناسب أن أذكر هنا حديث حذيفة t في الفتن، فإنَّه أصل عظيم في هذا الباب.

---

(١) حقيقة الدعوة إلى الله تعالى - المقدمة -.

قال حذيفة t : ((كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافةَ أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: « نعم » قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: « نعم، وفيه دخن » قلت: وما دخنه؟ قال: « قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم، وتنكر » قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: « نعم، دعاة على أبواب جهنم، مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها » قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: « هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا » قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت: فإن لم يكن لهم جماعة، ولا إمام؟ قال: « فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك »[(١)].

فهذا الحديث العظيم يأمر فيه النبي r بالتمسك بجماعة المسلمين وإمامهم وقت الفتن، ويحذر فيه من دعاة الخلاف والفرقة، فإن فرض في آخر الزمان خلو الزمان من جماعة المسلمين وإمامهم، فالواجب على المسلم أن يترك - أيضاً - كلَّ هذه الدعوات التي تدعو لنفسها وحزبها وجماعتها، وأن يعتزلها، وأن يفر بدينه من الفتن، ولو لم يجد إلا شجرة فليعضَّ بأصلها، حتى يدركه الموت فراراً من هذه الجماعات والفرق.

---

(١) سبق تخريجه (ص/٢٦).

فهل بعد هذا التحذير من تحذير، فاحذر -حماك الله من الفتن من هذه الجماعات والفرق، فإنَّ فيها الهلاك، وخسارة الدنيا والآخرة، وإن تظاهر أهلها بنصرة الإسلام، فإنهم أتوا الأمر من غير بابه فضلُّوا، وأضلُّوا

قال الآجري رحمه الله: ((وقد ذكرت من التحذير عن مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله عزَّ وجلَّ الكريم عن مذهب الخوارج، ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة، وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله العظيم كشفَ الظلم عنه، وعن جميع المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحجَّ معهم، وجاهد معهم كلَّ عدو للمسلمين، وصلى خلفهم الجمعة والعيدين، وإن أمروه بطاعتهم فأمكنه طاعتهم أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، وإن دارت بينهم فتنة لزم بيته، وكفَّ لسانه ويده، ولم يهو ما هم فيه، ولم يُعِن على فتنته، فمن كان كل هذا وصفه كان على الطريق المستقيم إن شاء الله تعالى))[١].

وبهذا يتبين لك خطأ من فارق الجماعة وقت الفتن، وأحدث في دين الله، وحزَّب الناس، وفرَّقهم، وأنَّ الواجب الحذر من هؤلاء، والتحذير منهم، فإن فسادهم على الإسلام وأهله عظيم، يرى ذلك من تدبَّر حال هذه الفرق والجماعات منذ خروجها عن جماعة المسلمين إلى يومنا هذا. والله الهادي إلى الصراط المستقيم .

(١) الشريعة (ص/٣٧).

وقد سئل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله السؤال التالي عن الجماعات الإسلامية وبه نختم هذا المبحث نسأل الله أن ينفع به:

((ما واجب علماء المسلمين حيال كثرة الجمعيَّات والجماعات في كثير من الدول الإسلامية غيرها، واختلافها فيما بينها حتى إن كل جماعة تضلل الأخرى، ألا ترون من المناسب التدخل في مثل هذه المسألة بإيضاح وجه الحقِّ في هذه الخلافات، خشية تفاقمها، وعواقبها الوخيمة على المسلمين؟))

فأجاب رحمه الله: ((إن نبينا محمداً r بيَّن لنا درباً واحداً يجب على المسلمين أن يسلكوه وهو صراط الله المستقيم، ومنهج دينه القويم، يقول الله تعالى: [J K L M N P Q R S T U V X Y Z [\ Z [الأنعام: ١٥٣]. كما نهى ربُّ العزة والجلال أمة محمد r عن التفرق واختلاف الكلمة؛ لأن ذلك من أعظم أسباب الفشل، وتسلط العدو كما في قوله جلَّ وعلا [A B C D E F Z [آل عمران: ١٠٣].

وقوله: [J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a c d e f g h Z [الشورى: ١٣]

فهذه دعوة إلهية إلى اتحاد الكلمة وتآلف القلوب. والجمعيَّات إذا كثرت في أي بلد إسلامي من أجل الخير والمساعدات والتعاون على البرِّ والتقوى بين المسلمين دون أن تختلف أهواء أصحابها فهي خير وبركة، وفوائدها عظيمة، أما إن كانت كل واحدة تضلل الأخرى، وتنقد أعمالها فإن الضرر بها حينئذ عظيم، والعواقب وخيمة. فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة، ومناقشة كل جماعة أو جمعية، ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده، ودعا إليه نبينا محمد r ، ومن تجاوز هذا واستمرَّ في عناده لمصالح شخصية، أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم، وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم يضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله جل وعلا:

T S R Q P N M L K J [

Z \ [Z Y X V U [الأنعام: ١٥٣].

ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً ؛ لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك، والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة

المسلمين، وتشتيت شملهم، وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحقِّ وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه))[١].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/١٣٦).

المبحث الرابع: التسرع بتكفير الأمة عامتها وخاصتها، والتركيز في ذلك على ولاة أمور المسلمين

هذا الموقف هو في الحقيقة ثمرة الموقف الذي قبله، فإنَّ من فـــارق جماعة المسلمين وإمامهم، واتبع خطوات الشيطان، سيقوده الشيطان حتى يوصله إلى هذا الأمر الخطير ألا وهو تكفير المسلمين، ولاسيَّما أهل الحل والعقد فيهم كالعلماء والحكام، وهذه نتيجة طبعية لمن خرج عن منـــهج السلف الصالح رحمهم الله، واتبع هواه .

وإليك أخي - حماك الله من الفتن - ملخصاً لمذهب السلف - رحمهم الله - في مسألة التكفير:

١- خطورة هذه المسألة، ووجوب الاحتياط الشديد عند الكلام فيها، فإنَّ تكفير المسلم أعظم من إراقة دمه، ولِما يترتب على هذه المسألة من أمور عظام كاستحلال دمه، وتطليق نسائه، ورفع ولايته عن نسائه، ومنع إرثه، والحكم بخلوده في النار، ونحو ذلك من أمور عظام.

٢- أن الخوض في هذه المسألة بلا علم يؤدي إلى فتن عظام، كما حدث أيام الصحابة **y** عندما خاض الجهال في هذه المسألة بلا علم، فكفَّروا عثمان **t**، وقتلوه، وكفَّروا علياً **t**، وقتلوه، وكفَّروا غيرهما وحاولوا قتله كمعاوية وعمراً، ولكن الله سلَّمهما، وكما حدث من الخوارج المارقين الذين كفَّروا المسلمين واستحلَّوا دماءهم وأموالهم فقامت

بسبب جهلهم لهذا الأصل فتن عظام، وأريقت دماء المسلمين، ولا زال أفراخهم على فكرهم الخارجي الفاسد المارق من الدين إلى يومنا هذا.

٣- الكفر حكم شرعي، فليس لأحد أن يفتات على الله ورسوله في هذه المسألة الخطيرة، يُكَفِّرُ بهواه بل لابد من ثبوت أن هذا الفعل مكفِّر بنص الكتاب والسنة لا برأي فلان ولا بهوى فلان.

قال ابن القيم –رحمه الله-:

الكفر حق الله ثم رسوله بالنص يثبت لا بقول فلان

من كان رب العالمين قد كفراه فذاك ذو كفران

٤- أن معرفة الأمور المكفِّرة من غير المكفِّرة ليس لعامة الناس، وإنما هو خاصٌّ بالعلماء الربانيين السائرين على منهج السلف الصالح، فليست المسألة هينة حتى يتجرأ على الحكم فيها من لا يميِّز بين الأمور المكفِّرة من غيرها، والجهل بهذه المسألة جعل كثيراً من الخوارج يكفرون المسلمين بأمور ليست مكفِّرة فأخطؤوا من وجهين:

الوجه الأول: اعتقادهم ما ليس بكفر كفراً.

الوجه الثاني: تكفيرهم النَّاس على ذلك.

وإن المتدبِّر لحال المسلمين اليوم يجد تساهلاً خطيراً في هذا الباب، فبمجرد أن يتعلم أحدهم شيئاً من الدين بادر – مباشرة - إلى تكفير النَّاس عامتهم وخاصتهم، وهذا كلَّه بسبب الجهل، وخوضه فيمالا يحسنه.

فإذاً لا يجوز أن يخوض في هذا الأمر الخطير إلا العلماء الرَّبَّانيُّون السائرون على منهج السلف -رحمهم الله- أما من عداهم من أهل البدع والافتراق والجهال فلا قيمة لأحكامهم أبداً، فنحن لا نأخذ بأقوالهم في أمور الدين الصغيرة لعدم ثقتنا بعلمهم، فكيف نأخذ بأقوالهم في هذه الأمور العظيمة، فليتنبه لهذا فإنه مهم جداً. والله الهادي.

٥- وجوب التفريق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، وبين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، والنفاق الأكبر والنفاق الأصغر.

٦- الكفر الأكبر أنواع: منها: كفر الجحود، وكفر التكذيب، وكفر الإباء، وكفر الإعراض، وكفر الشك، كفر النفاق، وكفر الاستهزاء، ونحو ذلك.

٧- أما الكفر الأصغر فهو كل معصية سمَّاها الشارع كفراً تنفيراً منها مع بقاء اسم الإيمان لصاحبها، نحو الفخر بالأنساب، و الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، والحكم بغير ما أنزل الله، وإتيان المرأة وهي حائض، وإتيان المرأة في دبرها، ونحو ذلك . وهذا التفريق مأخوذ من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

٨- التفريق بين الكفر المطلق، والكفر المعين، فإنَّ من ثبت إسلامه بيقين، ثم أتى بعض الأمور المكفرة، فإنه لا يحكم بكفره إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة، وانتفاء الموانع، وإثبات الشروط، شأنه شأن أي حكمٍ شرعي. فكل من اتُّهِم بتهمة فالأصل براءته منها حتى تثبت عليه

ثبوتاً شرعياً عند الحاكم بإقراره أو شهادة الشهود عليه، أو نحو ذلك من الأمور المعلومة.

فكذلك التكفير، بل هو أخطر من التُّهَمِ العادية، فلا يثبت بمجرد التُّهمة والظن، بل لا بد من إثبات ذلك إثباتاً شرعياً.

٩- وجوب التَّمَسُّكِ في هذا الأمر الخطر بهدي السلف الصالح، ولا سيَّما في هذا الزمان حيث انتشرت الأهواء والبدع والجماعات الخارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم . وقد اتخذوا تكفير المسلمين وسيله يجمعون بها الجهَّال من المسلمين، فاحذر - حماك الله من الفتن- من هذا المُنْزَلَق الخطر، والزم ما كان عليه سلف الأمَّة، ومن دعا بدعوتهم، وتَمَسَّكْ بمنهجهم.

١٠- أن غاية هؤلاء المفتونين الخارجين عن جماعة المسلمين وإمامهم من تكفير أئمة المسلمين؛ زرعُ اليأس في قلوب ناشئة المسلمين وإخراجهم عن الركن الآمن جماعة المسلمين وإمامهم، حتى يسهل بعد ذلك اصطيادهم واستعمالهم فيما يريدون من فساد وإفساد، لأن الذئب إنَّما يأكل من الغنم القاصية.

فاحذر -رعاك الله- أن يأكلك الذئب، والزم جماعة المسلمين وإمامهم تسعد في الدنيا والآخرة.

١١- أن المتَدَبِّر لحال عامَّةِ هذه الفرق الخارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم يجد اجتماعهم على أمر واحد فقط، مع اختلافهم الظاهر في

أمور كثيرة هذا الأمر الخطير الذي أجمعوا عليه هو تكفيرهم لأئمة المسلمين وأولياء أمورهم، وتكفيرهم لعلماء الأمَّة الذين يخالفونهم، ويحذرون النَّاس منهم، ويقفون سداً منيعاً لحماية الأمة من فتن هؤلاء. يجد هذا كلُّ مَن جالسهم، واستمع إلى محاضراتهم، وقرأ مجلاتهم ورسائلهم، واستمع إلى إذاعاتهم على اختلاف لغاتهم وأماكنهم وأحزابهم وجماعاتهم، فقد أجمعوا على تكفير من ينتسب إلى منهج السلف في هذا الزَّمان من أئمة المسلمين وعامَّتهم. ردَّ الله كيدهم في نحورهم، وحمى الله المسلمين وأئمتهم وجماعتهم من شرِّهم

[J K L M O P Q R Z [الحج: ٤٠].

هذا ملَخَّصٌ لِمَنهج السلف الصالح -رحمهم الله- في هذا الباب الخطر، وهذا منهج المخالفين، فعليك بمنهج السلف، واحذر المخالفين، فإنَّ في ذلك السلامة في الدنيا والآخرة.قال تعالى: [> ?

@ A B C D E F G H I J K L

M N O Q R Z [النساء: ١١٥].

وبسبب الجهل بهذه المسألة قامت الفتن الكبار في هذا الزمان بين هذه الجماعات، وحكام المسلمين، فتسبَّبَت بإراقة الدماء، وانتهاك الأعراض وإضاعة الأموال، ولا مخرج من هذه الفتن إلا بالرجوع الأكيد إلى منهج السلف الصالح -رحمهم الله-، والتِزامه، والتمسُّك به، والعض عليه بالنواجذ، والله -سبحانه وتعالى- الهادي إلى الصراط المستقيم، والعاصم من الفتن.

المبحث الخامس: استباحة دماء المسلمين المخالفين.

وهذا الموقف هو ثالثة الأثافي بالنسبة للموقفين قبله، فإنَّ كلَّ مـــن فارق الجماعة مكفِّراً لها سيصل - ولا شك - إلى هذا الأمر الخطر، وهو قتال المسلمين واستباحة دمائهم ؛ عامتهم وخاصتهم، وهذا أمر مجمع عليه -كذلك -بين أهل الأهواء، والبدع الخارجين عـــن جماعـــة المـــسلمين وإمامهم، فقد استحلُّوا دم عثمـــان t ، ثم دم علـــي t ، ثم عـــاثوا في الأرض فساداً مستحلِّين دماء المسلمين، ولَمَّا قامت لبعضهم دولة استحلُّوا دماء المخالفين لهم من علماء المسلمين، كما حصل في فتنة خلق القـــرآن من المعتزلة، فقد استباحوا دم الإمام أحمد، ولكنَّ الله سلَّمه، وقتلوا عدداً من العلماء في هذه الفتنة، مستبيحين لدمائهم، وهذا شأن أهل البـــدع في كلِّ زمان ومكان.

قال أبو قلابة -رحمه الله-: ((إن أهل الأهواء أهل الضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا النار، فجَرِّبْهم؛ فليس أحد منهم ينتحل قولاً، أو قال حديثاً فيتناهى به الأمر دون السيف وإن النفاق كان ضروباً، ثم تلا:

[c d e f Z [التوبة: ٧٥]، [K L M N O Z [التوبة: ٥٨]، [وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ Z [التوبة: ٦١]، فاختلف قولهم، واجتمعوا في الشك والتكذيب، وإنَّ هؤلاء اختلف قولهم،

واجتمعوا في السيف، ولا أرى مصيرهم إلا النار)) قال أيوب: وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب - يعني: أبا قلابة[١].

وعن سلام بن أبي مطيع قال: رأى أيوب رجلاً من أهل الأهواء فقال: إني أعرف الذِّلة في وجهه، ثم قرأ:] Y Z [\

] ^ _ ` a b c d ؛ f g

h Z [الأعراف: ١٥٢] ثم قال: هذه لكل مفتر.

قال: وكان أيوب يسمي أهل الأهواء كلهم خوارج، ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف[٢].

وعن سفيان الثوري قال: ((اتقوا هذه الأهواء المضلة)). قيل له: بيِّن لنا رحمك الله. قال سفيان: ((أما المرجئة فيقولون: الإيمان كلام بلا عمل، من قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فهو مؤمن مستكمل الإيمان، على إيمان جبريل والملائكة، وإن قَتَلَ كذا وكذا مؤمن، وإن ترك الغسل من الجنابة، وإن ترك الصلاة، وهم يرون السيف على أهل القبلة))[٣].

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١/٥٨رقم١٠٠)، والآجري في الشريعة (١/٦٤)، واللالكائي (١/١٣٤).

(٢) رواه اللالكائي (١/١٤٣رقم٢٨٩).

(٣) شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص/٢٧رقم١٥).

وقال البربهاري -رحمه الله-: ((واعلم أن الأهواء كلها رديئة تدعو إلى السيف، وأردؤها وأكفرها الرافضة والمعتزلة والجهمية، فإنّهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة))[١].

وهذا الاتفاق من هذه الفرق المتضادة على هذا الأمر اتفاق عجيب، فكيف يجتمع الرافضي مع الناصبي الخارجي، وكيف يجتمع الخارجي والمعتزلي مع المرجئ، فإنَّ هذه المذاهب متناقضة متضادة في كثير من عقائدها، لكنها اجتمعت وتوحَّدت على الحق وأهله، فخرجت عن جماعة المسلمين، وكفَّرتهم، واستحلَّتْ دماءهم، وهذا هو الجامع المشترك بين أهل الأهواء كلهم.

وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة - رحمهم الله - هو الذي نشاهده في هذا الزمان.

فقد تنوعت أسماء الفرق والجماعات الخارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم، و لكنَّهم اجتمعوا على تكفير جماعة المسلمين وإمامهم، وإذا حصلت لهم قوَّة وسلطان، فإنَّهم - ولا شكَّ- يستحلون دماء المسلمين، وقد وقع لذلك - أمثلة - في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها، فازدادت الفتنة بهذا الخروج والقتال كثرة وقوَّة، وعمَّ البلاء بسببهم بلاد المسلمين، ولو أنَّهم سلكوا في هذه الفتن مذهب السلف -رحمهم الله- لسلموا وسلم المسلمون من شرِّهم.

---

(١) شرح السنة (ص/٥٤) .

وعن عمرو بن يزيد قال: سمعت الحسن أيام يزيد بن المهلب يقول: -وأتاه رهط- فأمرهم أن يلزموا بيوتهم ويُغلقوا عليهم أبوابهم. ثم قال: والله لو أنَّ الناس إذا ابتلوا مِن قِبَلِ سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله عزَّ وجلَّ ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فَيُوكَلون إليه...، والله ما جاؤوا بيوم خير قط ثم تلا:] وَتَمَّتْ ´ µ ¶ ¸ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ Z [الأعراف: ١٣٧]))[١].

قال الآجري -رحمه الله -: ((لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة لله ولرسوله r وإن صلُّوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم. لأنَّهم قوم يتأوَّلون القرآن على ما يهوون، ويُمَوِّهون على المسلمين، وقد حذَّرنا الله عزَّ وجلَّ منهم، وحذَّرنا النبي r ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذَّرناهم الصحابة y، ومن تبعهم بإحسان -رحمة الله تعالى عليهم- والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلُّون قتل المسلمين))[٢].

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (ص/٣٨).

(٢) الشريعة (ص/٢١-٢٢).

وقال -رحمه الله-: ((ومما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله -عزَّ وجلَّ-:] t u v w x y z { | Z [المائدة: ٤٤] ويقرؤون معها:] + , - . / Z [الأنعام: ١] فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحقِّ قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربِّه فقد أشرك، فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت، لأنهم يتأوَّلون هذه الآية))(١).

وقال -رحمه الله -:((فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان الإمام أو جائراً، فخرج، وجمع جماعة، وسلَّ سيفه، واستحلَّ قتال المسلمين ؛ فلا ينبغي أن يُغْتَرَّ بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج))(٢).

وهكذا أجمع السلف - رحمهم الله- على ذمِّ أهل البدع والتحذير منهم، وبيان سوء عاقبتهم، وأن نهايتهم الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم، واستحلال دمائهم.

فاحذر –حماك الله من الفتن- منهم، فإنَّهم قوم سوء، فقد حذَّرك الله منهم، وحذَّرك رسولك r منهم، وحذَّرك الخلفاء الراشدون منهم،

---

(١) الشريعة (ص/٢٨).

(٢) الشريعة.

وحذَّرك الصحابة والتابعون والسلف منهم، فاحذر ما حذَّرك الله منه، وما حذَّرك رسوله منه، وما حذَّرك الصحابة والسلف منه، فإنه لا يهلك على الله إلا هالك.

ونختم هذا المبحث بذكر بعض الأحاديث المحذِّرة.

قال الإمام مسلم -رحمه الله-: ((باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

ثم ذكر بسنده عن حذيفة t أن النبي r قال: « يكون بعدي أئمة، لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس » قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: « تسمع، وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع، وأطع » [١]

وعن أبي هريرة t عن النبي r أنه قال: « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات؛ مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّةٍ، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل؛ فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده ؛ فليس مني، ولست منه » [٢].

---

(١) صحيح مسلم (١٤٧٦/٣رقم١٨٤٧).

(٢) صحيح مسلم (١٤٧٦/٣رقم١٨٤٨).

وعن عرفجة قال: سمعت رسول الله r يقول: « إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان »[(١)].

وعن أم سلمة: أنَّ رسول الله r قال: « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع » قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: « لا. ما صلوا »[(٢)].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وإنَّما القصد التنبيه ببعضها حتى يتنبه النبيه، ولا ينساق خلف هؤلاء الخوارج المستحلين لدماء المسلمين، فإنَّهم سيقودونه إلى خسارة الدنيا والآخرة قال تعالى: [c d e f g h i j k l m n o p q r Z [النساء: ٩٣] نسأل الله الحماية من هذه الفتن، إنَّه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) صحيح مسلم (١٤٧٩/٣رقم١٨٥٢).

(٢) صحيح مسلم (١٤٨٠/٣رقم١٨٥٤).

المبحث السادس: إحداث التَّجمُّعات الغوغائيَّة أو ما يسمَّى بالمظاهرات الجماعية

إذا وقعت الفتن - نعوذ بالله منها- رجع كل إنسان إلى ثوابته ليبحث عن مخرج من هذه الفتن، وثوابت الأمة كتاب الله، وسنة رسوله r مع لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولكنَّ بعض المفتونين لم تعجبهم هذه الثوابت، ولم يعجبهم الرجوع إلى أهل الحلِّ والعقد لأنَّهم ليسوا منهم، فعمدوا إلى البحث عن ملجأ آخر يلجؤون إليه وقت الفتن، ولشدة معرفتهم للواقع - بزعمهم - استوردوا حلولاً من خارج بلاد الإسلام، ظانِّين أنَّ فيها الحلَّ للفتن الواقعة في الأمَّة، ويا سبحان الله، لو كان عند هؤلاء الكفرة الغربيين والشرقيين مخارج من الفتن، فلماذا لم يخرجوا أنفسهم منها، وهم غارقون في الفتن، والتي أعظمها الكفر بالله عزَّ وجلَّ، وإضاعة دينهم، وإضاعة أعراضهم، ودمائهم، وأموالهم وعقولهم، ولكن] فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ Z [الحج: ٤٦].

وهؤلاء لَمَّا لم يأخذ أهلُ الحلِّ والعقد في بلاد المسلمين بأقوالهم الباطلة عمدوا إلى عوام المسلمين، وهيَّجوهم على أهل الحلِّ والعقد من العلماء والأمراء، مستغلِّين حبَّ عوام المسلمين للإسلام، وحرصهم على نصرته، والجهاد في سبيله، استغلُّوا ذلك كلَّه أسوأ استغلال، فملؤوا قلوب

عوام المسلمين حقداً على علمائهم وأمرائهم، وصوَّروا لهم الأمور على خلاف ما هي عليه، ثم أمروهم بأمور لا قِبَلَ لهم بها، ولا قدرة لهم عليها، وجعلوا ذلك لازماً عليهم، وأنَّ ذمَّتهم لا تبرأ أمام الله يوم القيامة إلا بإصلاح ما فسد في الأمَّة بأنفسهم، على طريقتهم، ومن ذلك إخراجهم في تجمُّعات غوغائية، ينادون، ويصرخون، ويضربون كلَّ من وقف في طريقهم، ويفسدون كلَّ ما وجدوه أمامهم من سيَّارات وأموال ونحو ذلك، في مسيرة حاشدة صارخة، يستعرض بها منَظِّموها قوَّتهم أمام أهل الحل والعقد، مشكِّلين بذلك جبهة ضغطٍ - بزعمهم - على أهل الحلِّ والعقد، حتى ينالوا مرادهم من تغيير، أو مال، أو نحوه.

وإذا سلمت المظاهرة من هذه الفوضى فإنَّها لا تسلم من استعراض القوَّة والضغط على أهل الحلِّ والعقد، ومن خروج المسلمين مع الكافرين، وخروج النساء المسلمات أمام الرجال الأجانب، حتى يختلط الحابل بالنَّابل، ولتباين المشاركين في هذه التظاهرات، فإنَّ المتدبِّر العاقل يكاد يشك في غاية هؤلاء المنظمين لهذه المظاهرات.

ولنقصر القول على المظاهرات التي تقام في الدول الإسلامية، لأنَّ المظاهرات التي تقام في الدول الغربية ما هي في الحقيقة إلا خدعة يَخْدَعُ بها أهلُ الحل والعقد في بلاد الغرب والشرق عوامَّهم، فإذا أرادوا فرض شيء، أو تغيير شيء، أو التنصل من شيء ؛ عمدوا إلى عوامِّهم، وهم يسمُّونهم الرأي العام، فدلَّسوا عليهم، وحسَّنوا لهم المطالبة بما خططوا له،

ثم ينفذون ما يريدون، والعوام يظنُّون أنَّهم نفَّذوه طاعة لهم بسبب هذه المظاهرات، وهم في الحقيقة قد خططوا لهذه المظاهرات لتنفيذ ما أرادوا.

وقد تكون هناك مظاهرات في بعض الأوقات بسبب التنافس على الرئاسة بين الأحزاب السياسية، فكل حزب يخْرج أتباعه في استعراض للقوَّة، ثم يفوز في النهاية أكثَرُهم مالاً، وأقربُهم للقوى الخفيَّة الحاكمة، بغض النَّظر عن كثرة أنصاره من العوامِّ وقلَّتهم، يعرف هذا كلٌّ مَنْ تدبَّر حال الغرب من سنين عديدة.

فبان لنا أنَّ هذه المظاهرات لا تقدِّم شيئاً، ولا تؤخره، وإنَّما هي خدعة يخدعون بها عوامَّهم، أو ما يسمَّى الرأي العام، ثم ينفِّذون ما أرادوا، رضي العوام أم سخطوا.

أما المظاهرات في البلاد الإسلامية فعامَّة الأنظمة الإسلامية الحاكمة تمنع قيام هذه المظاهرات إلا بشروط تحدِّدها هذه الدول، كلٌّ حسب ما يراه جالباً للمصلحة، ودافعاً للمفسدة.

ولكنَّ هذه المظاهرات القائمة في الدول الإسلامية وإن خرجت - أحياناً - بإذن الحاكم فإنَّها تنتهي -غالباً - بمصائب وفواجع، وإفساد، وإراقة للدماء دون أن تجلب أيَّ مصلحة للأمة تقابل هذه المفاسد العظام التي جلبتها وسبَّبتها.

وإنَّ النَّاظر في بعض هذه المظاهرات التي قامت في بعض الدول الإسلاميَّة يرى فيها تقليداً للكفَّار في طريقة جلب المـــصلحة، أو دفـــع

المفسدة، وهذا عند المسلمين يمثل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن المعلوم أنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لا يكون بهذه الطريقة الغربيةِ، لأنَّ لدى المسلمين طرقاً وأصولاً للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ليست المظاهرات واحدة منها.

ثمَّ إنَّك ترى في هذه المظاهرات دعاية واضحةً للمنَظِّم لهذه المظاهرة، فهي إن قامت بأمر الدولة المنظِّمة، فهذه المظاهرة داعية لهذه الدولة، ولحاكم هذه الدّولة، ورفع صورة ضخمة له فوق الرؤوس، ومدحه، والثناء عليه بأوصاف لعلها لا تجتمع حتى في الخلفاء الراشدين y، في صراخ وعويل، أشبه بحال المجانين، فأيُّ فائدة للإسلام والمسلمين من هذا الكذب والفوضى؟!

وإن كان المنظِّم لهذه المظاهرة حزباً أو جماعة خارجة عن ذلك الحاكم فإنَّ ما يحدث هو الدعاية الواضحة لهذه الأحزاب والجماعات، ورفع أعلامها وشعاراتها، ومدح قادتها، ورفع صورهم فوق الرؤوس،في كذبٍ واضح، وتطاول فاضح.

مع شيء عجيب آخر وهو اجتماع الأحزاب المتناقضة في هذه المظاهرات - عادةً-، فهذا حزبٌ شيوعي، وهذا حزبٌ علمانيٌّ، وهذا حزب تكفيري ينتسب إلى المسلمين من أهل السنة والجماعة، وهذا حزبٌ تكفيري ينتسب إلى الرافضة، يخرج هؤلاء كلُّهم في جماعة واحدة، كلٌّ

يرفعُ علمه وشعاره، وصورة قائده وإمامه، وكلَّما كبر العلم وكبرت الصورة زادت الدعاية المضلِّلَة لهذا الحزب الخارج عن الجماعة.

ثم بعد يومٍ طويلٍ مليء بالأحداث والمصادمات، وربَّما الدماء يرجع كلُّ ناعق وصارخ إلى بيته كما خرج منه، بعد أن أفسد في بلاده ما أفسد، وبعد أن قُتِل بسببه من قُتِل، وجُرِح من جُرِح، يرجع خالي الوفاض من كلِّ نصرٍ، فلا الإسلام نصروا، ولا الكفر كسروا، بل للبدع أحدثوا، ولأهل الباطل رفعوا.

ولذلك فلا فائدة ولا مصلحة للإسلام والمسلمين من هذه المظاهرات ألبتة، ولا دليل عليها من كتاب الله، ولا من سنة رسوله r ، ولا عمل السلف الصالح - رحمهم الله -.

وإنَّما الذي دلَّت عليه النصوص الشرعية أنَّ الأمَّة إذا حزبها أمر، وأراد أهل الحل والعقد فيها إعلام الناس بما حدث، وأمرهم بالاستعداد أو نحو ذلك أن يجمع إمامُ المسلمين النَّاسَ، ثم يأمرهم بما أراد أو ينهاهم عمَّا أراد، أو ليبيِّنَ لهم المخرج من فتنة حدثت أو يتخوف عليهم حدوثها، ثم يرجع النَّاس سالمين في أنفسهم، عالمين بما يراد منهم، مستعدِّين لِما قد يحدث فيهم دون أي ضرر أو فساد .

وإليك - حماك الله من الفتن - بعض الأحاديث الدَّالة على ذلك.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما – قال: ((لما انكسفت الشمس على عهد رسول الله r ، نودي بـــ ((الصلاة جامعة))،

فركع رسول الله r ركعتين في سجدة، ثم قام فركع ركعتين في سجدة، ثم جُلِّيَ عن الشمس، فقالت عائشة: ما ركعت ركوعاً قط، ولا سجدت سجوداً قط كان أطول منه[١].

فهذا الأمر العظيم الذي حصل للمسلمين، وخاف النَّاس بسببه، وخاضوا فيه وفي الحكمة منه، فأمر النبي r أن ينادى ((الصلاة جامعة))، فلَمَّا اجتمع الناس صلَّى بهم صلاة الكسوف، ثم خطبهم، وبيَّن لهم الحكمة من هذه الآيات، وأرشدهم إلى ما فيه نفعهم وقت الكسوف، فاجتمعوا، وصلُّوا، ودَعَوا، فكشف الله عنهم الغُمَّة دون أيَّ ضرر لَحِقَ بالأمَّة.

وعن أبي موسى الأشعري t قال: خسفت الشمس في زمن النبي r، فقام فزعاً يخشى أن تكون الساعة، حتى أتى المسجد، فقام يصلي بأطول قيام وركوع وسجود، ما رأيته يفعله في صلاة قط، ثم قال: « إن هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده، فإذا رأيتم منها شيئاً فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره »[٢].

فهذا هو الذي يعمل وقت الفتن؛ رجوعٌ إلى الله، وتوبة، واجتهاد في العبادة، واستغفار، ودعاء حتى يكشف الله -سبحانه- الكرب.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٦٢٧/٢رقم٩١٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٦٢٨/٢رقم٩١٢).

وعن خالد بن سُمَيْر قال: قدم علنيا عبد الله بن رباح الأنصاري، وكانت الأنصار تُفَقِّهه، فأتيته وقد اجتمع إليه ناس من الناس، فقال: حدثنا أبو قتادة فارس رسول الله r قال: بعث رسول الله r جيش الأمراء، قال: « عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة »، فوثب جعفر فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما كنت أرغب أن تستعمل علي زيداً، فقال: « امض، فإنك لا تدري في أي ذلك خير »، فانطلقوا، فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله r صعد المنبر، وأمر أن ينادي: الصلاة جامعة، فقال: «ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ انطلقوا، فلقوا العدو، فأصيب زيد فاستغفروا له، فاستغفر له الناس، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، فشدَّ على القوم حتى قتل، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فثبتت قدماه حتى قتل، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، و لم يكن من الأمراء هو أمَّر نفسه» ، ثم رفع رسول الله r ضبعيه، ثم قال: « اللهم هو سيف من سيوفك، انتصر به»، فمن يومئذ سمي خالد بن الوليد: سيف الله[١].

وعن أنس t أنَّ النبي r نعى زيداً وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: « أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٥٢٢/١٥).

فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب -وعيناه تذرفان-، حتى أخذها سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم » [١].

وهذا الحديث نصٌ فيما يفعله المسلمون وقتَ النَّوازل والفتن، فقد جمعهم رسول الله r ، ثم حدَّثهم بحديث الجيش الغازي الذي يقاتل الرُّوم، وما لاقى من شدَّة وبلاء حتى فتح الله عليهم، ونجَّاهم من عدوِّهم، فانحاز المسلمون بقيادة خالد t ، ورجعوا إلى المدينة.

وعن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم، فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله r في سفر فنَزلنا منْزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره[٢]، إذ نادى منادي رسول الله r : ((الصلاة جامعة))، فاجتمعنا إلى رسول الله r فقال: « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإنَّ أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحبَّ أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة ؛ فلتأته منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/٥١٢-مع فتح الباري).

(٢) جشره بفتح الجيم والشين وهي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها.

الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر »، فدنوت منه فقلت له: أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله r؟، فأهوى إلى اليسرى، وقلبه بيديه، وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي. فقلت له: هذا ابن عمِّك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا، والله يقول: [9

C BA @ ? > = < ; :

Z Q P ONM K J I G F E D

[النساء: ٢٩] قال: فسكت ساعة، ثم قال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله(١).

وهذا الحديث -كذلك- دليلٌ على واجب ولاة الأمور وقت الفتن، وهو جمع النَّاس، ولا سيَّما أهل الحلِّ والعقد فيهم، وإعلامهم بما ينفعهم وينجيهم وقت الفتنة والنَّازلة.

فإذا فرض أنَّ إمام المسلمين لم يجمع الناس كما جمعهم رسول الله r، فعلى كل مسلم حينئذٍ أن يدخل بيته، وأن يستقبل القبلة مصلياً وداعياً، حتى يكشف الله - سبحانه وتعالى- الغمة، هذا هو الواجب على أفراد المسلمين إذا ضيَّع الإمام الواجب عليه.

(١) رواه مسلم في صحيحة (١٤٧٢/٣).

فإن كان المسلمون في بلد غير إسلامي، ولا إمام لهم أمكن حينئذٍ أن يقوم المسؤول عن المسلمين في ذلك البلد بجمعهم في أحد المساجد، فيصلون، ويدعون، حتى يكشف ما بهم، فإنَّ جَمْعَهم في المساجد مع إخوانهم المسلمين أولى من جمعهم في الشوارع مع اليهود، والنصارى، والرافضة، والتكفيريين، ونحوهم من أهل الضلال . والله الهادي إلى الصراط المستقيم.

ومن أعظم الشنائع والفضائع التي وقعت في تاريخ المسلمين تلك الهجمة المزدكية التترية على بيت الله الحرام - تحت ستار البراءة من المشركين وهم هم- التي وقعت في عام ١٤٠٧هـ، ولولا أن حابس الفيل عن مكة حبسهم عنها لحصل للمسلمين من البلاء والمحن ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، ولكنَّ الله بفضله ومنته أعان أولياء أمورنا و وفقهم الله للتصدي لهذه الهجمة المزدكية التترية، فسلم بذلك بيت الله الحرام، وهذا مثال لبعض المظاهرات الواقعة في العالم الإسلامي.

وإليك -حفظك الله من الفتن- بيان هيئة كبار العلماء في استنكار هذه الهجمة التترية المزدكية:

بيان هيئة كبار العلماء حول أعمال الشغب التي قام بها بعض الحجاج الإيرانيين في موسم حج عام ١٤٠٧هـ:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واتَّبع سنته إلى يوم الدين. وبعد:

فقد اطلع مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية على الأحداث المؤسفة التي قام بها بعض الحجاج الإيرانيين بعد صلاة العصر من يوم الجمعة السادس من شهر ذي الحجة لعام ١٤٠٧هـــ من تجمُّعات ومسيرة صاخبة، تعطَّل بسببها خروج المصلين إلى منازلهم ومصالحهم، وتعرقلت حركة المرور، وتوقَّف السير فجأة في الشوارع والطرقات، مما أدى إلى تدخل الحجاج والمواطنين المحتجزين عن الحركة مع الحجاج الإيرانيين في محاولة لإقناعهم بإخلاء الشوارع، ورفض المسيرة إلا أنَّ الحجاج الإيرانيين أصروا على استكمال مسيرتهم الغوغائية رغم جميع المحاولات السلمية الهادئة التي بذلها الحجاج الآخرون على مختلف جنسياتهم وكذا المواطنون سقط خلالها المئات من القتلى والجرحى من النساء والرجال حجاجاً ومواطنين. وإن المجلس ليستنكر هذا العمل ويشجبه، لِما فيه من إيذاء المسلمين من الحجاج وغيرهم في هذا البلد الحرام في الشهر الحرام، ولكونه وسيلة إلى ما لا تحمد عقباه من قتل النفوس، ومضايقة الناس وغير ذلك من أنواع الأذى والظلم، كما يُحَمَّل الإيرانيين مسئولية ما نشأ عن عملهم هذا من مفاسد وفتن. ولا شك أن هذا العمل مخالف لأمر الله سبحانه لمن أراد الحج بقوله:] ! "

/ . - , + *) (' & % #

0 Z [البقرة: ١٩٧] والواجب على المسلم أن يلتزم بما أمر الله به، ورسوله r من الأخلاق الكريمة، والمعاملة الطيبة لإخوانه المسلمين.

ولقد عظَّم الله سبحانه وتعالى بيته الكريم، وجعل له من الخصائص ما ليس لغيره من الأمكنة والبقاع، فقال سبحانه:] وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً Z [البقرة: ١٢٥] ، وتوعَّد من أراد الإلحاد فيه بالعذاب الأليم بقوله سبحانه:] < = > ? @ A B C D Z [الحج: ٢٥] قال ابن عباس t : الظلم هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك. اهـ.

وقد حرم الله سبحانه إيذاء المؤمنين والمؤمنات في كتابه الكريم في كل مكان وفي كل زمان، فكيف بإيذائهم في البلد الأمين، وفي وقت أداء المناسك، لاشك أن هذا يكون أشد إثماً، وأعظم جرماً، قال سبحانه:

[` a b c d e f g

h i j k Z [الأحزاب: ٥٨] وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى مشروعية الحج ومنافعه بقوله:] W X Y Z [\

] ^ _ ` a b c d e f g

h i j k l m n o p q r

s t ، v w x y z { |

} ~ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ © اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ Z [الحج: ٢٧-٣٠] إلى قوله سبحانه] فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ Z [الحج: ٣٠] إلى قوله سبحانه] 8 9 : ; < = > ? @ Z [الحج: ٣٢].

فهذه هي أوامر الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته لحجاج بيت الله الحرام: لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ولا استهانة بحرمات الله، ولا تلفظاً بقول الزور، بل ذكر الله وتعظيم لحرماته وشعائره.

وبذلك يعلم أن ما فعله بعض الحجاج الإيرانيين بأعمالهم الاستفزازية مخالف لأوامر الله وتوجيهاته التي وردت في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين.

فالواجب على جميع علماء المسلمين وحكامهم وقادتهم إنكار ذلك وشجبه ليعلم كل أحد تحريم هذا العمل وبشاعته ومخالفته لشرع الله، وسوء ما يترتب عليه من العواقب الضارة بالمسلمين من الحجاج وغيرهم وعلى المتظاهرين أنفسهم.

وبذلك يعلم حكام إيران أن الواجب عليهم منع حجاجهم من هذا العمل السيئ، وعدم تشجيعهم عليه لما تقدم من الأدلة الشرعية، والمعاني المرعية، والعواقب السيئة المترتبة على ذلك.

كما يعلم أن الواجب على حكومة هذه البلاد وفقها الله منع مثل هذا العمل، وعدم التمكين منه بالطرق التي تراها كفيلة بذلك حماية لحجاج المسلمين وغيرهم من المواطنين من الأذى والظلم وغير ذلك مما يترتب على هذه الأعمال المخالفة للشرع من العواقب الوخيمة.

وبهذه المناسبة فإن المجلس حين يستنكر هذا الحادث ويشجبه يوصي جميع حجاج بيت الله الحرام بتقوى الله وتعظيم حرماته، والتعاون على البر والتقوى، وعطف بعضهم على بعض، وإحسان بعضهم إلى البعض الآخر، والحذر من كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم، أو يشغلهم عن أداء مناسكهم على الوجه الذي شرعه الله، والله المسؤول أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويصلح أحوال المسلمين في كل مكان، ويصلح قادهم، ويمنح الجميع الفقه في دينه والثبات عليه،وأن يوفق ولاة أمر هذه البلاد لكل ما فيه صلاح الأمة وسعادها، وتسهيل أمور الحج للمسلمين، وأن يضاعف مثوبتهم على ما قدموه من إحسان وتسهيل وأن يزيدهم من فضله، وينصر بهم الحق، إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

هيئة كبار العلماء

عبد الرزاق عفيفي	**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**
سليمان عبيد	**عبد المجيد حسن**
إبراهيم بن محمد آل الشيخ	**صالح بن غصون**
محمد جبير	**صالح بن محمد اللحيدان**
عبد الله بن غديان	**راشد بن خنين**
عبد الله بن منيع	**حسن بن جعفر العتمي**
عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ	**محمد الصالح العثيمين**
عبد الله البسام	**صالح الفوزان [١].**

فانظر -حماك الله من الفتن- إلى هذه المظاهرات كيف وصلت بهم إلى حدِّ استحلال بيت الله الحرام الذي لم يحلِّه الله لأحد، وإنَّما أحلَّه ساعة من نهار، فأي مصلحة كانت ترجى للإسلام لو احتل هؤلاء المزادكة الرافضة بيت الله الحرام - نعوذ بالله منهم- وأرغم الله أنوفهم بأنصار الإسلام حكام هذه البلاد، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وهذه المظاهرات مثال لِمَا يقع من مظاهرات في بلاد المسلمين، فكم أفسدت هذه المظاهرات من أموال، وهتكت من أعراض، وأراقت من دماء، فاحذرها - حماك الله-، واحذر دعاتها فإنهم يريدون الظهور، وأنَّهم قادة معظَّمون فينالوا بهذه الدعاية شيئاً من الدنيا فتبيع دينك بدنيا

---

(١) مجلة البحوث العلمية عدد٢ (ص/٣١٧-٣٢٠).

غيرك، فإن أصابتك فتنة أو أصاب الأمة نازلة فلا تلجأ إلى هؤلاء وأفكارهم، والجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فإنَّه –سبحانه- أهل لكشف الغمَّة، وتفريج الكربة وحده لا شريك له، قال تعالى:] أَمَّن © ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ ´ µ ¶ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ Z [النمل: ٦٢].

وعليك بمنهج سلف الأمة فإن فيه السلامة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:] ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . / 0
1 2 3 4 5 6 8 9 : Z
[التوبة: ١٠٠]

المبحث السابع: الإفساد في البلاد الإسلامية بالتخريب والتفجير ونحو ذلك

وهذا الموقف مبني على الموقف قبله فإنَّ هؤلاء المفتونين إذا جمعوا النَّاس، وهيَّجوهم، وصوَّروا لهم هذا التَّجمُّع بصورة الجهاد وأنَّهم هم المجاهدون، وأنَّ مَن يخالفهم من العام والخاص حلال الدم والمال والعرض. فإنَّ هذا التَّجَمُّع لن ينتهي - ولا شك - بسلام، بل لن ينتهي إلا بعد أن تراق الدماء، وتنتهك الأعراض وتخرب الأموال، كما حصل من الرافضة في الموقف السابق، فإن لم يكف هذا الفساد الواقع بعد هذه التَّجمُّعات في التخفيف من الحقد الموجود في قلوب هؤلاء المفتونين، بدؤوا مرة أخرى بنقل هذا الحقد من قلوبهم إلى قلوب شباب صغار، لا حول لهم ولا قوَّة، حتى إذا ملؤوها بهذا الحقد، صوَّروا لهم واقعهم بصورة تبعث على اليأس من الإصلاح بالطرق الشرعية، ثمَّ وسوسوا لهم أنَّ الإصلاح لا يكون إلا بالقوَّة والعنف، فخطَّطوا لهم تخطيط إبليس لكفار مكة حتى إذا نفَّذ هؤلاء المساكين ما خطط لهم، فإما قتلوا في الفور، وإما قبض عليهم بعد وأودعوا السجون، وعُذِّبوا، أو قتلوا مع من قُتل، نكص هؤلاء على أعقابهم كما نكص إبليس، وتبرؤوا منهم، وتظاهروا بأنهم لا يؤيدون التغيير بالقوة والعنف، وما أفسد الشباب - والله الذي لا إله إلا هو- إلا هم، فإن استخفوا عن النَّاس فلن يستخفوا عن الله . ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة قال تعالى:

N M L K J I H G F E D [

Z Y X W V U T R Q P O

h g e d c b a ` _ ^] \ [

i Z [الأنفال: ٤٨].

وهم بهذه الأعمال -ولا شك- مخالفون لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة التي حرمت دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم إلا بحقِّها.

فاحذر - حماك الله من الفتن - من هذه الموبقات، فإنَّ فيها الهلكة في الدين والدنيا، وإليك بيان هيئة كبار العلماء في تحريم مثل هذا العمل والتحذير منه:

بيان من هيئة كبار العلماء:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف، ابتداء من تاريخ ١٤١٩/٤/٢هـ ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية، وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وتخريب المنشآت، ونظراً إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة ؛ وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمْنهم واستقرارهم، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك

نصحاً لله، ولعباده، وإبراء للذمة وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر في ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة .

ولَمَّا كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله ؛ لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لِمَا يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مِمَّا يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذر النبي r من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: « أيُّمَا امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال؛ وإلا رجعت عليه »[١].

وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أنَّ هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الإرث، سببه القرابة -مثلاً- وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠/٤٦٦-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (١/٧٩ رقم٦٠) من حديث عبد الله بن عمر t .

وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: « اللهم أنت عبدي وأنا ربك »؛ أخطأ من شدة الفرح(١).

والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة: من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة.

وإذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشد؛ لِمَا يترتب عليه من التمرد عليهم، وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي r من منابذهم، فقال: « إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان »(٢).

فأفاد قوله: « إلا أن تروا »: أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة.

وأفاد قوله: «كفراً» أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر ؛ كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار، والاستئثار المحرم.

وأفاد قوله: « بواحاً» أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح؛ أي: صريح ظاهر.

وأفاد قوله: « عندكم فيه من الله برهان »: أنه لا بد من دليل

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/٢١٠٤رقم٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك t .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٧-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (٣/١٤٧٠رقم١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت t .

صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة.

وأفاد قوله: «من الله» أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منـــزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله، أو سنة رسوله r . وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول: أن التسرع في التكفير له خطره العظيم؛ لقول الله -عزَّ وجلَّ-: [P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l Z [الأعراف: ٣٣].

ثانياً: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ: من استباحة الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعاً بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها.

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم، وأعراضهم، وأبدانهم، وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلغ به النبي r أمته، فقال في خطبة حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛

كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا » ثم قال r : « ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد» متفق عليه[(١)] .

وقال r : «كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه»[(٢)]، وقال عليه r : « اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » [(٣)].

وقد توعد الله سبحانه من قتل نفساً معصومة بأشد الوعيد، فقال سبحانه في حق المؤمن:] c d e f g h i j k l m n o p q r Z [النساء: ٩٣]، وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ:] E F G H I J K L M N O P Q R Z[النساء: ٩٢].

فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قتل عمداً، فإنَّ الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر. وقد صح عن رسول الله r أنه قال: « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/١٩٩-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (٣/١٣٠٥رقم١٦٧٩) من حديث أبي بكرة t .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/١٩٨٦رقم٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة t .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/١٩٩٦رقم٢٥٧٨) من حديث جابر t .

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/٢٧٠-مع فتح الباري) من حديث عبد الله بن عمرو t .

ثالثاً: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله **r** وخطورة إطلاق ذلك، لما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام برئ منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة؛ فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله.

قال الله تعالى:] ? @ A B C D E F
G H I J K L M N O P Q R S T
U V W X Y Z [\ ] ^ _
` a b c d e f g h i j k l m
n Z [البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦].

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق، والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله -سبحانه وتعالى-:] وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ Z [المائدة: ٢].

وقال سبحانه: [a b c d e g h i j k l m n o p q r t u v x y z { Z [التوبة: ٧١]. وقال عز وجل: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 Z [العصر: ١ – ٣]

وقال النبي r: « الدين النصيحة » قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1]، وقال r: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[2]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٧٤/١رقم٥٥) من حديث تميم الداري t .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٣٩/١٠-مع فتح الباري)، ومسلم في صحيحه (١٩٣٩/٤رقم٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير t .

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ونسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: أن يكفَّ البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد، وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان، وأن ينصر بهم الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[1].

---

(١) مجلة البحوث العلمية. عدد٥٦ (ص/٣٥٧).

المبحث الثامن: الهجرة إلى بلاد الكفار

المهاجرون إلى بلاد الكفار من المسلمين أصناف عديدة، لكل صنف منهم غاية خرج من أجلها، ومصلحة يسعى لتحصيلها، أو مفسدة يسعى لدفعها.

ونحن هنا يهمنا صنف واحد من هذه الأصناف وهم المتظاهرون بالدعوة والإصلاح في بلاد المسلمين على منهج مخالف لمنهج السلف الصالح، ثم حدث لهم ما حدث من ابتلاء جراء مخالفتهم لمنهج السلف أو بسبب الفتن، فإنَّ الفتن إذا قامت يبتلى بها الصالح والطالح كما هو معلوم، فلَمَّا حدثت لهم الفتن التي تسببوا بها، أو تسبب بها من يتعاطفون معهم، لم تطق نفوسهم السكون والصبر واللجوء إلى الله -سبحانه وتعالى-، بل أخذتهم العزَّة بالإثم، فخرجوا من بلادهم المسلمة من بين آبائهم وأمَّهاتهم وأزواجهم وأبنائهم، وركنوا للذين كفروا مستنصرين بهم، متعاونين معهم في السرِّ والعلن على حرب بلاد الإسلام وجماعة المسلمين وأئمتهم، وكشف أسرارهم وخباياهم التي يجهلها أعداء الإسلام فأصبحوا سلاحاً جديداً بيد أعداء الإسلام يضغطون به على الحكومات المسلمة - ولا حول ولا قوَّة إلا بالله-، وهؤلاء الفارين من بلاد الإسلام وما فيها من منكرات، رضوا بلاد الكفر، واحتموا بهم، واستنصروهم على المسلمين فهم مع أهلهم والكفار كما قال القائل: يرى أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه. فهؤلاء يرون المنكرات

والمعاصي في بلادهم كفراً يوجب القتال، ويرون الكفر في بلاد الكفـــار حضارة وديمقراطية وحرية توجب التعاون والاستنصار، وهذا كلُّه بسبب فساد هذه المناهج التي سلكوها في الدعوة إلى الله حتى قبَّحت لهم الحسن، وحسَّنت لهم القبيح.

ومن المعلوم أن السفر إلى بلاد الكفَّار محرم، إلا لحاجة ضرورية، مع أمنٍ من الفتن والمفاسد[١]، فكيف يُجَوِّز هؤلاء لأنفسهم الهجرة إلى بلاد الكفار والإقامة فيها بين أظهر الكفَّار، ثم الخضوع والخنوع لقوانينهم الكافرة، ومن ثَمَّ ينشأ من أبناء هؤلاء جيلٌ يعاني من انفصامٍ في شخصيته، واضطرابات نفسية، وضعف في الدين، حتى ينسلخ أكثرهم من الإسلام بالكلية إلا من رحم الله، وهذا أمر مشاهد لا يحتاج إلى إقامة برهان، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

ونصيحتي لمن ابتلي بالهجرة أن يحاول العودة ما استطاع إلى بلده الإسلامي، فغنم يتبع بها شعف الجبال خيرٌ له من تلك البلاد الفاجرة الكافرة.

فإن لم يمكنه ذلك -ولا أظنُّه- فعليه أن يبحث عن أي بلد إسلامي آخر يهاجر إليه من بلاد الكفَّار، فإنَّ أي بلد إسلامي -مهما بلغ من الجهل والشدة- فهو خير للمسلم من بلاد الكفار، قال تعالى: [P Q R

---

(١) راجع في ذلك مجلة البحوث العلمية عـــدد ١٠ (ص/٧)، وعـــدد ١٦ (ص/٧)، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/١٩٢-١٩٧).

` . ^] \ [Z X W V U T S

n m k j i g f e d c b a

y x w v u t s r q p o

z { | } ~ ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا Z

[النساء: ٩٧ – ٩٩].

وأختم هذا المبحث بكلام نفيس للشيخ سعد بن حمد بن عتيق -رحمه الله- يوضح خطورة الهجرة إلى بلاد الكفار والإقامة في بلادهم حيث يقول: ((وأما الانتقال من بلاد الإسلام، إلى بلاد القبوريين، والتحيز إلى جماعة المشركين، وعدم المبالاة في ذلك، فمن المصائب العظام، والدواهي الكبار، التي وقع فيها كثير من النَّاس، وتساهلوا فيها واستصغروها، وخفَّ شأنها عند كثير من النَّاس، الذين ضعفت بصائرهم في دين الإسلام، وقلَّ نصيبهم من معرفة ما بعث الله نبينا محمداً r وما كان عليه الصحابة، ومن تبعهم من الأئمة الأعلام.

وما زال الأمر بالنَّاس، حتى صار النهي عن ذلك، والكلام في ذَمِّه، وذم من فعله من المستنكر، عند الأكثر، وصاروا لا يرون بذلك بأساً، وينسبون من ينهى عنه، وينكره على من فعله، إلى الغلو في الدين، والتشديد على المسلمين.

وفي القرآن الكريم، والسنة النبوية، ما يدلُّ مَن في قلـــبه حياة، على

المنع من ذلك، وكلام العلماء مرشِد إلى ذلك، فإنَّهم صرَّحوا بالنهي عن إقامة المسلم بين أظهر المشركين، من غير إظهار دينه، قال تعالى:] g h i j k Z [هود: ١١٣]، وقال:] X Y Z [\ ] Z [المائدة: ٨٠] إلى قوله:] x y z { Z [المائدة: ٨١] وقال تعالى:] P Q R S T U Z [النساء: ٩٧] إلى قوله:] وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا Z [النساء: ٩٩].

قال ابن كثير في الكلام على هذه الآية: ((وهذه الآية: عامة في كل من أقام بين أظهر المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو مرتكب حراماً بالإجماعِ، ونصِّ هذه الآية)) والآيات في هذا المعنى كثيرة، يعرفها من قرأ القرآن وتدبَّره.

وفي الأحاديث المأثورة عن النبي r ما يدل عليه من القرآن، مثل قوله r : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله »[1]

وقوله r : « لا تستضيئوا بنار المشركين »[2]

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٩٣/٣رقم٢٧٨٧)، والحاكم في المستدرك (١٤١/٢-١٤٢) من حديث سمرة t ، وصححه ووافقه الذهبي، وحسَّنه الشيخ الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (١٠٦٤/٢رقم٦١٨٦) .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٩٩/٣)، والنسائي في السنن الصغرى (١٧٦/٨)، وفي الكبرى (٤٥٤/٥) من حديث أنس t .

وحديث بهز بن حكيم: « أن تفر من شاهق إلى شاهق بدينك »[١].

قال ابن كثير: معناه: لا تقاربوهم في المنازل، بحيث تكونوا معهم في بلادهم، بل تباعدوهم، وهاجروا من بلادهم، ولهذا روى أبو داود: « لا تراءى ناراهما» [٢].

وفي قصة إسلام جرير، لَمَّا قال: يا رسول الله، بايعني واشترط، فقال: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتفارق المشركين» [٣].

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: «من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت، حشر معهم يوم القيامة»[٤].

---

(١) لم أقف عليه من حديث بهز بن حكيم، ولكن رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (رقم ٧٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٥، ٢/١١٨)، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٢/٢١، ١٨٦) عن عبد الله بن مسعود t قال: قال رسول الله r : « سيأتي على الناس زمان يحل فيه العزبة ولا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق، ومن جحر إلى جحر » وضعفه الألباني في الضعيفة (٧/٢٦٨ رقم ٣٢٧).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الجهاد: باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود (٣/١٠٤-١٠٥ رقم ٢٦٤٥)، والترمذي في كتاب السير: باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين (٤/١٥٥ رقم ١٦٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٥٠١-٥٠٢).

(٣) رواه النسائي في سننه (٧/١٤٨)، وفي الكبرى (٤/٤٢٨).

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٢٣٤).

وكلام العلماء في المنع من الإقامة عند المشركين، وتحريم مجامعتهم، ووجوب مباينتهم، كثير معروف، خصوصاً أئمة هذه الدعوة الإسلامية، كالشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأولاده، وأولادهم، وأتباعهم من أهل العلم والدين، ففي كتبهم من ذلك ما يكفي ويشفي من] 6 7 8 9 : ; < = Z [ق: ٣٧].

فمن ذلك ما قال الشيخ عبد اللطيف في بعض رسائله: «إنَّ الإقامة ببلد يعلو فيها الشرك، والكفر، ويظهر فيها دين الإفرنج، والروافض، ونحوهم من المعطِّلة للربوبيَّة والألوهية، وترفع فيها شعائرهم، ويهدم الإسلام والتوحيد، ويعطَّل التسبيح والتكبير والتحميد، وتقلع قواعد الملَّة والإيمان، ويحكم بينهم بحكم الإفرنج واليونان، ويُشتَمُ السابقون من أهل بدر وبيعة الرضوان؛ فالإقامة بين ظهرانيهم -والحالة هذه- لا تصدر عن قلب باشره حقيقة الإسلام والإيمان والدين، وعرف ما يجب من حقِّ الله في الإسلام على المسلمين، بل لا يصدر عن قلب رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً.

فإنَّ الرضا بهذه الأصول الثلاثة قطب رحى الدين، وعليه تدور حقائق العلم واليقين، وذلك يتضمَّن من محبة الله، وإيثار مرضاته، والغيرة لدينه، والانحياز إلى أوليائه، ما يوجب البراءة كل البراءة، والتباعد كلَّ التباعد عمَّن تلك نحلته، وذلك دينه، بل نفس الإيمان المطلق في الكتاب والسنة لا يجامع هذه المنكرات» انتهى كلامه.

وأما السؤال عن حكم المقيم في بلدان المشركين، من المنتسبين إلى الإسلام، فهذا الجنس من النَّاس مشتركون في فعل ما نهى الله عنه ورسوله، إلا من عذره القرآن في قوله:] p q Z [النساء: ٩٨] ثمَّ هم مختلفون في المراتب، متفاوتون في الدرجات بحسب أحوالهم، وما يحصل منهم، من موالاة المشركين، والركون إليهم، فإنَّ ذلك قد يكون كفراً، وقد يكون دونه، قال تعالى:] ! " # $ & ' ( ) * Z [الأنعام: ١٣٢] وما ذكرت من إعراض النَّاس عما كان عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في هذه المسائل، فالأمر فوق ما وصفت، وهذا غير مستنكر في هذا الزمان، الذي قلَّ فيه العلم، وفشا فيه الجهل، وتزاحمت فيه الفتن، وقلَّ فيه العمل بالسنة والكتاب، واشتدَّتْ فيه غربة الدين، ووقع ما أخبر به الصادق الأمين، وصار كثير من الناس لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما اعتادوه، وألفوه، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا زمان الصبر من لك ... كقبض على جمر فتنجو

ولو أن عينا ساعدت ... سحائبها بالدمع ديماً

ولكنها لقسوة القلب ... فيا ضيعة الأعمار تمشي

(١) الدرر السنية (٨/٤٥٨-٤٦٢).

وبهذا يظهر لك -حماك الله من الفتن - خطورة الهجرة إلى بلاد الكفَّار، وأنَّ ذلك من أعظم أسباب الفتن على المسلمين أفراداً وجماعات.

نسأل الله الهداية للجميع، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أنزلت عليه الآيات البينات، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الموصوفين بأفضل الصفات وبعد:

فإن أمر الفتن أمرٌ عظيم، وخَطَرُها خطرٌ جليل، لذلك يجب على المسلم - ولاسيما في هذه الأزمان- العناية بهذا الأمر عناية فائقة، والتزام منهج السلف في ذلك أشد الالتزام، والابتعاد عن المناهج المحدثة، فإن فيها الهلكة، والعياذ بالله.

وقد يسر الله عزَّ وجلَّ وحده، وله الْمِنَّة والفضل؛ إتمام هذا البحث في أمر الفتن، وبيان موقف المسلم منها، وقد حاولت أن أجعل هذا البحث خاصّاً في الفتن الكبار التي تموج موج البحر، وذلك لخطورتها وكثرة الشبه الواردة فيها، وجهل كثير من الناس بها، فهم واقعون فيها، ومسَبِّبون لها من حيث يظنون أنَّهم يحسنون صنعاً .

وقد ذكرت في هذا البحث منهج السلف الصالح -رحمهم الله- في الفتن، مستدلاً على ذلك بالكتاب والسنة، ثم أتبعت ذلك بذكر بعض المواقف التي جاءت عن السلف وقت الفتن لتكون شرحاً عملياً لأدلة الكتاب والسنة.

ثم أتبعت ذلك بذكر بعض المواقف الخاطئة من الفتن، وللأسف الشديد فقد تبَنَّى جلَّ هذه المواقف أناسٌ من أهل الدعوة والإصلاح - في

ظاهرهم- لالتباس الأمر عليهم، أو لجهلهم، أو لأسباب أخرى، فلم يُمَيِّزوا وقت الفتن بين الحق والباطل، ولم يرجعوا إلى مذهب السلف، يستهدون به وقت الفتنة، بل خبطوا في الفتن بلا علم ولا بصيرة مستوردين الحلول من المشرق والمغرب فضلوا وأضلوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد استفدت من مطالعتي لمراجع البحث ومصادره أن هذا الموضوع قد أخذ حيِّزاً كبيراً في المكتبة الإسلامية مما يدل على أهميته وحاجة الناس إليه في العصور الإسلامية جميعها.

ومع ذلك فإن الموضوع لازال بحاجة إلى بحث وعناية، وذلك بسبب كثرة الشبه في هذا الموضوع، وتداخله مع كثير من ضروريات الدين، كالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهجر أهل البدع والفسق ونحوهم، ولقد أورد دعاة الفتن في كلِّ زمان شبهاً كثيرة، ولذلك لو أنَّ باحثاً أفرد الشبه الواردة في الفتن مع الرد عليها في بحث مستقل لنفع الله به، وسدَّ باباً عظيماً من أبواب الفتن، فإنَّه بسبب هذه الشبه انخدع كثير من عوام النَّاس بدعاة الفتن فنصروهم، وساروا في ركابهم في السرِّ والعلن مما أدى إلى ظهور الجماعات والفرق الخارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم.

ومن المهم العناية بمواقف السلف -رحمهم الله- في الفتن ونشرها، وتبسيطها للقراء من أعظم ما يعين -بإذن الله - على النجاة من الفتـــن،

ويرد على شبه دعاة الفتن في كلِّ زمان ومكان.

وفي نهاية هذا البحث فإني أنصح إخواني المسلمين جميعاً بالحرص على العلم النافع، والعمل به، وتعليم الناس كتاب ربهم، وسنة نبيهم، والحرص على نشر مذهب السلف، فإنَّ في ذلك النصر والعزة والتمكين للمسلمين، وقد رأينا ما لقي المسلمون من أصحاب الدعوات المخالفة لمنهج السلف فما ازداد الأمر بهم إلا بلاءً وشدة، ولذلك فإني أنصح أصحاب هذه الدعوات جميعاً بتقوى الله، وترك هذه البدع والحوادث التي زادت المسلمين فرقة وضعفاً، فإنَّ الرجوع إلى الحقِّ خير من التمادي في الباطل.

وإنِّي -كذلك- اعتذر لمن قرأ هذا البحث مما قد يجد فيه من الخلل والخطأ، وآمل منه إرسال ما يجده من خطأ أو خلل أو مخالفة لمنهج السلف، لَعَلِّي أستدرك ذلك في طبعة أخرى، وجزاه الله عنِّي خير الجزاء.

وأسأل الله -في ختام هذا البحث- أن يرينا الحقَّ حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً وأن يرزقنا اجتنابه، وأن لا يجعله ملتبساً علينا فَنَضِلَّ، وأن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها، وما بطن، وأن يجمع كلمتنا على الحقِّ، وأن يوحِّد صفوفنا، وأن يؤلِّف بين قلوبنا، وأن يكفينا شر أعدائنا، وشرَّ أنفسنا، إنَّه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه، وهو وحده المؤمَّل لتفريج الكربات، وكشف الملِمَّات، سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

والحمد لله أولاً وآخِراً، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كتبه الفقير إلى رحمة ربِّه الجليل

محمد بن عبد الوهَّاب بن محمد العقيل

المدينة النبوية

الجامعة الإسلامية - كلية الدعوة وأصول الدين.

الفهارس



فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: ابن بطة العكبري، تحقيق: د.عثمان الإثيوبي، دار الراية، عام ١٤١٥هـ.

٢. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى الباي الحلبي – مصر.

٣. إتحاف الجماعة: الشيخ حمود التويجري، دار الصميعي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٤. الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة: د.صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى.

٥. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: للعلامة الألباني، ط. المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٥هـ.

٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب تأليف: يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البر مع الإصابة لابن حجر.

٧. الأسماء والصفات - البيهقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

٨. الإصابة في تمييز أسماء الصحابة تأليف: الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

٩. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن تأليف: العلامة محمد الأمين الشنقيطي، طبعة مكتبة ابن تيمية –القاهرة.

١٠. الاعتصام: للإمام الشاطبي، مكتبة الرياض.
١١. الأعياد: د.سليمان بن سالم السحيمي، الطبعة الأولى.
١٢. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ومكايده تأليف: العلامة ابن القيم تحقيق: محمد حامد فقي ط/ دار المعرفة ، بيروت الطبعة الثانية، عام ١٣٩٥هـ.
١٣. الأنوار النعمانية: نعمة الله الجزائري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.
١٤. البداية والنهاية تأليف: محمد بن إسماعيل بن كثير، ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة السادسة.
١٥. تأويل مختلف الحديث تأليف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط/دار الكتاب العربي ، بيروت.
١٦. تاريخ الأمم والملوك: للطبري ، الطبعة الثانية، دار السويدان/ بيروت – لبنان.
١٧. تاريخ بغداد تأليف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى.
١٨. تاريخ نجد: لابن غنَّام، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
١٩. التحفة اللطيفة: للسخاوي، تحقيق: محمد حامد الفقي الطبعة الأولى.
٢٠. الترغيب والترهيب تأليف: عبد العظيم المنذري تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط/دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢١. تفسير السعدي تأليف: عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.
٢٢. تفسير الطبري تأليف: محمد بن جرير الطبري، البابي الحلبي الطبعة الثالثة، عام ١٣٨٨هـ.

٢٣. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: د.محمد البنا، دار ابـــن حـــزم. ط/ ١٤١٩هـــ.
٢٤. التمهيد لما تضمنه الموطأ من المعاني والأسانيد تأليف: الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري تحقيق: جماعة من الباحثين والمحققين، ط/ وزارة الأوقاف المغربية ١٣٨٧هـــ.
٢٥. الجامع الفريد / تقديم الشيخ عبد الرزاق عفيفي الطبعة الأولى.
٢٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط/دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥هـــ.
٢٧. الحجة في بيان المحجة: إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بـــن ربيـــع المدخلي ، محمد أبو رحيم ، دار الرايـــة/ الريـــاض، الطبعـــة الأولى عـــام ١٤١١هـــ.
٢٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور تأليف: جلال الدين السيوطي،ط/دار الفكر-بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٣هـــ.
٢٩. الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة الخامسة، عام ١٤١٦هـــ.
٣٠. ذيل طبقات الحنابلة تأليف: العلامة زين الدين ابن رجـــب الحنبلـــي، ط/دار المعرفة-بيروت مطبوع مع طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بـــن أبي يعلى (بدون تاريخ).
٣١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها تـــأليف: الـــشيخ العلامة محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني ط/ مكتبة المعارف – الرياض سنوات مختلفة كلها الطبعة الأولى من الكتاب.

٣٢. السنة للخلال، تحقيق: د.عطيـــة الزهـــراني، دار الرايـــة، الطبعـــة الأولى، ١٤١٠هـــ.
٣٣. السنة - ابن أبي عاصم - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى، عام١٤٠٠هـــ المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.
٣٤. سنن أبي داود تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط/ دار الفكر-بيروت.
٣٥. سنن الترمذي تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي تحقيق: عبد الرحمن عثمان، ط/دار الفكر-بيروت، عام١٤٠٠هـــ.
٣٦. سنن الدارمي تأليف: أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: خالد السبع العلمي وفواز زمرلي، ط/دار الكتاب العربي-بيروت الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـــ.
٣٧. السنن الصغرى- للنسائي- شرح السيوطي، حاشية السندي، دار الفكـــر- بيروت-لبنان.
٣٨. السنن الكبرى للبيهقي تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين البيهقي، ط/مطبعـــة مجلس دائرة المعارف النظامية-الهند، الطبعة الأولى، عام ١٣٤٤هـــ تـــصوير دار الفكر.
٣٩. السنن الكبرى للنسائي تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شـــعيب النـــسائي تحقيق: د.عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، ط/دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـــ.
٤٠. السنن الواردة في الفتن وغوائلها لأبي عمرو الداني، تحقيـــق: د. رضـــاء الله المباركفوري دار العاصمة. الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـــ.

٤١. سير أعلام النبلاء تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط/مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة التاسعة، عام ١٤١٣هـ.

٤٢. شرح السنة تأليف: محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، ط/المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٣هـ.

٤٣. شرح السنة: للبربهاري- تحقيق: خالد الردادين، دار السلف.الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٤٤. شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين، تحقيق: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

٤٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة: للالكائي: تحقيق: د.أحمد سعد الغامدي . دار طيبة.

٤٦. شرح صحيح البخاري تأليف: أبي الحسين علي بن خلف ابن بطال، تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ .

٤٧. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: د.عبد الله التركي الطبعة الثانية.

٤٨. شرح مسلم: النووي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٤٩. شرح نونية ابن القيم: محمد خليل هراس، الفاروق الحديثة عام ١٤٠٤هـ.

٥٠. الشريعة: أبو بكر الآجري، تحقيق: محمد حامد فقي.الناشر حديث أكادمي. باكستان. الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.

٥١. صحيح البخاري تأليف: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، ط/دار ابن كثير-اليمامة-بيروت الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٧هـ.
٥٢. صحيح الجامع الصغير تأليف: الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط/المكتب الإسلامي- بيروت.
٥٣. صحيح مسلم تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).
٥٤. طبقات الحنابلة تأليف: القاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، ط/دار المعرفة-بيروت (بدون تاريخ).
٥٥. الطبقات الكبرى تأليف: محمد بن سعد الزهري تحقيق: إحسان عباس، ط/دار صادر-بيروت (بدون تاريخ).
٥٦. عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية-تأليف: د.صالح بن عبد الله العبود. الجامعة الإسلامية الطبعة الأولى.
٥٧. العواصم من القواصم للإمام أبي بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب. تعليق: محمود مهدي الإستانبولي. مكتبة السنة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.
٥٨. فتاوى ورسائل: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي المملكة ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية طيب الله ثراه، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، عام ١٣٩٩هـ.

٥٩. فتاوى وتنبيهات: الشيخ ابن باز، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ. مكتبة السنة.القاهرة-مصر.

٦٠. الفتوح الإسلامية عبر العصور: د.عبد العزيز العمري، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٦١. فتح الباري شرح صحيح البخاري تأليف: الحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب تصوير،/دار المعرفة –بيروت عام ١٣٧٩هـ.

٦٢. الفتن: للحافظ نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير الزهيري. مكتبة التوحيد – القاهرة.

٦٣. فتنة مقتل عثمان بن عفان-تأيف: د.محمد الغبَّان. الجامعة الإسلامية الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٦٤. القاموس المحيط: الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، ط/مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، عام ١٤١٥هـ.

٦٥. الكامل في التاريخ لابن الأثير- الطبعة الأولى.

٦٦. الكنى والألقاب: الكشي،مؤسسة الوفاء-بيروت.

٦٧. لسان العرب تأليف: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، ط/دار صادر –بيروت.

٦٨. مجمع الزوائد تأليف: نور الدين علي الهيثمي، ط/دار الكتاب العربي-بيروت الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٢هـ.

٦٩. مجموع الفتاوى تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية جمع العلامة عبد الرحمن بن قاسم، ط/دار الافتاء-الرياض.

٧٠. مجلة البحوث العلمية والإفتاء-الرياض.
٧١. مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إعداد: جامعة الإمام محمد بن سعود. الطبعة الأولى.
٧٢. مختصر التحفة الإثنا عشرية، تحقيق: محب الدين الخطيب. الطبعة الأولى.
٧٣. مسند أحمد تأليف: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط/مؤسسة الرسالة-بيروت. الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
٧٤. مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، ط/المكتب الإسلامي الطبعة الثانية، عام ١٤٠٣هـ.
٧٥. معالم السنن تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي تحقيق: أحمد شاكر ومحمد حامد فقي الناشر: دار المعرفة-بيروت ١٤٠٠هـ.
٧٦. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: عبد السلام بن برجس.
٧٧. المعجم الكبير تأليف: الحافظ أحمد بن سليمان الطبراني تحقيق: حمدي السلفي ط/دار إحياء التراث العربي.
٧٨. المفردات في غريب القرآن تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ط/دار القلم-دمشق .
٧٩. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم ط/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
٨٠. منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله. د/أحمد بن عبد العزيز الخلف. الطبعة الأولى.

٨١. مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا "إيران"، محمـــود شـــاكر، دار الرســـالة ١٣٩٩هـــ.
٨٢. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، المكتبة الإسلامية.
٨٣. وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن، إعداد: د.محمد بـــن ناصـــر العريني. الطبعة الثانية، عام ١٤١٥هـــ.

فهرس الموضوعات